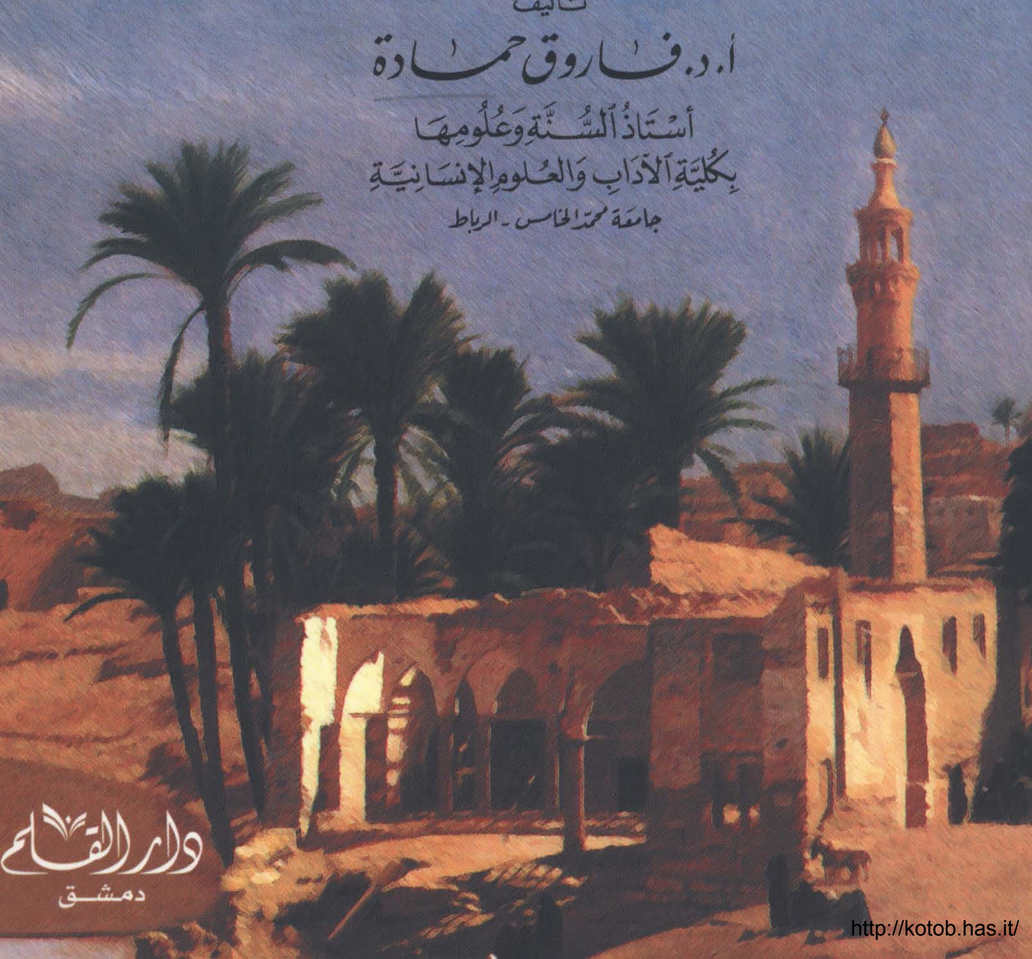
العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي

تأليف

أ. د. فاروق حمادة

أستاذ السنة وعلومها
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس - الرباط



العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي

تأليف

أ. د. فاروق حمادة

أستاذ السنة وعلومها

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس - الرباط



دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ
أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا
نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
(٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا
لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤)﴾.

[المائدة ٨٢ ـ ٨٤]

الإهداء

إلى الصديقين العزيزين :

العميد « كولونيل ماجور » محمد بن أحمد الوزاني التهامي ،
والأستاذ محمد بن عبد السلام الشراوي
عرفاناً بالنبل ، وكريم الأخلاق ...

أخوكما
أ. د. فاروق حمادة

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، الذي أكمل الله به للبشرية الدين، وجعله الحجة القائمة على الناس أجمعين، والحبل المتين للمعتصمين، وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين، ومن اهتدى بهديهم، وسار بسيرتهم فكان من الفائزين، وبعد:

فإن موكب الأنبياء ركب ممتد، بدئ بآدم عليه الصلاة والسلام، وسار مع البشرية ظاهراً ظهور الشمس والضياء في الأنام، حتى ختم هذا الركب وأكمل بناءه محمد بن عبد الله ﷺ الذي بعثه الله في قلب جزيرة العرب، في البلد الحرام.

فالعلاقة وثيقة لا تنفصم في غايتها وهدفها، وعقيدتها وبلاغها، على تنوع في الأقوام والشعوب، واللغات والألسن، والألوان والأصقاع، وهذه مسألة واضحة لكل ذي عينين ممن يؤمن بالله واليوم الآخر.

وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد جاء في الحديث الشريف تأكيداً لنص الكتاب العزيز قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينم واحد**»(١).

وبعد تقرير هذه الحقيقة ناصعة، قرر القرآن الكريم أن الدين الإلهي والدعوة الربانية للبشر قد أصبحت كونية عالمية لجميع الأجناس والشعوب والأقطار والأمصار، على يد محمد بن عبد الله ﷺ، بعد أن كانت في كل قبيل، خاصة لكل شعب وجيل، قال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقد دعا رسول الله ﷺ الناس إلى ذلك.



وتحقيقاً لهذه العالمية كانت الشمولية في التشريعات والأحكام، والبيان الشافي لحاجات الأنام، في تقلباتهم ومسيرهم مع الأيام والأعوام، ولهذا كان حفظ القرآن والسنة من التغيير والتبديل، لتبقى هذه الحجة قائمة والطريق إلى الله لاحبة دون غيرها من الكتب المنزلة وسير الأنبياء.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ...﴾ ٦/٤٧٧، ٤٧٨، ومسلم، الفضائل، باب فضائل عيسى بن مريم، حديث رقم ٢٣٦٥.
كما أخرجه أحمد في المسند، وأبو داود في سننه وغيرهم، والعلات: الضرائر، وأولاد العلات الإخوة من الأب، وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع التي أتوا بها.

ومن هذه الشمولية واتساع الأفق أمام البشرية، كان لمن تعلقوا بأصحاب الكتب المنزلة من الأنبياء السالفين نداء خاص في دعوة محمد ﷺ، وموقع خاص في أحكام شريعته فكل نبي كان مبشراً بمن يأتي بعده، وكلهم مبشرون بقدوم النبي الخاتم محمد رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

والإصر: هو العهد.

ولهذا كان نداؤهم في القرآن: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، لما كان عندهم من تباشير بمجيئه وصفته تردد في ثنايا الكتب المنزلة، ولقنوها في بِيَعِهم وكنائسهم، وحلقات درسهم من كهنتهم وأحبارهم، وعرفها عامتهم وخاصتهم من العلية والسوقة، وكان التشوف إليه عظيماً، والحنين إلى بزوغ فجره وهاجاً جارفاً. والبحث عن زمانه ومكانه متردد الصدى بعيد المدى بين أهل الكتاب في جميع البلاد، وقوى ذلك الاضطراب الفكري والعقدي فيما بينهم مما قطع الخيط الجامع لعقيدتهم، ووضوح مبدئهم فغدوا فرقاً شتى آل أمرها حين بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن إلى ثلاثة فرق كبار، هي: اليعقوبية، والنسطورية، والملكانية(١)، ولكل واحدة مقولاتها وآراؤها، وأصبح التجار والسماسرة أحبار الدين، وأصبح ذووا الحكم والسلطان الآمرين لهم والناهين. ولكن بعضهم شرق بريقه من بعد حقداً وحسداً فتمرد وشرد، وبعضهم أعلنها صريحة وآمن واهتدى، وسلك الجادة فما تجاوز ولا اعتدى.

قال تعالى في وصف أصحاب التوجه الأول: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم

---

(١) وتطورت النصرانية عبر القرون إلى فرق كثيرة جداً بلغت اليوم المئين.

﴿مَا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩]. أي يستنصرون، والاستفتاح هو الاستنصار.

وقد نقل عاصم بن عمر بن قتادة الظفري عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك وأهل أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾[1]. وقال تعالى في أصحاب التوجه الثاني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤].

وكان الغالب على أصحاب التوجه الأول هم اليهود، والغالب على أصحاب التوجه الثاني هم النصارى.



ولم يكن للنصارى استقرار كبير أو حضور كثيف بقرب النبي ﷺ، في مكة أو المدينة، وقد يكون هناك منهم عابر سبيل مترحل، أو تاجر سلعة متنقل، ولم يثبت عندي أن طائفة من النصارى كبيرة أو صغيرة كانت تسكن مكة أو المدينة أو ما حولهما، قبل الإسلام أو بعده سوى ما قدمت، أما مكة فعربية خالصة، وأما يثرب فسكنها يهود في مجتمعات معروفة قبل الإسلام.

---

(١) رواه عنه محمد بن إسحاق كما في ابن هشام ١/ ٢٣١، وهو سند جيد.

ولما شع ضياء النبوة من مكة، وتيقن القريبون منه من صفاته وملامحه أنه نبي الحق، عاند من عاند، وجحد من جحد، وآمن من آمن، تقول السيدة صفية بنت حيي بن أخطب النضري أم المؤمنين: لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء نزل قرية بني عمرو بن عوف، أتى إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا كالين كسلانين، ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: تعرفه بعينه وصفته؟ فقال: نعم، والله قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت(١).

قال ابن عائذ: وكان أول من أتى النبي ﷺ منهم أبو ياسر بن أخطب، فرجع إلى قومه، فقال: أطيعوني، هذا النبي الذي كنا ننتظر، فعصاه أخوه وكان مطاعاً فيهم(٢).

وقد نفر جُلُّ زعماء يهود منه ومن دعوته، وكادوا له بكل ما استطاعوا من حيلة سراً وإعلاناً، وكان القرآن يكشف للنبي ﷺ ما تكنه صدورهم، وما تخفيه حناياهم، وكان لهم من النبي ﷺ مواقف حاقدة، وأيام عصيبة خالدة، تنزلت بها الآيات وحفظتها صدور العلماء عبر القرون المتواليات، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: **«لو آمن عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»**(٣).

---

(١) انظر الخبر في، ابن هشام السيرة ٢/ ١٤٠ عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية، بنت حيي بن أخطب، وعند البيهقي: حدثني محدث عن صفية والبيهقي دلائل النبوة ٢/ ٥٣٣، وابن سيد الناس ١/ ٣٣٥.

(٢) انظر: ابن حجر فتح الباري ٧/ ٢٧٥.

(٣) أخرجه البخاري، مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي ﷺ لما قدم المدينة =

ولم يسلم من علمائهم ورؤسائهم إلا القليل، كعبد الله بن سلام، وزيد بن سعنة.



وأما النصارى، فلم يكن لهم مواقف حاقدة، ولم يكن لهم مكر شديد ولا كيد عنيد، لعدم مجاورتهم للنبي ﷺ في المقام، مع إقبال الكثير من أحبارهم على الإسلام، ويقين حكامهم أن طريق هذا النبي هو الحق الموصل إلى دار السلام، بما سمعوه وتداولوه من بشائر الإنجيل ووصايا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

فكان البحث الدؤوب من بعض علمائهم للوصول إليه، والإيمان به صادقاً ومتتابعاً، وكان بعضهم يوصي بعضاً بذلك، وحديث سلمان الآتي، مثال للبحث عن الحق والإيمان الذي أمر به القسيسون والرهبان أتباعهم.

وقد كانت الديانة النصرانية تحيط بأرض العرب من ثلاث جهات:

من الشمال في الشام، ومن الجنوب في مصر والحبشة، ومن الغرب رومة وأوروبة، وكان من الشرق دولة الفرس الوثنية التي كانت على شفا الانهيار، إذ كسرها الروم في معركة حاسمة، خلدها القرآن في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ١ ـ ٤]، وكان ذلك في آخر العهد المكي ولم يكن لليهود دولة، ولا تجمع كبير ذو شأن في العالم.

ولقد كانت بداية التواصل والتلاقي بين المسلمين والعالم الإسلامي في مطلع الإسلام بداية جيدة وطيبة بل ذات وقع عجيب، وأثر مستمر في قلوب المسلمين بتطاول الحقب وتعاقب الأجيال.

قال عروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٩٤هـ: فلما كثر المسلمون

= ٧/ ٢٧٤، وهذا نص أحمد في المسند ٢/ ٣٤٦ ـ ٣٦٣ ـ ٤١٦.

وظهر الإيمان فتحدث به المشركون من كفار قريش ممن آمن من قبائلهم، يعذبونهم ويسجنونهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، قال: فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: **«تفرقوا في الأرض»**، قالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: **«هاهنا»** ـ وأشار بيده إلى أرض الحبشة، وكانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ يهاجر قِبَلَهَا ـ فهاجر ناس ذوو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة(١).

وقال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء... قال لهم: **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»**.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفروا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام(٢).

فكان أول من خرج عثمان بن عفان، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وطائفة معهما، وكانت الحبشة تدين بالنصرانية، وأمن هناك المسلمون في خير جوار، وبقيت ذكريات تلك الأيام في جوانحهم يروونها للأجيال، لما أحسوه من الأمن وإقامة شعائر دينهم، وعبادتهم، دون ظلم أو تهديد...



وعندما انطلقت الدعوة النبوية من إطارها العربي إلى رحابها الإنساني، بعد صلح الحديبية في نهاية السنة السادسة للهجرة النبوية، أرسل عليه الصلاة والسلام في يوم واحد سفراء ستة، وأصبحت منافذ الإسلام مشرعة على جميع الأقوام والأديان، فكان للنصارى في دولهم: بيزنطة، والشام والحبشة ومصر، مواقف من النبي ﷺ تستحق النظر والتأمل، إذ فيها

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم ٩٧٤٣ وسنده إلى عروة صحيح.

(٢) انظر: ابن هشام ١/ ٣٤٣. وانظر: عيون الأثر ١/ ٢٠٩، وزاد المعاد ٣/ ٢٣، وغيرها من المصادر.

التأصيل للعلاقات الدولية، والتعامل الصحيح بين أتباع هذين الدينين، وعليها بنت دولة الإسلام في عزها ومجدها مواقف علاقاتهما مع النصارى أفراداً، وجماعات ودولاً.

وجاءت وفودهم إلى ساحة النبي ﷺ، وكشفوا عن وصفه وصفاته وحاوروه وناقشوه، وهطلت دموع كثير منهم، عرفاناً بوصية عيسى عليه السلام ونصوص الإنجيل، وحاول بعضهم العدوان والاستكبار فمهد لزواله، واجتثاث عدوانه وأعماله، ورضي بعضهم بواقعه وصالح وأقر بسيادة الإسلام، ودخل تحت جناح رحمته، فما استقام ما كان ليضام.

وعمل النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده بما وَجَّه إليه القرآن، وأرساه في أحكامه الرحمٰن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكل هذا وذاك مسلك راسخ للتعامل مع النصارى الذين أنزل الله في حقهم آيات تصور نفسيتهم، وتبين رأفتهم ورقتهم، وتعاطفهم مع المؤمنين وقربهم منهم:

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ . . .﴾ [الحديد: ٢٧].

وآيات أخرى جاءت لتصحح لهم عقيدتهم وتسدد مسالكهم، وأخرى لترد عن المسيح وأمه عدوان اليهود وافتراء الكاذبين الحاقدين عليهما.

وفي أخرى، تحذرهم من مغبة الشنيع من أفعالهم. . .

وهي آيات هاديات، وثوابت راسخات في موقف المسلم من النصارى.

وإن هذه العلاقات والصِلاتِ التي فتحها النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده معابر لا محيد عنها في الوصول إلى بيان حقيقة الإسلام من هذه المسألة وعلاقة المسلم بالنصراني، والعالم الإسلامي بالعالم المسيحي.



وقد قررنا في أكثر من مناسبة، أن القرن الواحد والعشرين هو قرن انبعاث الأديان، وحوار أصحاب الديانات، بل ربما صراع الأديان، وإن لبس علينا الملبسون، وحاول استغفالنا الماكرون، وها هي أجوافهم تنضح آنا بعد آن، فأحببت الإسهام بوضع لبنات إسلامية أصيلة، لمن أراد أن يعرف طريق الإسلام في هذه القضية المتعاظمة يوماً بعد يوم تكون أساساً ومدخلاً صحيحاً، إن شاء الله.

ولقد كان بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، عبر أربعة عشر قرناً مد وجزر، وكر وفر، ووفاء وغدر، وهزيمة ونصر، ونأمل أن يزداد العالم المسيحي ـ بما حصل من تقارب وقرب ـ معرفة بحقائق الإسلام من منابعه الأصيلة الصافية في عهده ﷺ وخلفائه الراشدين، وقد جاء تقسيم هذا الكتاب تبعاً لأحداثه التاريخية ـ بالجملة ـ فإذا ما استثنينا هجرة المسلمين للحبشة، وكانت مرتين، وقبل الهجرة بسنوات، قيل: كانت الأولى في رجب من السنة الخامسة للبعثة، ومراسلة النبي ﷺ النجاشي بسبب ذلك، فإن العلاقات الرسمية بدأت مع النصارى في نهاية السنة السادسة للهجرة النبوية، ومطلع السنة السابعة، بالمراسلات التي وجهها رسول الله ﷺ لملوكهم وعظمائهم، ثم بتوالي الوفود وتتابعها منهم نحو المدينة النبوية، ثم بالتحرك العسكري الذي قام به رسول الله ﷺ بعدة سرايا، وغزوة مؤتة وتبوك لما أصبح الخطر على المسلمين يأتي من جهتهم من الحدود الشمالية.

ثم انتهت هذه التحركات بعقد عديد من المصالحات والمعاهدات مع رسول الله ﷺ، ولا يخرج عن هذا النسق التاريخي، إلا ما قيل من قدوم بعض وفود النصارى من نجران إلى مكة، ثم إلى المدينة، وقدوم وفد عبد القيس من البحرين، ولا يخلو الأمر من قدوم أفراد من هنا وهناك، قبل أن ينطلق سفراء الإسلام بالرسائل النبوية، وقد ذكرنا ذلك في موضعه وبيناه.

وتبعاً لهذا فقد فصلت هذا الكتاب على أربعة مداخل وخاتمة، الأول: للرسائل والسفراء، والثاني: للوفود، والثالث للغزوات والسرايا، والرابع: للمعاهدات والمصالحات، والخاتمة في نتائج هذا البحث والوصاة بأهل العهد والذمة، وتغطي بجملتها ما كان من العلاقات في العهد النبوي، وتؤصل لها في العهود اللاحقة.

وقد يكون ند عني بعض جزئيات، وما ذلك إلا لتأكيد ضعف البشر، أو مما لم يترجح عندي أنه داخل فيه، وقد يترجح عند غيري ذلك، أو مما لم يثبت عند التمحيص، أو هو مما لا كبير دلالة فيه...

وقد أخذت مادته من مصادرها الأصلية، ووثقت نسبتها إلى أصحابها وقائليها، مؤكداً أن هذه المصادر ونصوصها، قد تداولتها حلقات الدرس في الأمة الإسلامية عبر العصور، فكان لها تأثير كبير في صياغة الفكر، وصناعة الحياة الإسلامية ومواقفها تجاه النصارى وغيرهم، فلئن ضعف في بعض الأحيان سندها ـ وقد تحرينا وبينا ـ فهي منضوية تحت ما صح، وقد عظم في واقع الحياة مفعولها وأثرها، وناهيك بذلك!!!

وقد أطلت شيئاً ما في بعض الموضوعات تبعاً لما تقتضيه من إطالة مثل معركة تبوك، وخبر سلمان، ووفد نجران، لأن فيها عبراً غزيرة، ومواقف كثيرة، وفي كل موقف من هذه المواقف، حِكَمٌ وأحكام، ومعالم هادية ومنائر عالية لذوي العقول والأفهام، لا يبليها مرور الأيام ولا كر الأعوام، وستبقى محل الاستنباط والاجتهاد والاستهداء على الدوام.

وما قصدت من هذا البحث أن يكون فقهياً يؤصل للحلال والحرام، ولا بحثاً في العلاقة الدولية، أو بيان أسس وقواعد دولة الإسلام، **بل أردته أن يكون منطلقاً للخاص والعام، وأرضية للتلاقي والتفاهم والانسجام، وزاوية لحسن النظر إلى الأمام.**

❖ ❖ ❖

وكنت قد عرضت فكرة هذا البحث، وطرفاً منه في لقاء (دائرة الرباط العلمية للبحث في الدراسات الإسلامية)، بكلية الآداب بالرباط، دورة محرم ١٤٢٥، فبراير/ شباط ٢٠٠٤م[1].

وتداوله إخواني الأساتذة أعضاء الدائرة، وأبدوا ملاحظات مفيدة وقيمة، استفدت منها، وأخذت بقسم مهم منها، جزاهم الله خيراً، ونفع بنا وبهم العلم وأهله.

سائلاً المولى جلت قدرته، أن يجعل في هذا البحث ـ وأعمالي كلها ـ بلاغاً لطالبي الحق، وهداية للخلق، وأن يشملها بالرضى والقبول، وأن يكتبها في صحائف اليمنى في الغد المأمول، إنه الجواد الكريم، خير مسؤول وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

✍ وكتبه خادم الكتاب والسنة
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة
بالقنيطرة/ من مدن المغرب الأقصى
في فجر يوم الأربعاء ٢٠ ذي الحجة
الحرام ١٤٢٤هـ ١١ فبراير/ شباط ٢٠٠٤

---

(١) أعضاؤها نخبة من أساتذة الجامعات المغربية في الدراسات الإسلامية، يشرف عليها ويسيرها الأستاذ الدكتور فاروق حمادة، بدأت عملها العلمي ١٩٩٣م في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.





أبواب العلاقات

١ ـ الرسائل، والسفراء.

٢ ـ الوفود.

٣ ـ السرايا والغزوات.

٤ ـ المعاهدات.



١

الرسائل والسفراء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

لقد نزلت هذه الآية في مجموع آيات تتحدث عن أهل الكتاب، وكان لهم دول لها من القوة والسطوة والمنعة الشيء العظيم، ولم يكن لرسول الله ﷺ وللمسلمين شيء من ذلك، ومع هذا أمر الله رسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال، فلا يتوقف عن تبليغ أي شيء أُمِرَ به في جميع الشؤون والأحوال، ولا يخاف أحداً مهما عظم قرب أو بعد، فرداً، أو جماعة أو دولة.

وقد ضمن الله تعالى العصمة لشخص رسول الله ﷺ ودعوته في حياته، وضمن ذلك لدعوته ودينه بعد وفاته، بوجود طائفة تحمل هذا الدين وتبلغه. . .

❁ ❁ ❁

١ ـ إلى هرقل.

٢ ـ إلى المقوقس.

٣ ـ إلى النجاشي.

٤ ـ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

٥ ـ إلى جبلة بن الأيهم الغساني.

٦ ـ إلى ضغاطر الأسقف.

توطئة

بعث الرعيل الأول من سفراء الإسلام

إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً، فقيل: يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذٍ خاتماً من فضة، فَصُّهُ منه، نقشه ثلاثة أسطر، محمد رسول الله، وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ: عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه بين عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته وكتب إلى رسول الله بإجابته وتصديقه، وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين.

وفي الكتاب الآخر: يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان. وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي فتنصر هناك ومات، وأمره رسول الله ﷺ في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم ففعل.

وزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وأصدق عنه أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم وحملهم في سفينين، ودعا بِحِقٍّ من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله ﷺ وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان

الكتابان بين أظهرها[1].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ١/ ٢٥٨ وما بعدها من طريق الواقدي، قال الواقدي: حدثني معمر بن راشد، ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح، إذا استثنينا الواقدي، وبسنده إلى الشفاء بنت عبد الله، وهي من طريق الواقدي كذلك قال:

حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن المسور بن رفاعة، قال:

وحدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال:

وحدثنا محمد بن سليمان بن أبي حثمة عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن جدته الشفاء وقال الواقدي: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي.

وقال الواقدي: حدثنا معاذ بن محمد الأنصاري عن جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أهله عن عمرو بن أمية الضمري.

وبسند آخر إلى السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي، وبسند آخر إلى عمرو بن أمية الضميري.

- وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة المدني القاضي، أخرج له ابن ماجه في السنن، وقد ضعفوه وتركوه واتهمه بعضهم بالوضع، وقال مصعب الزبيري: كان عالماً توفي سنة اثنين وستين ومائة، وقال محمد بن سعد: كان كثير العلم والسماع والرواية وكان يفتي بالمدينة وقدم بغداد فتوفي فيها سنة اثنتين وستين ومائة في خلافة المهدي وكان ابن ستين سنة.

انظر: تهذيب الكمال ٣٣/ ١٠٦، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧، وتقريب التهذيب ص٧٢١، والمغني في الضعفاء للذهبي ٢/ ٧٧٤.

والمسور بن رفاعة: أخرج له البخاري في كتابه الأدب المفرد، والنسائي في مسند مالك، وقد روى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبول، توفي سنة ١٣٨. وانظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥٠.

وعبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحاكم بن رافع الأنصاري، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم في صحيحه، وأصحاب السنن، صدوق وثقه غير واحد، وضعفه بعضهم من أجل القدر، وروى عنه الواقدي وجمع من الكبار كابن المبارك ووكيع وهشيم وغيرهم، توفي سنة ١٥٣هـ.

ووالده جعفر بن عبد الله ثقة، أخرج له مسلم في الصحيح وأصحاب السنن والبخاري في الأدب المفرد. ومحمد بن سليمان بن أبي حثمة ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج له ابن ماجه حديثاً، وقال ابن حجر: مقبول.

وأخرجه أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة من رجال الصحيحين، وهو تابعي روى عن =

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: **«وافوني بأجمعكم في الغداة»**، وكان ﷺ إذا صلى الفجر حبس في مصلاه قليلاً يسبح ويدعو، ثم التفت إليهم، فبعث عدة إلى عدة وقال لهم: **«انصحوا لله في عباده، فإنه من استرعي شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح لهم حرم الله عليه الجنة، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم فإنهم أتو القريب، وتركوا البعيد، فأصبحوا ـ يعني الرسل ـ وكل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين**

= جمع من الصحابة منهم جدته الشفاء بنت عبد الله، قال الزهري: كان من علماء قريش.

وأما محمد بن يوسف شيخ ابن أبي سبرة فهو ابن عبد الله بن يزيد الكندي المدني، قيل: هو ابن بنت السائب بن يزيد، وقيل: ابن ابنه، وقيل: ابن أخيه، وهو ثقة ثبت أخرج له الشيخان وغيرهم.

والسائب بن يزيد صحابي حج به مع النبي ﷺ في حجة الوداع وهو ابن سبع سنين.

وأما الإسناد الأخير ففيه: الواقدي عن معاذ بن محمد الأنصاري، وهو معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب روى عنه ابن لهيعة والواقدي، ومعاوية بن صالح وهو من أقرانه، وغيرهم، أخرج له ابن ماجه حديثاً واحداً، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر في التقريب: مقبول.

● وجعفر بن عمرو بن أمية الضمري، روى عن جده جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، وهو مدني تابعي كبير ثقة، وأبوه من أصحاب النبي ﷺ وقد روى لهذا ـ أي الجد ـ الشيخان وغيرهما، وقد وثقه غير واحد.

وقد أشار إلى رواية حفيده عنه ـ وهو سميه ـ الإمام علي بن المديني كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ١٠٠.

ولم أجد لهذا الحفيد ترجمة فيما بين يدي من مصادر، والذي يمكن قوله: إن جعفر بن عمرو ـ جده ـ قد روى عنه طائفة من أسرته، منهم ابن أخيه الزبرقان بن عبد الله بن عمرو، وأخوه الزبرقان بن عمرو، وابن أخيه يعقوب بن عمرو.

ولا يبعد أن يكون حفيده وسميه قد روى عنه أحاديث قليلة معدودة، ولم يشتهر بالرواية عنه فبقيت في نطاق ضيق جداً.

ثم إن هذا النص رواه عن أهله الذين حدثوه عن جده الأعلى عمرو بن أمية الضمري وهو سفير النبي ﷺ.

ويتضافر هذه الأسانيد من طرق شتى يقوى أصل الحديث الذي لا شك فيه، وأما تفريعاتها وتفصيلاتها التي تضاف إلى رواية الإمام مسلم، فهي مقبولة إن شاء الله لأنها لا تتناقض بل تتكامل وتوضح الأصل.

أرسل إليهم»، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: **«هذا أعظم ما كان من حق الله عليهم في أمر عباده»**(١).

● وعند ابن هشام في السيرة قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صُدَّ عنها يوم الحديبية فقال: **«أيها الناس: إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا علي، كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم»** فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: **«دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا عيسى ذلك إلى الله** ﷻ فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها».

---

(١) ابن سعد عن الواقدي الطبقات ١/ ٢٦٤.

قال: أخبرنا الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا دلهم بن صالح، وأبو بكر الهذلي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة. قلت: والهيثم بن عدي أخباري علامة لكنه متروك عند المحدثين.

ودلهم بن صالح أخرج له أبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم، وتابعه أبو بكر الهذلي، وهو أخباري متروك الحديث، أخرج له ابن ماجه في سننه.

وعبد الله بن بريدة بن الحصيب أبو السهل المروزي ثقة أخرج له الجماعة.

وبريدة صحابي جليل.

وقال الواقدي: حدثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان والزهري، وابن إسحاق معروف، إمام السيرة حسن الحديث، ويزيد أبو روح ثقة أخرج حديثه الجماعة.

والزهري تابعي إمام علامة ثقة، وقال الواقدي: حدثنا الحسن بن عمارة، عن فراس عن الشعبي، والحسن بن عمارة قاضي بغداد ضعيف بل متروك، أخرج له الترمذي وابن ماجه، وفراس هو ابن يحيى الهمداني الخارفي أبو يحيى من أصحاب الشعبي، وثقه غير واحد، وروى حديثه أصحاب الكتب الستة.

والشعبي هو عامر بن شراحبيل أبو عمرو تابعي ثقة فاضل مشهور، أخرج حديثه الجماعة، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة.

وبهذا يتبين أن الإسناد الأول ضعيف جداً، والآخران مرسلان ومرسل الزهري إذا استثنينا الواقدي جيد، ويشد بعضها بعضاً.

وقد قال الواقدي: دخل حديث بعضهم في بعض، فالمسألة لها أصل إن شاء الله.

وزاد الطبراني في الكبير: «فقال لهم عيسى بن مريم: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا فافعلوا»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن يا رسول الله نؤدي عنك فابعثنا حيث شئت، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي صاحب هجر، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندا ملكي عمان، وبعث دحية الكلبي إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي.

فرجعوا جميعاً قبل وفاة النبي ﷺ غير العلاء بن الحضرمي، فإن رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين(١).

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري(٢)، أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه، وفيه: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: **«إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا علي كما اختلف**

---

(١) انظر: المعجم الكبير ٨/ ٢٠، وفي سنده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف، ولكن الروايات والشواهد الأخرى تعضده وتؤكده. وانظر: مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وذكره ابن عبد الحكم في فتوح مصر. انظر: سبل الهدى والرشاد ١١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٢) يزيد بن أبي حبيب المصري: روى عن جمع كبير مع كبار التابعين، وروى عنه جمع من الأئمة مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وقد بلغ نحو من خمس وسبعين سنة، وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة، قال أبو سعيد بن يونس: كان مفتي أهل مصر في أيامه، وكان حليماً عاقلاً، وكان أول من أظهر العلم بمصر، والكلام في الحلال والحرام.
وقال الإمام الليث بن سعد تلميذه: يزيد بن حبيب سيدنا وعالمنا.
وقال محمد بن سعد في الطبقات: كان ثقة كثير الحديث، وقد وثقه غير واحد.
انظر: تهذيب الكمال للمزي ٣٢/ ١٠٦، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣١٨.

الحواريون على عيسى بن مريم» قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ . . .

وقد ساقه الواقدي عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان[1] والزهري في النص المتقدم.

وذكره الطبري في التاريخ عن ابن إسحاق[2] وفيه: «فأصبحوا من ليلتهم تلك وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعث إليهم، فقال عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا».

قال أبو عبيدة: عن عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير[3] قال: . . . وكتب إلى أهل اليمن من محمد رسول الله إلى أهل اليمن برسالة فيها: وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية[4].

* حدثنا معاذ عن ابن عون عن عمير بن إسحاق[5] قال: كتب

---

(١) ويزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني مولى آل الزبير، تابعي روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير كما روى عن كبار التابعين، وروى عنه الأئمة الكبار وخرج حديثه أصحاب الكتب الستة، وكان عالماً كثير الحديث ثقة وثقة غير احد من الأئمة، وتوفي سنة ثلاثين ومائة. وانظر: تهذيب الكمال للمزني ٣٢/ ١٢٢ وإحالاته، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٤.

(٢) الطبري التاريخ ٢/ ٦٤٥.

(٣) عروة بن الزبير بن العوام التابعي الإمام ولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة أو نحوها وتوفي سنة أربع وتسعين للهجرة، روى عن جمع من الصحابة والصحابيات وأقرانه التابعين، وروى عنه جمع غفير من التابعين وأتباعهم، وحديثه ملأ الكتب والدفاتر، وكان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثبتاً من أهل الصلاح والتقوى.
قال الزهري: كان عروة بحراً لا تكدره الدلاء.
قلت: وهو من الطبقة الأولى الذين عنوا بالسيرة النبوية والبحث عنها وتدوينها.

(٤) الأموال ص٢٩.

(٥) عمير بن إسحاق القرشي أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن الحسن بن علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسد، وعمرو بن العاص وأبي هريرة وغيرهم. =

رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم وضعه.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما هؤلاء ـ يعني كسرى ـ فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية**»(١).

* وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ(٢).

ومن طريقين آخرين إلى سعيد عن أنس وفيه: ولم يقل: وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي منهم(٣).

عن قتادة عن أنس قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قال: قالوا: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، قال: فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ: نقشه: محمد رسول الله.

وبإسناد آخر إلى قتادة عن أنس: أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم فصاغ رسول الله ﷺ خاتماً حلقة فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله.

عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر وأكيدر دومة يدعوهم إلى الله تعالى(٤).

= وروى عنه عبد الله بن عون، قال النسائي وأبو حاتم: لا نعلم روى عنه غيره، وروى له البخاري في الأدب المفرد والنسائي في اليوم والليلة، ووثقه غير واحد. انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٢/ ٣٧٠.

(١) الأموال ص٣١.

(٢) وهو في صحيح مسلم: ٣/ ١٢٩٧ الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ﷻ.

(٣) وأخرجه في اللباس والزينة ٢/ ١٦٥٧.

(٤) هو عند ابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٩١. =

قال أبو عبيد[1]: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الرحمٰن بن حرملة عن سعيد بن المسيب[2] قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي كتاباً واحداً:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، أما بعد:
﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

فأما كسرى فمزق كتابه ولم ينظر فيه فقال رسول الله ﷺ: «**مُزِّقَ وَمُزِّقَتْ أمته**»، وأما قيصر فقال: إن هذا كتاب لم أره بعد سليمان ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فأرسل إلى أبي سفيان بن حرب، وإلى المغيرة بن شعبة، وكانا تاجرين بالشام فسألهما عن النبي ﷺ وقال: بأبي لو كنت عنده لغسلت قدميه، وليملكن ما تحت قدمي، فقال النبي ﷺ: «**إن له مدة**».

وأما النجاشي فآمن، أو قال: فأسلم، وآمن من كان عنده من أصحاب النبي ﷺ وبعث إلى النبي ﷺ بكسوة فقال النبي ﷺ: «**اتركوه ما تركتم**».

قال أبو عبيد: قوله: وآمن مَنْ عنده من أصحاب النبي ﷺ الأمان يعني: مَنْ عند النجاشي.

وعن عمير بن إسحاق[3]:

= وهو عند البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٧٦ عن أنس وفيه: أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة إلى كسرى. . . الحديث.

(١) الأموال ص٣٢.

(٢) سعيد بن المسيب القرشي المخزومي سيد التابعين، وأحد العلماء الثقات الأثبات والفقهاء الكبار، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين سنة، وحديثه قد ملأ الكتب والدفاتر بدءاً من الكتب الستة.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الأموال ص٣١. وانظر: خليفة بن خياط التاريخ ص٧٩، ومغلطاي الإشارة إلى سيرة المصطفى ص٢٩٤.

وكتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم وضعه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أما هؤلاء** ـ يعني كسرى ـ **فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية**».

ومن هذا يتبين لنا:

١ ـ أن الروايات متضافرة وعديدة عن الصحابة والتابعين، أن رسول الله ﷺ قد كتب كتباً أرسلها مع سفراء انطلق منهم في يوم واحد ستة، فمن شكك في هذا الأمر، فهو معاند للحقيقة مكابر للعلم، منكر لما هو محل اتفاق عند المؤرخين.

٢ ـ أن رسائل هؤلاء كانت عقب صلح الحديبية الذي كان في سنة ست من الهجرة النبوية، وكان انطلاقهم في مطلع سنة سبع للهجرة.

٣ ـ لا شك في أن الدول الكبرى آنئذ هي دولة الروم وعلى رأسها هرقل، ودولة الفرس وعلى رأسها كسرى، ودولة الحبشة وعلى رأسها النجاشي ودولة القبط في مصر وعلى رأسها المقوقس، وهناك إمارات على أطراف الجزيرة في شمالها وجنوبها وعلى رأسها أمراء أو ملوك وكانت ثلاث دول عظمى من الأربع تدين بالنصرانية وعدد من أمراء العرب وملوكهم كانوا يدينون بها تبعاً للولاء السياسي الذي كانوا تحت جناحه في دولة الروم.

٤ ـ مما لا شك فيه ولا يماري فيه عاقل أن السنة السادسة للهجرة لم تكن فيه دولة الإسلام من القوة والهيبة والمنعة التي تستطيع أن تتحدى أصغر الإمارات، بله الدول العظمى والمسلمون مع النبي ﷺ لم يستطيعوا أن يدخلوا مكة!!.

ومع ذلك كتب لهم النبي ﷺ إيماناً ويقيناً بأن الإسلام سيعم وينتشر وما قاله في رسائله وَحَمَّلَه لسفرائه قد كان فعلاً، وهذا من معجزات النبوة فتأملها أيها العاقل الحصيف وتأمل مسيرة الإسلام...

وأما السفراء الأوائل فهم:

١ ـ دحية بن خليفة إلى هرقل الروم.

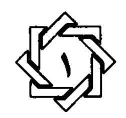
٢ ـ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر.

٣ ـ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بالحبشة.

٤ ـ شجاع بن أبي وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

٥ ـ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى.

٦ ـ سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي وثمامة بن أثال وهما سيدا بني حنيفة.



إلى هرقل

وكان هرقل يحكم الدولة الرومية التي كانت على الحدود الشمالية للجزيرة العربية وتمتد إلى الشمال والغرب في أوروبا، وكانت عاصمتها القسطنطينية. وهرقل اسمه، ولقبه القيصر.

لقد راسل رسول الله ﷺ هرقل الروم أكثر من مرة كما تدل على ذلك النصوص، أولاها بعد صلح الحديبية، ومرة أخرى وهو في غزوة تبوك من السنة التاسعة، وتدل بعض النصوص على مراسلة أخرى، والنصوص التي تتحدث عن هذه المراسلات وفيرة جداً، وفي بعضها ما ليس في الآخر، وسأشير إلى أهمها وأكثرها دلالة على المقصود مع مراعاة الصحة والثبوت.

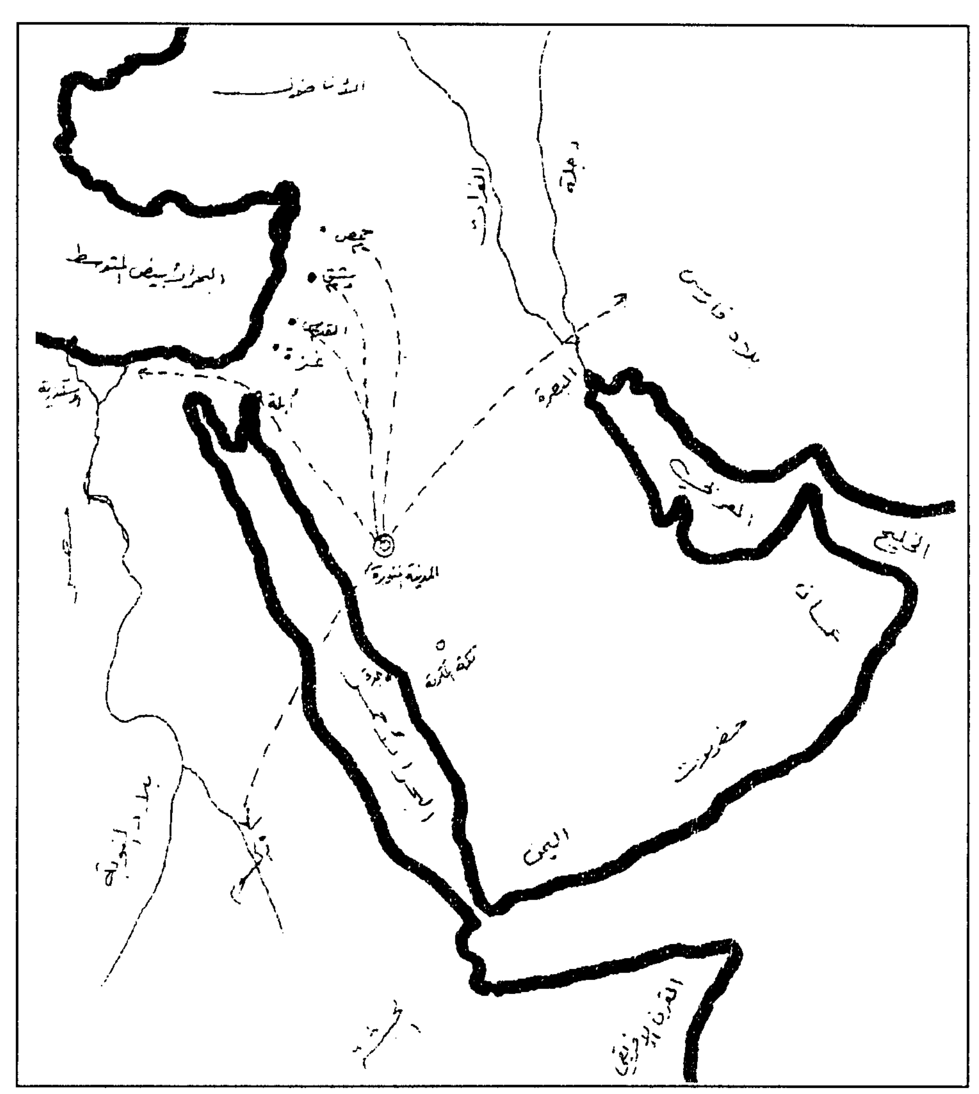
فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه مع دحية الكلبي(١)، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لله ﷻ فيما أبلاه(٢) من ذلك، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺ قال: التمسوا لي ها هنا من قومه أحداً نسألهم عنه(٣).

---

(١) ودحية بن خليفة الكلبي صحابي جليل، كان أحسن الناس وجهاً، وكان ينزل جبريل على صورته، أسلم قديماً وأول مشاهده الخندق، وقيل: أحد، وقد جاء عند ابن قتيبة في غريب الحديث أن دحية كان إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، والمعصر العاتق، وقد نزل دمشق وسكن المزة وتوفي في عهد معاوية.

(٢) أبلاه: قال ابن قتيبة: يقال في الخير: أبليته أبليه إبلاء، ومن الشر بلوته أبلوه بلاء، والابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان، يقال: بلوته وأبليته، وابتليته.

(٣) أخرجه البخاري، الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٦/ ١٠٩. وانظر: مسلم رقم ١٧٧٣.



الرسائل النبوية إلى الملوك والأمراء

وعن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مَادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء[1] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه:

قل لهم: إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال:

كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا.

قال: فهل كان مِنْ آبائه مَنْ مَلَكَ؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه[2]، بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

قال فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مُدَّةٍ لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أُدْخِلُ شيئاً فيها غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم.

---

(١) إيلياء: بيت المقدس.

(٢) السخط، والسخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟ قلت: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتسي بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته[1] القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن

(١) البش: الفرح بالصديق واللطف في المسألة والإقبال عليه، والبشاشة للشيء والمرء الفرح به، والانبساط إليه والأنس به.

أعلم أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة[1] إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ سقفاً[2] على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيأتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاءً[3] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من

(١) أبو كبشة: قيل: هو أحد أجداد النبي ﷺ، وقيل: هو أبوه من الرضاعة زوج حليمة السعدية واسمه الحارث بن عبد العزى.

(٢) والسقف والأسقف: رئيس دين النصارى، قيل: إنه معرب.

(٣) الحزاء: الكاهن.

اليهود، فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقلُ برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره في العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يرم[(١)] حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[(٢)] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا[(٣)] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل[(٤)].

الدعاية: هي الدعوة.

والأريسيون: جاءت بعدة روايات قال ابن الأثير في النهاية، مادة أرس:

قد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى، فروي الأريسين بوزن الكريمين، وروي بوزن الشربيين، وروي بوزن، العظميين، وروي بإبدال الهمزة ياء مفتوحة في البخاري: (اليريسين).

وأما معناها فقال أبو عبيد: هم الخدم والخول، يعني لصده إياهم

---

(١) لم يرم: أي لم يبرح.

(٢) الدسكرة: بناء على هيأة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم، ولسيت بعربية محضة.

(٣) وحاصوا: أي جالوا يطلبون الفرار، والمحيص: المهرب والمحيد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع عديدة وهذا النص من كتاب بدء الوحي حديث رقم ٧، ٣٢١.
وأخرجه مسلم الجهاد والسير ٣/ ١٣٩٣، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٩٢، وهو في مصادر كثيرة مطولاً ومختصراً.

عن الدين، كما قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ أي عليك مثل إثمهم، وقال ثعلب: الأريس: الفلاح.

وقال ابن الأعرابي: أرس يأرس فهو أريس، وأرس يؤرس تأريساً فهو إريس، وجمعها: أريسون وإريسون وأرارسة، وهو الأكارون، وإنما قال ذلك لأن الأكارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليه إثمهم، وقال كراع: الأريس: الأمير.

وقال بعضهم: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، قيل: إنهم أتباع عبد الله بن أريس، رجل كان في الزمن الأول، قتلوا نبياً بعثه الله إليهم، فجاء على النسب إليهم.

وقيل: الإريسون: الملوك، واحدهم إريس، وقيل: هم العشارون.

قال الخطابي: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

وأقول: والأريوسية فرقة كبيرة من النصارى أتباع آريوس، وكان يقول بالتوحيد الخالص، ولم يقل بالتثليث والأقانيم الثلاثة.

* وعن عبد الله بن شداد عن دحية بن خليفة الكلبي قال: بعثني النبي ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت: استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ، فأتي قيصر فقيل له: إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ﷺ ففزعوا لذلك، فقال: أدخله، فأدخلني عليه، وعنده بطارقته فأعطيته الكتاب فقرئ عليه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم.

فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط فقال: لا تقرأ الكتاب اليوم لأنه بدأ بنفسه، وكتب صاحب الروم، ولم يكتب ملك الروم، قال: فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلى الأسقف فدخل عليه وكان صاحب أمرهم لا يصدرون إلا عن رأيه وعن قوله، فلما قرأ الكتاب

قال الأسقف: هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظره.

قال قيصر: فما تأمرني؟ قال الأسقف: أما أنا فإني مصدقه ومتبعه.

فقال قيصر: أعرف أنه كذلك، ولكن لا أستطيع أن أفعل. إن فعلت ذلك ذهب ملكي وقتلني الروم[1].

قال السهيلي: لما قدم دحية على قيصر، قال له: يا قيصر أرسلني إليك مَنْ هو خير منك، والذي أرسله هو خير منه ومنك، فاسمع بِذُلٍّ ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف، قال: هات، قال: هل تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال: نعم، قال: فإني أدعوك إلى من كان يصلي المسيح له، وأدعوك إلى من دبّر خلق السماوات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى، وبشر به عيسى بن مريم بعده، وعندك من ذلك أثارة من علم، تكفي من العيان وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا، واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة ويغيّر النعم.

فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه، ورأسه وقبله، ثم قال:

أما والله ما تركت كتاباً إلا وقرأته، ولا عالماً إلا وسألته، فما رأيت إلا خيراً، فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له، فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه، فأرجع عنه فيضرني ذلك ولا ينفعني، أقم حتى أنظر، فلم يلبث أن أتاه وفاة رسول الله ﷺ[2].

فإن صح هذا الخبر فهي رحلة أخرى إلى قيصر وإلا فهي طرف من

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/٢٦٦ وفي إسناده يحيى بن سلمة بن كهيل، متروك، ويحيى بن عبد الحميد الحماني، مضعف، وأخرجه البزار في مسنده مطولاً من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، وهو ضعيف. انظر: كشف الأستار رقم ٢٣٧٤. وضعفه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/٣٧.

(٢) انظر: الروض الأنف ٤/٢٤٩.

لقائه الأول مع دحية، مما يدل على كمال عقل دحية وحسن حجاجه في ساحة الملوك كما يدل على تثبت قيصر ومعرفته بصفات النبي ﷺ.

وقد جاء في رواية في وصف لهرقل: والله ما رأيت من رجل قط كان أدهى من ذلك الأقلف، ولهذا قال لأبي سفيان بعد سؤاله: قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، كما جاء في رواية الصحيح.

* وعن سعيد بن أبي راشد قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفند(١) أو قرب فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى النبي ﷺ، ورسالة الرسول ﷺ إلى هرقل فقال: قدم رسول الله ﷺ تبوك فبعث دحية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم باباً فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل يدعوني إلى ثلاث خصال، يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب، والله لقد علمتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم نتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم(٢) وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم، رفأهم(٣) ولم يكد، وقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب، فقال: ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي فدفع إلي هرقل كتاباً، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فمهما ضيعت من حديثه

---

(١) الفند: في الأصل الكذب، ويقال للشيخ إذا هرم: قد أفند، لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، وأفنده الكبر: إذا أوقعه في الفند.

(٢) البرانس: جمع برنس، وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أوجبة أو غير ذلك.

(٣) رفأهم: أي سكنهم، وترفق لهم.

فاحفظ لي منه ثلاث خصال، انظر هل يذكر صحيفته التي أرسل إلي بشيء؟، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل به شيء يريبك. فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك، فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً إلى الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه، فناولته كتابي فوضعه في حجره، ثم قال: «**ممن أنت؟**» فقلت: أنا أحد تنوخ، قال: «**هل لك في الإسلام الحنيفية ملة إبراهيم؟**» قلت: إني رسول قوم وإني على دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: «﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾، **يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزَّقه والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها، والله مخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير**».

قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي، تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار**».

قال: فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما فرغ من قراءة كتابي قال: «إن لك حقاً، وإنك رسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا سفر مرملون»، قال: فناداه رجل من طائفة الناس، قال: أنا أجوزه، ففتح رحله، فإذا هو يأتي بحلة صفورية، فوضعها في حجري، قلت: من صاحب الجائزة قيل لي: عثمان.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**أيكم يُنزل هذا الرجل**»، فقال فتى من الأنصار: أنا. فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ وقال: «**تعال يا أخا تنوخ**»، فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حبوته عن

ظهره، وقال: «هنا امض لما أمرت له»، فجلت في ظهره، فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل المحجمة الضخمة(١).

وفي رواية: قال عباد بن عباد المهلبي، أحد رواته: قلت لعبد الله بن عثمان بن خيثم راويه عن سعيد بن أبي راشد: أليس قد أسلم النجاشي، ونعاه رسول الله ﷺ بالمدينة إلى أصحابه فصلى عليه؟ قال: بلى، ذاك فلان بن فلان، هذا فلان بن فلان، قد ذكرهم ابن خثيم جميعاً فنسيتهما.

وسفر: أي مسافرون.

ومرملون: أي نفد زادهم، وأصله من الرمل وذلك أن الزاد إذا فني يبقى في أسفل الوعاء فتات مثل الرمل، أو كأنهم لصقوا بالرمل.

وحلة صفورية: نسبة إلى صفورية: بلد بالأردن.

* وعن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الروم، فقال: يا معشر الروم إني عارض عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها، قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل إنا نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه، فتسلم لنا دنيانا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ وذكره عبد الله بن أحمد من غير طريق أبيه فهو من زياداته على المسند، وأبو يعلى وقال الهيثمي: رجاله ثقات وأخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري رقم ٤٦٥٠. وقال عن إسناد أحمد: إسناد صحيح. وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص٣٢٥ مختصراً.
وقال ابن كثير في البداية ٥/ ١٦: حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به أحمد (أي دون الستة).
ورواية عبد الله بن أحمد في زيادته على المسند فيها: عن سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية قال: قدمت الشام فقيل لي: في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ، قال: فدخلنا الكنيسة، فإذا أنا بشيخ كبير، فقلت له: أنت رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ، فقال: نعم، قلت: حدثني عن ذلك، قال: إنه لما غزا تبوك كتب كتاباً إلى قيصر وبعث به مع رجل يقال له: دحية بن خليفة، فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره، وبعث إلى بطارقته... الحديث.

وآخرتنا، فقالوا: نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً، وأكثره رجالاً، وأفضلهم بلداً؟ قال: فهلم أعطيه الجزية أكسر شوكته، وأستريح من حربه، بمال أعطيه إياه.

قالوا: نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا، ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً؟ لا والله لا نفعل هذا أبداً.

قال: فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية، ويدعني وأرض الشام؟

(قال: وكانت أرض سورية: فلسطين والأردن ودمشق وحمص، وما دون الدرب سورية وما كان وراء الدرب فهو عندهم الشام).

فقالوا: نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها سرة الشام لا نفعل هذا أبداً.

فلما أبوا عليه قال: أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم.

قال: ثم جلس على بغل له فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية، تسليم الوداع، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية[(١)].

ومن حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟»** فقال رجل من القوم: وإن لم أقتل، قال: **«وإن لم تقتل»**، فانطلق الرجل به فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس، وقد جعل له بساط لا يمشي عليه غيره، فرمى الكتاب على البساط وتنحى، فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق، فأقرأه فقال: ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمك، فنادى قيصر من

---

(١) أخرجه ابن إسحاق. وانظر: فتح الباري ١/٤٣، والبداية لابن كثير ٤/٢٦٧، وتاريخ الطبري ٢/٦٥١.

صاحب الكتاب فهو آمن، فجاء الرجل، فقال: إذا أنا قدمت فأتني، فلما قدم أتاه، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر منادياً ينادي ألا إن قيصراً قد اتبع محمد ﷺ، وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره.

فقال لرسول رسول الله ﷺ: قد ترى أني خائف على مملكتي، ثم أمر منادياً فنادى: ألا إن قيصر قد رضي عنكم، وإنما خبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا فانصرفوا.

وكتب قيصر لرسول الله ﷺ: إني مسلم وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: **«كذب عدو الله ليس بمسلم، وهو على النصرانية، وقسم الدنانير»**(١).

ومما تقدم يستطيع الباحث أن يجزم بتعدد المراسلات بين النبي ﷺ، وهرقل، ويلاحظ المطلع كذلك معرفة هرقل وأهل العلم بالنصرانية في مملكته بمجيء النبي ﷺ وأوصافه، ودعوته، وتأكد هرقل واستوثق لهذا الأمر من أقرب الناس إلى النبي ﷺ من أبي سفيان. ويلاحظ القارئ كذلك تلطف النبي ﷺ في الخطاب له، وذلك بوصفه بعظيم الروم، وخاطبه بما هو فيه من منزلة في قومه وشعبه.

وأوجز النبي ﷺ له القول في بيان ماهية دعوة الإسلام، وغاية هذا الدين الخاتم، وما يجب أن يلتقي عليه أصحاب الديانات السماوية خاصة والناس كلهم عامة، بنص فصل من كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ...﴾ الآية.

وتُظْهِرُ الروايات جميعها، يقين هرقل، وعلماء مملكته أن الإسلام

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٤٥٠٤، وأخرجه أبو عبيد في الأموال ص٣٢٤، والحارث بن أبي أسامة عن بكر بن عبد الله المزني مرسل ورواته ثقات، انظر: بغية الباحث عن زوائد الحارث رقم ٦٤٠، وإتحاف المهرة بزوائد العشرة للبوصيري رقم ٤٣٨٩.

سيعم دولتهم، ويشمل ساحتهم لأحقيته، وحاجة البشرية لشريعته، وأن مبادئه التي يدعو الناس إليها، من الإيمان بالله واليوم الآخر، والصلاة، والصدق، والصدقة - كما في بعض الروايات - والعفاف، والوفاء، وعدم الغدر. . .

وأن الإسلام بهذه المبادئ الثابتة، والمعاني النبيلة الخيرة، سيبقى مطمح النفوس الخيرة، وضابط التعايش البشري السليم.

وللباحث أن يلاحظ اختيار النبي ﷺ للسفير الذي أرسله بما فيه من مؤهلات من رجاحة عقل، وعمق معرفة، وبعد نظر، وقدرة على الحِجَاج والحوار الهادف البناء، مع جمال صورة وكمال الخَلْق والخُلُق، ومعرفة بلغة المخاطب. . .

وأما مصير هذا الكتاب فقد قال السهيلي في الروض ٤/١٩٧[١]:

وقد روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قصبة من فضة تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر في أرفع صوان وأعز مكان حتى كان عند (إذ فونش) الذي تغلب على طليطلة وما أخذ أخذها من بلاد المسلمين ثم كان عند ابن ابنته المعروف (بالسليطين).

حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد، قال: فأخرجه إلي فاستعرته وأردت تقبيله، وأخذه بيدي، فمنعني من ذلك صيانة له وَضَنّاً به علي.

قلت: وكان وفاة الإمام السهيلي بمراكش سنة ٥٨١هـ.

وقال الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ:

وأنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي، قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب بهدية، فأرسلني ملك المغرب إلى ملك الفرنجة في

---

(١) الروض الأنف ٢/١٩٧.

شفاعة فقبلها، وعرض عَلي الإقامة عنده فامتنعت، فقال لي: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج لي صندوقاً مصفحاً بذهب فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زالنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه، ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا[١].

وأيد ذلك الحافظ ابن حجر بالروايات التي تدل على حفظ هرقل للكتاب وتعظيمه له، وقول النبي ﷺ: «**ثبت الله ملكه**»، وفي رواية: «**وأما هؤلاء فستكون لهم بقية**»، ورواية: «**فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير**»، وقد تقدمت هذه الروايات.

وفي روض القرطاس لابن زرع، وغيره من كتب تاريخ المغرب التي تحدثت عن وقعة العقاب الواقعة حوالي ٦٠٦هـ، أن الملك الناصر لدين الله محمد بن يعقوب المنصور الموحدي لما خرج إلى الأندلس بقصد الغزو، وسمع الأذفونش (الفونس) بمقصده، بعث رسوله إلى الناصر يستأذنه في القدوم عليه، فقدم عليه في خاصته وزوجته، وهديته، وقدم بين يديه كتاب النبي ﷺ الذي كتبه إلى هرقل ملك الروم ليستشفع له به عنده، ويعلمه أن الملك عنده موروث كابراً عن كابر، فكان هذا الكتاب يتوارثونه، محفوظاً مطيباً في حلة خضراء في وسط صندوق من ذهب مملوء مسكاً تعظيماً له وإجلالاً لحقه[٢].

وفي التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٧هـ قال:

حدثني رسول الأذفونش (الفونس) بتعريف ترجمان موثوق من أهل

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٤٤. وانظر: التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني ١/ ١٥٦.

(٢) انظر: التراتيب الإدارية للسيد عبد الحي الكتاني ١٥٨١، وأحاله كذلك على الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى للناصري.

العدالة يسمى صلاح الدين الناصري، الترجمان، أن الأذفونش من ولد هرقل المفتتح من الشام، وأن الكتاب الشريف النبوي الوارد على هرقل متوارث عندهم، محفوظ مصون يلف بالديباج والأطلس، ويدخر أكثر من ادخار الجوهر والأعلاق، وهو إلى الآن عندهم، لا يخرج ولا يسمح بإخراجه، ينظر فيه بعين الإجلال، ويكرمونه غاية الكرامة بوصية توارثوها كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف[١].

وقد تتبع تاريخ هذا الكتاب وتنقله، الدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي في كتابه: «Le prophéte de l'Islam»، وقال بعد نقل ما تقدم ومناقشة بعض المستشرقين ما تعريبه: منذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب، فإن النسخة الأصلية لهذه الرسالة ـ أي كتاب النبي ﷺ ـ قد عادت إلى الظهور، وحسب خبراء المتحف البريطاني في لندن، فإن الرق يعود إلى عهد الرسول ﷺ[٢].

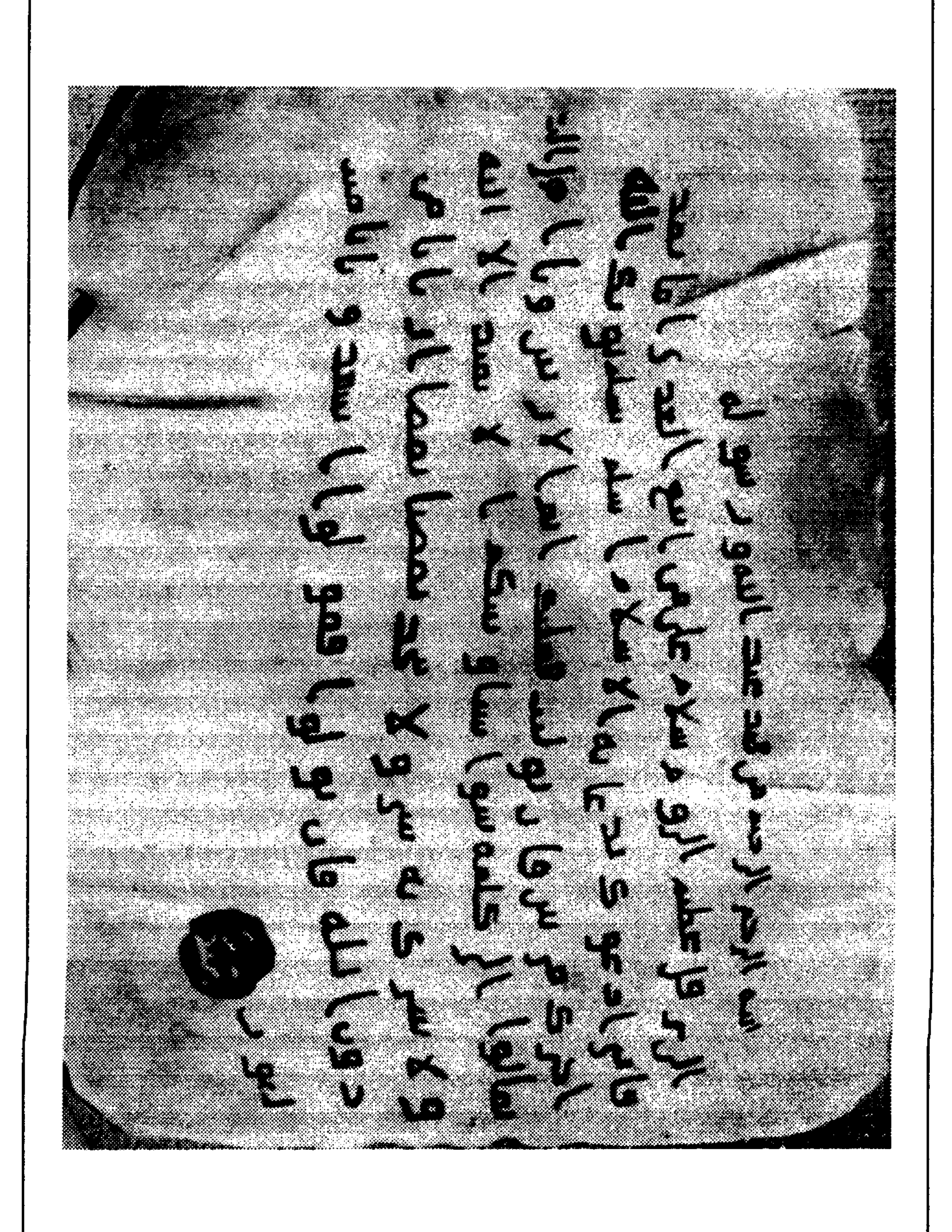
وتحدث الدكتور حميد الله عن هذه الرسالة في كتابه الوثائق السياسية، وأثبت صورتها في الكتابين.

ويبدو أن أمر هذه الرسالة قد آل إلى الحسين بن طلال ملك الأردن السابق[٣]، ونحن بدورنا نقتبس صورتها فنثبتها هنا.

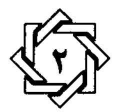
(١) انظر: التراتيب الإدارية ١/ ١٦٠ ونقله عن صبح الأعشى للقلقشندي.

(٢) المرجع المذكور ١/ ٣٢٥، وقال: تحدثت عنها صحيفة الأمل التونسية في عددها رقم ٥٨٠٧ بتاريخ ٥ ماي ١٩٧٤، ١٦ ربيع الثاني ١٣٩٤هـ في ثمانية أعمدة...

(٣) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص١٠٨ ـ ١٠٩.



كتاب النبي ﷺ إلى هرقل،
عن مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة



إلى المقوقس

وكان يحكم دولة القبط في بلاد مصر والنوبة والجنوب واسمه جريج بن مينا.

وبعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي(١) وهو أحد الستة السفراء الأول، إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً فأوصل إليه الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وختم الكتاب.

---

(١) وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي المكي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي، من مشاهير الصحابة المهاجرين، شهد بدراً والمشاهد، كان من الرماة الموصوفين، يتجر في الطعام، وهو الذي كتب إلى قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، فجيء بالكتاب فقرئ ودعي حاطب فاعترف، وقال: يا رسول الله ﷺ والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي... فقال النبي ﷺ: **«صدق ولا تقولوا له إلا خيراً...»**.

قال المرزباني: كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها، وقد توفي سنة ثلاثين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه، وله خمس وستون سنة. انظر: سير النبلاء ٢/ ٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٣٠٠.

فخرج به حاطب حتى قدم الإسكندرية، فلما دخل عليه قال له: اعلم أنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

اعلم أن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه، فهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه. إن النبي دعا الناس فكان أشد الناس عليه قريش وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلى كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فرأيته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبأ، والإخبار بالنجوى وسأنظر في ذلك.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام.

وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة وبغلة لتركبها والسلام.

ودفع الكتاب إلى حاطب وأمر له بمائة دينار، وخمسة أثواب وقال: ارجع إلى صاحبك، ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً، فإن القبط لا يطاوعوني في اتباعه، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر صاحبك على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده، فارحل من عندي.

قال: فرحلت من عنده ولم أقم إلا خمسة أيام، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت له ما قال لي فقال: «**ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه**».

قال الزيلعي: أثبته أبو عمر في الصحابة، ثم ضرب عليه وقال: يغلب على الظن أنه لم يسلم، وكانت شبهته في إثباته إياه في الصحابة رواية رواها ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: أخبرني المقوقس أنه أهدى لرسول الله ﷺ قدحاً من قوارير فكان يشرب فيه، وذكره ابن نافع في الصحابة وذكر له الحديث المذكور...

قال الدارقطني: واسم المقوقس هذا: جريج بن مينا[1].

وقد ذكر هذا المعنى ابن سعد في الطبقات عن الواقدي كذلك دون أن يذكر نص الكتاب وتمام المحاورة بين حاطب والمقوقس وفيه[2]:

فقبل رسول الله ﷺ هديته، وأخذ الجاريتين مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وأختها سيرين، وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذٍ غيرها، وهي دلدل.

وفيه: قال حاطب: كان مكرماً لي في الضيافة، وقلة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار مختصراً بالنص الأخير عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: أهدى أمير القبط لرسول الله ﷺ جاريتين أختين قبطيتين، وبغلة، فأما البغلة فكان يركبها، وأما إحدى الجاريتين فتسراها فولدت له إبراهيم وأما الأخرى فأعطاها حسان بن ثابت[3].

---

(١) انظر: الزيلعي نصب الراية ٣/ ٤٢١ ـ ٤٤٢، وعزاه إلى الواقدي في آخر كتاب الردة.

(٢) انظر: ابن سعد الطبقات ١/ ٢٦٠. وانظر: ابن سيد الناس ٢/ ٣٥٠.

(٣) انظر: مشكل الآثار ١١/ ١٣٦ وأخرجه البزار في مسند انظر رقم ١٩٤٥ من كشف الأستار وسنده جيد، حسنه الحافظ ابن حجر في الإصابة، رجاله ثقات غير بشير بن المهاجر فقد احتج به مسلم، وتكلم فيه بعضهم مع احتمال حديثه.

وجاء من حديث حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب قال: أهدى مقوقس القبط إلى النبي ﷺ هدية وبغلة شهباء فقبلها[(١)].

وعند السهيلي[(٢)] مثله دون ذكر نص الكتاب النبوي ولا نص رسالة المقوقس وفيه: فأهدى للنبي ﷺ أم إبراهيم القبطية ـ واسمها مارية بنت شمعون ـ وأختها معها، واسمها: سيرين وهي أم عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت، وغلاماً اسمه مأبور، وبغلة اسمها دلدل، وكسوة، وقدحاً من قوارير كان يشرب فيه النبي ﷺ وكاتبه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدى المقوقس صاحب مصر إلى رسول الله ﷺ قدحاً من زجاج وكان يشرب فيه[(٣)].

قال الصالحي[(٤)] عن ابن القيم: مارية، وأختها سيرين وقيسرى، وأهدى الرسول ﷺ فرساً اسمه اللزاز، وبغلته دلدل وحماراً وغلاماً خصياً ممسوحاً اسمه مأبور، وقدحاً من قوارير كان رسول الله ﷺ يشرب فيه وشاباً من قباطي مصر.

قال في زاد المعاد: عشرين ثوباً، وألف مثقال ذهباً، وعسلاً من عسل بنها، فأعجب رسول الله ﷺ بالعسل، ودعا في عسل بنها، وغير ذلك للنبي ﷺ.

وفي وفاء الوفاء لابن الجوزي[(٥)] بعد أن ذكر الخبر مختصراً: وأهدى إليه أربع جوار، منهن مارية وحماراً يقال له: عفير، وبغلة يقال لها: الدلدل، ولم يسلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير رقم ٣٤٩٧، وفي سنده زكريا بن يحيى الكسائي وهو ضعيف جداً.

(٢) الروض الأنف ٤/٢٤٩.

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١١/١٢٨، والبزار في مسنده رقم ٢٩٠٤ من كشف الأستار بسندهما وفيه مندل بن علي العنزي وهو ضعيف، وعزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٥٣٠ إلى ابن قانع وأبي نعيم.

(٤) سبل الهدى ١١/٣٤٩.

(٥) ابن الجوزي، وفاء الوفاء ٢/٧١٧.

وبعضه عند ابن سعد، وكله عند ابن عبد الحكم في فتوح مصر وفيه: فلما انتهى إلى الإسكندرية وجده في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بالكتاب بين أصبعيه، فلما رآه أمر به فأوصل إليه، فلما قرأه قال: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو علي فيسلط علي، فقال له حاطب: ما منع عيسى أن يدعو على من أراده بالسوء؟! قال: فوجم لها ثم قال له: أعد فأعاد...

وذكر ابن عبد الحكم بسنده إلى أبان بن صالح، قال: أرسل المقوقس إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث، فقال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: إلام يدعو محمد؟ قلت: أن يعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم... إلى أن قال: صفه لي.

قال: فوصفته فأوجزت قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها، في عينيه حمرة قَلَّمَا تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالتمرات والكسر، ولا يبالي من لاقى من عم وابن عم.

قال: هذه صفته وقد كنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً، ولا أحب أن يعلم بمحادثتي إياك أحد.

وأخرج ابن عبد الحكم من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس لما أتاه الكتاب، ضمه إلى صدره، وقال: هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته في كتاب الله... وساق الحديث وفيه الهدايا التي تقدم ذكرها[1].

---

(١) انظر: الإصابة لابن حجر ٣/ ٥٣١.

وذكر أبو نعيم في دلائل النبوة[1] حديثاً بين المغيرة بن شعبة قبل أن يسلم وبين المقوقس، وبين المغيرة وأسقفا من أساقفة الإسكندرية وساق سنده من طريق الواقدي عن خمسة من شيوخه.

والنص ذكره ابن الجوزي في وفاء الوفا بأخبار المصطفى ﷺ[2]، ودون أن يحيل إلى مصدر وهو مطابق لما عند أبي نعيم ومرجعه إلى الواقدي، والله أعلم.

وعند البيهقي في دلائل النبوة[3]: ومن طريق ابن إسحاق عنه قال: حدثنا الزهري عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري، أن رسول الله بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها، وخادمتين، إحداهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها لجهم بن قيس العبدي، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر.

وعبد الرحمٰن بن عبد القاري كان على بيت المال لعمر، وقيل: إنه ولد على عهد النبي ﷺ ولهذا فعده بعضهم في الصحابة.

وذكر ابن قيم الجوزية نص الكتاب والمحاورة مع حاطب، وقال: والبغلة دلدل بقيت إلى زمن معاوية[4].

وساق البيهقي[5] بسنده إلى يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك

---

(١) أبو نعيم ١/ ١٠١.
(٢) وفاء الوفاء ٢/ ٧١٧.
(٣) الدلائل ٤/ ٣٩٥. وانظر: مشكل الآثار ١١/ ١٣٦.
(٤) زاد المعاد ٣/ ٦٩١.
(٥) انظر: البيهقي ٤/ ٣٩٥ وهو عند ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ونسبه لابن شاهين. انظر: ١/ ٣٦٠، وانظر: ابن كثير البداية ٤/ ٢٧٢.

الإسكندرية قال: فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله، وأقمت عنده، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقته فقال: إني سأكلمك بكلام وأحب أن تفهمه مني، قال: قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت: بلى هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لَمْ يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟

قال: فقلت: عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يغلبوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله ﷺ حتى رفعه الله إليه في السماء الدنيا؟ قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم.

هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك ببذرقة[1] يبذرقونك إلى مأمنك.

قال: فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار منهن أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وواحدة وهبها لأبي جهم بن حذيفة العدوي، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطرف من طرفهم.

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار[2].

وهذه النصوص المتقدمة، وإن كان في أسانيد بعضها كلام أو إرسال أو انقطاع إلا أنها بمجموعها تؤكد المحاورة بين حاطب وبين المقوقس، وتؤكد مجيء الهدايا الكثيرة من المقوقس لرسول الله ﷺ مع قطعية الرسالة النبوية إليه، وتقبلها بقبول حسن إلا أنه لم يسلم، ولما جاء عمرو بن العاص فاتحاً مصر صالحه[3]. . .

وقد قبل النبي ﷺ الهدايا من المقوقس، كما قبل هدايا من غيره كما

---

(١) والبذرقة هي الحامية المسلحة.

(٢) ابن كثير البداية ٤/ ٢٧٣، قال ابن كثير: وكان في جملة الهدايا غلام أسود خصي اسمه مأبور، وخفين أسودين ساذجين. وانظر: ابن سيد الناس ٢/ ٣٥١.

(٣) انظره في: الإصابة ٣/ ٥٣٢، ونقله عن فتوح مصر لابن عبد الحكم وذكره بسنده عن جماعة من التابعين.

سيأتي تألفاً وتأنيساً لهم، لا سيما ولم يكن من جانبه قتال أو اعتداء على المسلمين، بل كانت المقاربة، وفي هذا توجيه وإعلام لأمة الإسلام أن يقبلوا هدايا من يأنسون منه القرب والود، بل ويهدونه، وقد فعل النبي ﷺ ذلك، وهذا داخل في البر الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد بوّب البخاري في صحيحه كتاب الهبة: باب قبول الهدية من المشركين، ويريد جواز ذلك، وبوب باب الهدية للمشركين، وذكر الآية المتقدمة.

قال الإمام الطبري: قبول النبي ﷺ هدايا المشركين إنما كان نظراً منه للمسلمين وعوداً بنفعه عليهم، لا إيثاراً منه نفسه دونهم، وللإمام قبول هدايا أهل الشرك وغيرهم إذا كان ما يقبله من ذلك للمسلمين.

وأما رده ﷺ هدية من رده هديته منهم فإنما كان ذلك من أجل أنه أهداها له في خاصة نفسه، فلم ير قبولها، تعريفاً منه لأئمة أمته من بعده أنه ليس له قبول هدية أحد لخاصة نفسه.. ولا خلاف بين الجميع أن الله تعالى قد أباح للمسلمين أموال أهل الشرك بالقهر والغلبة لهم بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم ...﴾ الآية، فهو بطيب أنفسهم لا شك أحل وأطيب...

وقد أهدى ملك الروم إلى مسلمة بن عبد الملك لؤلؤتين وهو بالقسطنطينية، فشاور أهل العلم من ذلك الجيش فقالوا: لم يهدهما إليك إلا لموقعك من هذا الجيش، فنرى أن تبيعهما وتقسم ثمنهما على هذا الجيش[١].

وقد جاء من حديث عياض بن حمار قال: أهديت النبي ﷺ ناقة فقال: أسلمت؟

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ١٣٠ وما بعدها.

قلت: لا، قال: إني نهيت عن زبد المشركين[١].

والزبد: بفتح الزاي، وسكون الباء الموحدة هو الرفد.

وجاء عن ابن شهاب الزهري عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، ورجال من أهل العلم أن عامر بن مالك الذي يدعى ملاعب الأسنة، قدم على رسول الله ﷺ وهو مشرك فأهدى له، فقال: إني لا أقبل هدية مشرك[٢].

وأما قبوله للهدايا عليه الصلاة والسلام من ملك أيلة، وأكيدر دومة والنجاشي، واليهودية التي أهدت الشاة المسمومة في خيبر[٣]، وغير ذلك فكثير جداً، ولهذا فالمسألة منوطة بالمصلحة للمسلمين وتأنيس المهدين.

لقد كانت هذه المراسلة النبوية للمقوقس، تمهيداً لفتح مصر بعده عليه الصلاة والسلام بأيسر سبيل، وأسهل تكاليف، بل إنه قد أوصاهم عليه الصلاة والسلام بالعناية بأهل مصر، وأنها ستفتح عليهم فقال لهم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «**منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدم من حيث بدأتم**»، شهد على ذلك لحم أبو هريرة ودمه.

وفي رواية أبي داود: «**منحت مصر إردبها، وتبرها ودينارها، ثم عدتم من حيث بدأتم**»، قالها زهير ثلاث مرات[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، الخراج والإمارة والفي، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين رقم ٣٠٥٢ ط الشيخ عوامة، والترمذي في جامعه السير وقال: حسن صحيح، وابن خزيمة وغيرهم.

(٢) أخرجه موسى بن عقبة في مغازيه، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل. انظر: فتح الباري ٥/ ٢٣٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الهبة ٥/ ٢٣٠ وما بعدها. وانظر: الحاوي للماوردي ٦/ ٢٨٢، والمغني لابن قدامة ١٠/ ٥٦٦.

(٤) أخرجه مسلم، الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب رقم ٢٨٩٦، وأبو داود، الخراج، باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة رقم ٣٠٣٠ ط الشيخ محمد عوامة.

وهذا الحديث بشارة بفتح هذه الأقاليم، وأن أهلها سيسلمون فتسقط عنهم الجزية، وقيل: إن الروم والعجم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين.

وقيل: يرتدون في آخر الزمان فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها.

وقيل: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك(١).

وقال أبو العباس القرطبي(٢): وهذا منه إخبار بأن أمور الدين، وقواعده يترك العمل بها لضعف القائم بها، أو لكثرة الفتن واشتغال الناس بها، وتفاقم أمر المسلمين فلا يكون من يأخذ الزكاة ولا الجزية ممن وجبت عليه، فيمتنع من وجب عليه حق من أدائه.

وقوله: «**عدتم من حيث بدأتم**»: أي رجعتم على الحالة الأولى التي كنتم عليها من فساد الأمر، وافتراق الكلمة، وغلبة الأهواء، وذهاب الدين.

وجاء من حديث أم سلمة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: «**الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله**»(٣).

وعن كعب بن مالك الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا افتتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً**»، قال الزهري راويه عن عبد الرحمٰن بن كعب أو عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه كعب: فالرحم أن أم إسماعيل منهم(٤).

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٨/ ٢٠.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ٢٣٠.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٢٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٦٣: ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٢ وقال: على شرط الشيخين، والطبراني ١٩/ ٦١ =

ومن حديث أبي ذر قال النبي ﷺ: **«إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيه القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»**، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها، وفي رواية: **«فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً»**، أو قال: **«ذمة وصهراً»**[1].

ومن مرسل أبي عبد الرحمٰن الحبلي، واسمه عبد الله بن يزيد، وعمرو بن حريث ـ وقيل بصحبته ـ وغيرهما، قالوا: إن رسول الله ﷺ قال: **«إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله»** ـ يعني قبط مصر ـ[2].

وأخرج ابن سعد عن الواقدي، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم قال: سمعت عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يحدث عمي ـ يعني الزهري ـ قال رسول الله ﷺ: **«لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي»**.

وأخرج ابن سعد بسنده إلى مكحول يحدث عن رسول الله ﷺ قال في ابنه إبراهيم لما مات: **«لو عاش ما رق له خال»**[3].

= قال الهيثمي: بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ١٠/ ٦٣، وعبد الرزاق في المصنف رقم ٩٩٩٦، ٩٩٩٨، والطحاوي في مشكل الآثار ٣/ ١٤، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٣٢٢، وغيرهم.

(١) أخرجه مسلم فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر رقم ٢٥٤٣، وأحمد في المسند ١٧٤، ٥/ ١٧٣، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٦٨، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٣٢١ وغيرهم.

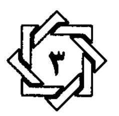
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٦٩، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٦٤، وقال: رجاله رجال الصحيح، وقد ذكره ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وغيره.

(٣) انظر: الطبقات ١/ ١٤٤ وهما مرسلان.



كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس،

عن مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة



إلى النجاشي

وكان يحكم بلاد الحبشة وما والاها. والنجاشي لقب لمن يملك الحبشة.

وقد تقدم أن أول بلد حل فيه المسلمون المكيون هو الحبشة، وكان مخرجهم ذلك من مكة إلى الحبشة في رجب في السنة الخامسة من البعثة النبوية، وكانت القافلة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، وما ذلك إلا لانتشار خبر ملك الحبشة بالعدل والاستقامة وحسن الجوار، فخرجت هذه القافلة متسللين سراً، فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار، فحملوهم إلى أرض الحبشة.

ثم لحقتهم قافلة أخرى نافت على الثمانين، فأمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي الذي أحسن جوارهم حين نزلوا به، وعبدوا ربهم لا يخافون على ذلك أحداً[1]، ولم يسمعوا شيئاً يكرهونه.

قال ابن إسحاق:

وهذا كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي[2]:

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣، وغيره من المصادر الكثيرة التي أجمعت على هذا الأمر.

(٢) هو في السير والمغازي لابن إسحاق، نص رواية يونس بن بكير، قطعة المغرب ص٢٢٨، وقد اقتبسه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٣٣، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣٠٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم، عظيم الحبشة:

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ فإن أبيت فعليك إثم النصارى قومك.

ويبدو أن هذا الكتاب مشابه للكتب التي أرسلها إلى هرقل وكسرى والمقوقس وغيرها، وكانت تلك الكتب في السنة السادسة، ولعل المرسل إليه هو الذي انتفض على أصحمه، وكان كافراً.

ثم كتب رسول الله ﷺ له كتاباً آخر، وأرسله مع عمرو بن أمية الضمري(١)، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول، الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما نفخ آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وأن تؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤوك فأكرمهم ودع التجبر فإني

---

(١) وعمرو بن أمية الضمري أبو أمية مشهور الصحبة أسلم حين انصرف المشركون من أُحد ـ أي في السنة الثالثة ـ وكانت أول مشاهده إلى بئر معونة، وكان شجاعاً، من رجال العرب جرأة ونجدة، كان النبي ﷺ يبعثه في أموره، ومنها إلى مكة ليحمل خبيباً من خشبته، وله ذكر في مواطن عديدة توفي سنة ستين للهجر.ة انظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٩.

أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى.

ويبدو أن هذا الكتاب هو أول كتاب أرسله رسول الله ﷺ إلى النجاشي.

فكتب إليه النجاشي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله، من أصحمة النجاشي، سلام عليك، يا نبي الله من الله، ورحمة الله وبركات الله، الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقاً، وأنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لرب العالمين.

والثفروق: علاقة ما بين النواة وقمع التمرة، وقيل: قمع التمر[1].

وقد نقل ابن الجوزي هذا، وزاد فيه[2]:

وقد بعثت إليك بابني، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني

---

(١) هذا النص أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٦٥٢ عن محمد بن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وذكر الكتاب، وجواب النجاشي، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٠٩ وما بين القوسين منه. وابن كثير البداية ٣/ ١٣.
وهو عند ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٤٩ الكتاب وجوابه عن الواقدي دون إسناد، وابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٦٨٩، وذكره الزيلعي في نصب الراية ٤/ ٤٢١ عن الواقدي.
والصالحي في سبل الهدى والرشاد ١١/ ٣٦٥، وعند الباقلاني في إعجاز القرآن ص١٣٤ نص الكتاب النبوي.

(٢) انظر: ابن الجوزي، وفاء الوفاء ٢/ ٧٣٥، وابن كثير البداية ٣/ ٨٤.

أشهد أن ما تقول الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة حتى إذا توسطوا البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا[1].

قال ابن إسحاق: كان اسم النجاشي: مصحمة، وهو بالعربية عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولك: كسرى وهرقل.

قال البيهقي: كذا في هذه الرواية مصحمة، والذي روينا عن يونس عن ابن إسحاق في الكتاب: أصحم أصح[2].

قال ابن إسحاق[3]:

إن عمراً ـ أي ابن أمية الضمري ـ قال له:

يا أصحمة إن علي القول، وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك، شاهد لا يرد، وقاضٍ لا يجور، وفي ذلك موضع

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/١٠٢: قال أبو موسى: ذكر الإمام أبو القاسم إسماعيل، يعني شيخه التيمي في المغازي: في السنة السابعة، كتب النبي ﷺ إلى الملوك وبعث إليهم الرسل، فذكر القصة، قال: وبعث إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري قال: كتب إليه النجاشي الجواب بالإيمان، وفي كتابه: إني بعثت إليك ابني أرمى بن أصحمة، فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت يا رسول الله أتيتك.

قال: فخرج ابنه في ستين نفساً من الحبشة في سفينة في البحر فغرقوا كلهم، هكذا ذكرها أبو موسى عن شيخه بلا إسناد، وقد ذكرها ابن إسحاق في المغازي مطولة، وقد ذكرها الطبري في تاريخه، والثعلبي في تفسيره، وذكرها البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق، لكن سماه: إريحا. دلائل النبوة ٢/ ٤١٠، وانظر: السير والمغازي ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

قال ابن حجر: يقال أرهى.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣١٠. انظر: السير والمغازي ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) انظر ذلك في: ابن سيد الناس عيون الأثر ٢/ ٣٤٩، وزاد المعاد ٣/ ٦٨٩، والصالحي سبل الهدى والرشاد ١١/ ٣٦٥.

الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف، وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر. ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ.

وعن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: بعث رسول الله ﷺ أربعة نفر إلى أربعة وجوه:

رجلاً إلى كسرى، ورجلاً إلى قيصر، ورجلاً إلى المقوقس وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم.

فلما أتى عمرو بن أمية النجاشي، وجد لهم باباً صغيراً يدخلون منه مكفرين[١] فلما رأى ذلك عمرو ولى ظهره القهقرى، قال: فشق ذلك على الحبشة في مجلسهم عند النجاشي حتى هموا به، حتى قالوا للنجاشي: إن هذا لم يدخل كما دخلنا، قال: ما منعك أن تدخل كما دخلوا؟ قال: إنا لا نصنع هذا بنبينا، ولو صنعناه بأحد صنعناه به، قال: صدق، قال: دعوه، قالوا: للنجاشي، هذا يزعم أن عيسى مملوك.

قال: فما تقول في عيسى؟ قال: كلمة الله وروحه، قال: ما استطاع عيسى أن يعدو ذلك[٢].

وعن سعيد بن المسيب:

كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي. . . .

فأما النجاشي فآمن، وآمن من كان عنده، وأرسل إلى رسول الله ﷺ

---

(١) المكفر: هو الذي يضع يديه على صدره، وينحني للتحية.

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/٣٣٨ ـ ٣٣٩.

بهدية حلة، فقال رسول الله ﷺ: **«اتركوه ما ترككم...»**[١].

وعن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم قالت:

لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال لها:

إني أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من مسك ولا أرى النجاشي إلا قد مات، ولا أرى هديتي إلا مردودة علي، فإن ردت علي فهي هدية لك.

فكان كما قال رسول الله ﷺ، فردت عليه هديته، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية مسك، وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة[٢].

وكان من ثقة النبي ﷺ برجاحة عقل النجاشي، وأدبه وإسلامه أن طلب منه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجابه إلى ذلك وأصدقها عنه أربعمائة دينار.

فعن عروة عن أم حبيبة أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة، فزوجها النجاشي النبي ﷺ، وأمهرها عنه أربعة آلاف وجهزها من عنده، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة[٣].

قال أبو داود: عقد النكاح عثمان بن عفان، وكان بأرض الحبشة.

وقيل: إن الذي تولى العقد خالد بن سعيد بن العاص.

وقال الزهري: إن النجاشي زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان من

---

(١) ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٣٨.

(٢) أخرجه مسدد في مسنده، وأبو يعلى الموصلي، وأحمد بن حنبل ٦/ ٤٠٤ عن موسى بن عقبة عن أبيه، وابن سعد في الطبقات ٨/ ٩٥، وابن حبان في صحيحه عن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم عن أم سلمة، والطبراني في ٢٣/ ٣٥٣، والحاكم ٢/ ١٨٨ عن موسى بن عقبة عن أم كلثوم بنت أبي سلمة قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ؛ وعند البيهقي في سننه الكبرى ٦/ ٢٦. وانظر: إتحاف المهرة للبوصيري ٢/ ٢٩٥ و٤/ ٤٩٠.

(٣) انظر: سنن أبي داود، النكاح، باب الصداق رقم ٢١٠٠، ٢١٠١، والنسائي في سننه النكاح، باب القسط في الأصدقة ٦/ ١١٩، وسنده صحيح. وانظر: التعليق المفيد للشيخ عوامه على الحديث في سنن أبي داود.

رسول الله ﷺ على صداق أربعة آلاف درهم، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقبل[(١)].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه:

أن النجاشي كتب إلى النبي ﷺ: إني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك: أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديت لك هدية جامعة قميصاً وسراويل وعطافاً، وخفين ساذجين. فتوضأ النبي ﷺ ومسح عليهما قال سليمان: قلت للهيثم: ما العطاف؟ قال: الطيلسان[(٢)].

وقد أخرج ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني قال: حدثني عبد الرحمٰن بن سعد بن عمار بن سعد بن عمار بن سعد المؤذن قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد، وعمار بن حفص بن عمر بن سعد، وعمر بن حفص بن عمر بن سعد عن آبائه عن أجداده أنهم أخبروه أن النجاشي الحبشي بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاث عَنَزَاتٍ فأمسك النبي ﷺ واحدة لنفسه، وأعطى علي بن أبي طالب واحدة، وأعطى عمر بن الخطاب واحدة، فكان بلال يمشي بتلك العَنَزَةِ التي أمسكها رسول الله ﷺ لنفسه في العيدين يوم الفطر ويوم الأضحى حتى يأتي المصلى فيركزها بين يديه فيصلي إليها، ثم كان يمشي بها بين يدي أبي بكر... الحديث[(٣)]، وعند ابن سعد في الطبقات بسنده عن عائشة أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذه وإنه

---

(١) سنن أبي داود رقم ٢١٠١، وهو مرسل عن الزهري.

(٢) وفاء الوفاء لابن الجوزي ٢/٥٦٨ ـ ٥٦٩، وذكر الخفين عند ابن سعد في الطبقات ١/٤٨٢ عن الفضيل بن دكين أخبرنا دلهم بن صالح حدثني رجل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه صاحب الحبشة أهدى رسول الله ﷺ ساذجين فمسح عليهما.
وأخرجه عن محمد بن ربيعة الكلابي عن دلهم عن حجير بن عبد الله عن ابن بريدة... الحديث. وانظر: المحبر لابن حبيب ص٧٦.

(٣) الطبقات ٣/٢٣٥، والعَنَزَةُ: عصا أقصر من الرمح، ولها زج في أسفلها، والجمع: عنز، وعنزات، مثل: قصبة، وقصب وقصبات.

عنه لمعرض فأرسل به إلى ابنة ابنته زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية[1].

حل إشكال:

وقد كتب النبي ﷺ إلى عظيم الحبشة ونجاشيها أكثر من مرة كما هو واضح من النصوص، وقد جاء عن عدد من الصحابة في كثير من المصادر بدءاً من الصحيحين البخاري ومسلم وما تلاهما أن النجاشي قد أسلم ثم أعلم النبي بموته وصلى عليه وكان مكرماً للمسلمين محسناً إليهم. . .

وفي رواية مسلم عن أنس بن مالك أن الذي كتب إليه النبي ﷺ ليس بالنجاشي الذي صلى عليه.

وعند أبي عبيد في الأموال عن سعيد بن المسيب قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي كتاباً واحداً[2]. . . وقد تقدم النص.

وقد اضطرب المؤرخون وعلماء السيرة والحديث في حل هذا الإشكال في تعدد الكتابة وهل هو مسلم أم كافر؟!.

والجواب عليه واضح في نص سيرة ابن إسحاق أن النجاشي الذي أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إليه قبل هجرته إلى المدينة هو أصحمة، وهو الذي أسلم ورعى المسلمين في جوارهم، وقد انتقض عليه بعض رجال الحبشة ونازعه الملك، وقامت الحرب بينهما والمسلمون يشهدون هذا الانقسام، وهذا الذي نازع أصحمة الملك هو الذي صادف رسالة النبي ﷺ التي أرسلها بعد صلح الحديبية: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. . .

وقد غُلِبَ هذا المنازع وانهزم، وعاد المسلمون إلى خير جوار حتى جهزهم وأعادهم إلى النبي ﷺ مكرمين فوافوه بخيبر من السنة السابعة،

---

(١) الطبقات ٨/ ٤٠ و٨/ ٢٣٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم، الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ﷻ ٣/ ١٢٩٦، واللباس والزينة ٢/ ١٦٥٧، والأموال لأبي عبيد ص٣٢.

وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين، الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية، ثم توفي النجاشي في السنة التاسعة للهجرة رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قال: قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أَمِنَّاً على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جليدين وأن يهدوا للنجاشي الهدايا مما يُسْتَطْرَفُ من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ـ الجلود ـ فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية.

ثم بعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص(١)، فأمروهما

---

(١) ذكروا في السيرة أن عمرو بن العاص ذهب إلى الحبشة مرتين، ومعه في إحداهما عبد الله بن أبي ربيعة، وفي الأخرى: عمارة بن الوليد. وانظر رواية ابن مسعود لهذا الحديث عند: أبي داود الطيالسي في مسنده ص٤٦ قال: حدثنا حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون، وبعثت قريش عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص. . . وذكر الحديث، وفي آخره: فمرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فانزلوا حيث شئتم من أرضي.

وأخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٦١، والبزار كما في كشف الأستار ٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، والحاكم في مستدركه ٢/ ٦٢٣ مختصراً وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وسنده لا بأس به، فعبد الله بن عتبة بن مسعود هو ابن أخيه لعبد الله بن مسعود، والراوي عنه أبو إسحاق السبيعي ثقة أخرج له الجماعة وقد اختلط بأخرة.

وحديج بن معاوية أخو زهير بن معاوية صدوق، وثقه بعضهم وضعفه بعضهم من قبل حفظه. وأبو داود الطيالسي إمام وتابعه غير واحد عليه.

وانظر: سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٢١٤ فذكره من طريق محمد بن سليمان لوين عن حديج بن معوية وأخرج ابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٥ بسند رجاله ثقات عن أبي موسى قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض =

بأمرهم وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجنا حتى قدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا فيهم إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقال بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يُكَادُ قوم جاؤوني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن

= النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية فقدمنا وقدموا على النجاشي.
وجاء ذكر عمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص عند موسى بن عقبة في المغازي كما في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٨٥.

كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ: ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، فسألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له:

أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي مِنّا الضعيف، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. . .

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه؛ وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى، فعبدنا الله وحده لم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين نبينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال النجاشي: فاقرأ علي، قالت: فقرأ عليه صدراً من (كهيعص).

قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت[1] لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة...

انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم[2].

قالت: فقال عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا نفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً ما هو كائن، قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

---

(١) أي: ابتلت لحيته.

(٢) أي: جماعتهم.

قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

قالت: فتناظرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، واذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً فيكم - والدبر بلسان الحبشة: الجبل -.

ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار(١).

قالت: فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه.

قالت: فوالله ما علمتنا حَزِنَّا حُزْناً قط أشد من حزن حَزِنَّاهُ عند ذلك

---

(١) ولقائل أن يقول: ولماذا اختار جعفر بن أبي طالب صدر سورة مريم فقرأها أمام النجاشي، وبطارقته؟!.

وأرى والله أعلم أن الدين النصراني الحق قد اضطرب - كما قدمت من قبل - وذهب أهله فيه نحلاً وآراء كثيرة، وخاصة فيما يتعلق بعيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل صلوات الله وسلامه، فمنهم من قال: هو إله، ومنهم من قال: ابنه، ومنهم من يقول بأن له صفتين ناسوتية ولاهوتية، ومنهم من قال عبد الله، وعن هذا انبثقت خلافات كثيرة بينهم، منها ما هو عقدي ومنهم ما هو سلوكي، ومن جانب آخر كان صراع اليهود مع النصارى، فاليهود يقذفون سيرة مريم بأبشع القذائف والتهم، ويزعمون أنهم قتلوا عيسى وصلبوه، فجاء القرآن، فوضح للنصارى طبيعة المسيح، وكذب اليهود في مزاعمهم، وكانت سورة مريم تتحدث عن الطاهرة مريم، وعن ولادة المسيح وطبيعته، فوضعت الحق في نصابه، وأزالت اللبس عن أخطر قضية اضطرب النصارى بشأنها، فأيد النجاشي نص القرآن، وأكده بما عنده من العلم وشواهد العقل، وهو من جعفر اختيار في غاية التوفيق والتسديد، ثم توالت آيات أخرى ترد على اليهود المفترين. . .

تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

قالت: وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل.

قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا، فقالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سِنَّاً.

قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت: فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنا على ذلك، متوقعون مما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمح بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده.

قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها.

قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة، فكُنَّا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

وهذا سند صحيح إلى أم سلمة أم المؤمنين، وكانت من المهاجرين(١).

ويزيد هذا النص وضوحاً ما أخرجه ابن إسحاق قال: وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي:

---

(١) انظر: ابن هشام ١/ ٣٥٢. وأخرجه أحمد في المسند قال: حديث جعفر بن أبي طالب هو حديث الهجرة ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ و٥/ ٢٩٠، وقال: حديث جعفر بن أبي طالب، وهو حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال في مجمع الزوائد ٦/ ٢٧: رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع.

إنك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه، قال: فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفناً، وقال اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم.

ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفُّوا له، فقال: يا معشر الحبشة: ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا - وإنما يعني ما كتب - فرضوا عنه وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له(1).

وقد تقدم في مراسلة هرقل وقدوم التنوخي على رسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ له: يا أخا تنوخ إني كتبت إلى النجاشي بكتابي فخرقها، والله مخرقه ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبكم بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير. وهذا يؤيد أن كتاب النبي ﷺ بالنص الذي أرسل به إلى كسرى وقيصر والنجاشي بعد الحديبية كان إلى هذا الذي نازع أصحمة العادل الصالح والله أعلم.

وسبب إرسال النبي ﷺ أصحابه إلى هذا الرجل يظهر لي والله أعلم أَنَّ ذكره بالعدل والرحمة والصلاح قد شاع.

وسبب ذلك ما أخرجه ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين حدثت عروة أن النجاشي هذا كان ملك قومه، ولم يكن له ولد

---

(1) ابن هشام ١/٣٦٣.

إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة.

فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثنا عشر رجلاً، فتوارثوا ملكه من بعده بقية الحبشة دهراً، فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً، ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلننا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه، فمشوا إلى عمه، فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم؟ بل أخرجه من بلادكم.

قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه لرجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه في سفينة، فانطلق به حتى إذ كان العشي من ذلك جاءت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته.

قالت: ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو محمق ليس في ولد خير، فخرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه، قالت: فخرجوا في طلبه وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه، ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه، فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيك شيئاً، قال: إذا والله أكلمه، قالوا: فدونك وإياه.

قالت: فجاءه فجلس بين يديه فقال:

أيها الملك، ابتعت غلاماً من قوم في السوق بستمائة درهم، فأسلموا

إلي غلامي ومنعوني دراهمي، قالت: فقال لهم النجاشي: لتعطنه دراهمه، أو ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه.

قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله في رشوة حتى رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه.

قالت: وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور[١].

وبهذا ينحل إن شاء الله هذا الإشكال، ويتضح الحال، ويظهر تعدد الرسائل النبوية إلى الحبشة، وقد أشار إلى ذلك مؤكداً ابن قيم الجوزية في زاد المعاد[٢] فقال: هما اثنان.

وسبب صلاته على النجاشي في السنة التاسعة كما ذهب إليه الأكثرون من العلماء، وأن الذي مات قبل فتح مكة هو الذي نازع الملك صاحبه.

وقد أثنى النبي ﷺ على النجاشي عندما صلى عليه فقال: قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه.

وفي رواية: مات اليوم عبد الله صالح.

وهناك رواية جيدة تدل على إسلام هذا الرجل ودعوته عمرو بن العاص إلى الإسلام.

---

(١) انظر: مختصر ابن هشام ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ وهذان إسنادان صحيحان إلى السيدة عائشة رضي الله عنها، ولا يخشى من عنعنة محمد بن إسحاق عن الزهري هنا. وانظر: قول عائشة في سنن أبي داود من طريق محمد بن إسحاق رقم ٢٥١٥. وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤١٩.

(٢) ٣/ ٦٩٠.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس قال: عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلموا والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟، قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يده أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما نهديه إلينا من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه، فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً، مرحباً بصديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟، قال: قلت: نعم أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً قد خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟!!

قال: قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون، وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال ـ أي تحول

وتغير ـ رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي. . . الحديث[1]، في إسلام عمرو بن العاص، وخروجه إلى النبي ﷺ قبيل الفتح ولقائه خالد بن الوليد وإسلامهما. . .

وفي الصلاة عليه رواية: **«قوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»**.

وفي رواية: **«استغفروا لأخيكم»**.

وفي رواية: **«إن أخاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه»**.

وفي رواية: **«إن أخاكم مات بغير أرضكم فقوموا فصلوا عليه»**.

وهذه الرويات في الصحيحين وغيرهما، وروى الصلاة عليه جمع غفير من الصحابة[2] منهم: أبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، والرواية عنهم في الصحيحين، وعمران بن حصين، عند أحمد وابن أبي شيبة، وسعيد بن زيد عند أبي يعلى الموصلي وغيرهم.

قال الذهبي: ولم يثبت أنه ﷺ صلى على غائب سواه[3].

ومما يذكر هنا في تمام إكرام النجاشي لأصحاب رسول الله ﷺ ما جاء عن جعفر بن أبي طالب قال: لما أتينا النجاشي فأردنا الخروج من عنده حملنا وزودنا، وأعطانا، ثم قال: أخبروا صاحبكم بما صنعت بكم

---

(١) ابن هشام، السير ٣/٣١٧ ـ ٣١٩، وهذا سند جيد، فيزيد بن أبي حبيب إمام مصر ثقة فقيه، وراشد مولى حبيب بن أبي أوس، قال ابن معين: ثقة يروي عنه المصريون، وقد روى عن حبيب، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب المصري، وحبيب بن أوس أو ابن أبي أوس الثقفي المصري، وروى عن أبي أيوب الأنصاري، وعمرو بن العاص، وقد ذكر أبو سعيد بن يونس أنه شهد فتح مصر، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: مقبول.

(٢) انظر: صحيح البخاري: الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه ٣/١١٦ وإحالات المحقق، وقد أخرجه البخاري في مواضع كثيرة. وانظر خاصة: الجنائز باب موت النجاشي. وانظر: صحيح مسلم: الجنائز باب التكبير على الجنازة رقم ٩٥١ ـ ٩٥٢.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١/٤٢٩.

وهذه رسلي معكم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ﷺ، فقل له يستغفر لي.

قال جعفر: فخرجنا من عنده، حتى أتينا المدينة فتلقاني النبي ﷺ فاعتنقني وقال: **«ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح، أم بقدوم جعفر»**، ثم جلس فقام رسول النجاشي، فقال: هذا جعفر فسله عما صنع به صاحبنا؟

فقال جعفر: قد حفل بنا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وقال لنا: قل له: يستغفر لي، فدعا ثلاث مرات: اللهم اغفر للنجاشي، فقال المسلمون: آمين، فقلت للرسول: انطلق فأبلغ صاحبك ما رأيت من النبي ﷺ(١).

وقد أبلغ جعفر رسول الله ﷺ ما رأى، وأحب المسلمون هذا الرجل، وقد جاء من حديث أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى لرسول الله ﷺ مستقة من سندس، فلبسها فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان، ثم بعث به إلى جعفر فلبسها ثم جاءه فقال النبي ﷺ لم أعطكها لتلبسها، قال: فما أصنع بها؟ قال: أرسلها إلى أخيك النجاشي(٢).

والمستقة: بضمتين وفتحتين: فروة طويلة الأكمام، وقد غشيت بالسندس.

أقول وهذا النص وغيره يدل على تواتر المراسلات بين النبي ﷺ والنجاشي والمسلمين الذين كانوا في كنفه. وأن لهذا الملك موقعاً عظيماً في قلب النبي ﷺ، كما كان للنبي ﷺ التقدير العظيم في قلب النجاشي، ولا تزال محبته في قلب كل مسلم إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٣/ ٢٨٥ وقال: لا نعلم أحد رواه عن جعفر متصلاً إلا بهذا الإسناد، وقد رواه أجلح عن الشعبي قال: لما قدم جعفر من الحبشة... ولم يذكر عبد الله بن جعفر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤١٨: وفيه أسد بن عمرو ومجالد بن سعيد وثقهما غير واحد وضعفهما جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه اللباس، باب في كره الحرير رقم ٤٥٤٤، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو مضعف.

ولك أن تلاحظ أن الذين انتقضوا عليه، كان من اعتراضاتهم عليه إيواؤه للمسلمين وحدبه عليهم، وإحسانه إليهم، وما أشبه الليلة بالبارحة واليوم بالأمس؟!!.

وأما ضابط اسمه: فقد قال ابن حجر في فتح الباري: وقع في جميع الطرق التي اتصلت لنا من النجاشي: (أصحمة) ـ بمهملتين ـ بوزن أفعلة، مفتوح العين في المسند والمعلق معاً ووقع في مصنف بن أبي شيبة: (صحمة) بفتح الصاد وسكون الحاء.

حكى الإسماعيلي أن في رواية عبد الصمد: (أصخمة) بخاء معجمة، وإثبات الألف، وحكى الكرماني أن في بعض النسخ في رواية محمد بن سنان: (أصحبة)[1].

وقيل: (صمحة).

وقيل: (مصحمة) بزيادة ميم في أوله بدل الألف[2].

وقد دفن النجاشي في محل يسمى: منكل العلامة من أعمال مقاطعة تيغري، وفي هذا المحل وهو قريب من عقامة ـ أغامي ـ ينعقد سوق كبير كل سنة ويأتي إليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشي على ما ذكره صادق باشا المؤيد العظيم في رحلته إلى الحبشة التي ذهب فيها سفيراً للدولة العثمانية[3].

وقد أخبرني أحد الفضلاء الأرتيريين أن قبره لا زال هناك يرعى، وتعقد عنده سوق سنوية!!!.

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢٠٣.

(٢) انظر: الإصابة ١/ ١٠٩.

(٣) التراتيب الإدارية ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦.



إلى الحارث بن أبي شمر الغساني

وكان يحكم دمشق عاصمة الغساسنة وما حولها، وتابعاً سياسياً، وديناً للدولة الرومية.
وقيل: كان يحكم البلقاء من أرض الشام، وهي من البادية.
﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ...﴾ [الفتح: ٢٨].

وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً[١].

قال شجاع: فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطاف لقيصر، وهو جاء من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه وكان رومياً اسمه مري يسألني عن رسول الله ﷺ فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فيرق حتى يغلبه البكاء فيقول: إني قد قرأت الأناجيل فأجد صفة هذا النبي ﷺ بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي.

وخرج الحارث يوماً فجلس ووضع التاج على رأسه فأذن لي عليه،

---

(١) وشجاع بن وهب ويقال: ابن أبي وهب حليف لبني عبد شمس شهد هو وأخوه عقبة المشاهد كلها بدراً وما تلاها، قال ابن عبد البر: ولا أعلم له رواية، وكان من السابقين الأولين، ممن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وكان رجلاً نحيفاً طويلاً أجنى، استشهد باليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة، انظر: ترجمته في الاستيعاب والإصابة.

فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه ثم رمى به وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، علي بالناس، فلم يزل يعرض حتى قام وأمر بالخيول تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر: ألا تسير والهُ عنه ووافني بإيلياء، فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غداً فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصلني مري، وأمر لي بنفقة وكسوة وقال: أقرئ رسول الله مني السلام، فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته فقال: «**باد ملكه**»، وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال:

فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**»، ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح(١).

ونص الكتاب عن الواقدي:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده، لا شريك له، يبقى لك ملكك)، وختم الكتاب(٢).

وقد منع الحارث بن أبي شمر الغساني الدخول في الدين النخوة الجاهلية، والاعتداد بالقوة التي كان يملكها، واتكاؤه على أسياده الروم، الذين كان يقوم منهم مقام الحارس للحدود، المدافع لهم على الثغور،

---

(١) عن طبقات ابن سعد ١/ ٥٦١ عن الواقدي بأسانيده.
وهو عند ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٥٦، والزيلعي في نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ٤/ ٤٥٤.

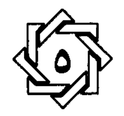
(٢) انظره في: نصب الراية للزيلعي ٤/ ٤٢٤، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢/ ٣٥٦ ومن طريق ابن سيد الناس، ذكره ابن طولون في أعلام السائلين ص١٠٢، وابن قيم الجوزية في زاد المعاد ٣/ ٦٩٧، وابن كثير البداية والنهاية ٤/ ٢٦٨، وغيرها من المصادر المتأخرة، ويبدو أن المصدر في نص هذا الكتاب عند الجميع هو الواقدي كما نقلنا النص المتقدم عن ابن سعد عنه، ولكن لم يذكر ابن سعد نص الكتاب وأحال إليه من ذكرنا هنا.

النائب عنهم في قتال القبائل العربية المجاورة، مقابل حماية منهم، والتفاتة تقديرية نحوه. . .

ولكن عمره طوي سريعاً، وزوال ملكه كان أسرع وخلف بعده عبرة للعقلاء الراشدين عبر الحقب والأزمان، وقد ذكر ابن حبيب البغدادي سبب ملك غسان، ودخولهم تحت طاعة الروم، وأن ذلك كان بسبب قتالهم من سليم الذين كانوا ملوك الشام قبل غسان، وتحت طاعة الروم ويجبون - أي يأخذون الجباية - من مضر وغيرها ممن نزل بساحتهم للروم، ونزلت غسان في جمع عظيم في الشام، وبعد برهة التقت سليم وغسان، فأبادتهم غسان وانتصرت عليهم، فخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه، فأرسل إلى رئيسهم ثعلبة بن عمرو فقال: أنتم قوم لكم بأس شديد، وعدد كثير، وقد قتلتم هذا الحي، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة، وإني جاعلكم مكانهم، وكاتب بيني وبينكم كتاباً إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم بأداتهم، وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس، فقبل ذلك ثعلبة وكتب الكتاب بينهم، فملك ثعلبة وتوجَّهَ. . . إلى أن وصل الملك فيهم إلى الحارث بن أبي شمر، وكان آخرهم جبلة بن الأيهم[1].

إنها معاهدات دفاع مشترك تارة مع فارس وتارة مع الروم لضرب أحياء العرب ببعضها. . .

(١) انظر: المحبر ص٣٧٢.



إلى جبلة بن الأيهم الغساني

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وكتب رسول الله ﷺ إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام، وقد حمل كتابه ﷺ شجاع بن وهب[(١)]، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية، ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب، فبينما هو في سوق دمشق، إذ وطئ رجلاً من مزينة، فوثب المزني فلطمه.

فأخذ، وانطلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم جبلة، قال: فيلطمه، قالوا: وما يقتل؟ قال: لا، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله تعالى بالقَوَدِ.

قال جبلة: أوترون أني جاعل وجهي نِدّاً لوجه جَدْي جاء من عمق!!

بئس الدين هذا، ثم ارتد نصرانياً، وترحل بقومه حتى يدخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر، فشق عليه، وقال لحسان بن ثابت: أبا الوليد، أما علمت أن صديقك جبلة بن الأيهم ارتد نصرانياً؟!. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولم؟ قال: لطمه رجل من مزينة، قال: وحق له، فقام إليه عمر بالدرة فضربه بها[(٢)].

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٣٨: روى ابن وهب عن يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمٰن عن شجاع بن وهب أن النبي ﷺ أرسله إلى جبلة، قلت: وهذا سند رجاله ثقات أئمة، قال: وكذا قال الواقدي، ورواه ابن منده من طريق بريدة بن الحصيب نحوه وقد يكون الاثنان معاً. وانظر: المحبر لابن حبيب ص٧٦.

(٢) ابن سعد الطبقات ١/ ٢٦٥.

قال السهيلي في الروض الأنف[1]: وأما شجاع بن وهب فقدم على جبلة بن الأيهم، وهو جبلة بن الأيهم بن الحارث بن أبي شمر، وجبلة، وهو الذي أسلم ثم تنصر من أجل لطمة...

فقال له شجاع بن وهب: يا جبلة إن قومك نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم ـ يعني الأنصار ـ فآووه، ومنعوه، وإن هذا الدين الذي أنت عليه، ليس بدين آبائك، ولكنك ملكت الشام، وجاورت بها الروم، ولو جاورت كسرى لدنت بدين الفرس لملك العراق.

وقد أقر بهذا النبي من أهل دينك، من إن فضلناه عليك لم يغضبك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، فإن أسلمت، أطاعتك الشام وهابتك الروم، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة، وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع، والأذان بالناقوس، والجمع بالشعانين، والقبلة بالصليب!!. وكان ما عند الله خير وأبقى.

فقال جبلة: إني والله لوددت أن الناس أجمعوا على هذا النبي الأمي اجتماعهم على خلق السماوات والأرض، ولقد سرني اجتماع قومي له، وأعجبني قتله أهل الأوثان واليهود، واستبقاءه النصارى.

ولقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة، فأبيت عليه، فانتدب مالك بن نافلة[2] من سعد العشيرة، فقتله الله، ولكني لست أرى حقاً ينفعه، ولا باطلاً يضره، والذي يمدني إليه أقوى من الذي يختلجني عنه، وسأنظر.

وأسلم جبلة ثم ارتد إلى حمأة الكفر، بفعلة لم يرد فيها طريق الحق والسداد، ثم دخل جبلة بن الأيهم معركة اليرموك مع هرقل كما جاءت

---

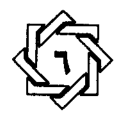
(١) ٤/ ٢٥٠، وقد جاء أن الرسول إلى جبلة هو صُدَيْ بن عجلان، أبو أمامة الباهلي، انظر: الصالحي ١١/ ٣٥٩.

(٢) وفي ابن هشام في غزوة مؤتة ٣/ ٤٣٠: مالك بن زافلة، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٧ ـ ٤١: ابن رافلة.

بذلك عدة روايات، قال البلاذري في فتوح البلدان عن شيوخه[١]: جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم، وأهل الشام، وأهل الجزيرة وأرمينية تكون زهاء مائتي ألف، وولى عليهم رجلاً من خاصته، وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغساني، في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم، وعزم على محاربة المسلمين فإن ظهروا وإلا دخل بلاد الروم فأقام في القسطنطينية، واجتمع المسلمون فرجعوا إليهم فاقتتلوا على اليرموك أشد قتال وأبرحه، واليرموك نهر، وكان المسلمون يومئذٍ أربعة وعشرين ألفاً، وتسلسلت الروم وأتباعهم يومئذٍ[٢]، لئلا يطمعوا أنفسهم بالهرب، فقتل الله منهم زهاء سبعين ألفاً، وهرب فلهم،.. وأرسل إليه عمر بن الخطاب عمير بن سعد وأمره أن يتلطف إليه ليرجع فأبى، واستمر مع حاشيته في بلاد الروم إلى أن هلك وهو حسير ذليل، ليس له شأن يذكر ولا عمل مشكور يؤثر، نحو ٢٠ للهجرة، وبقي خبره عبرة لكل حمية جوفاء، وجاهلية رعناء، ولم يستفد من هذا الدرس البليغ إلا النجباء، ووقع في مثل ما وقع فيه جبلة بن الأيهم عبر العصور كثير من البلهاء الأغبياء...

(١) انظر: فتوح البلدان ص١٨٤.

(٢) أي: ربطوا أنفسهم بالسلاسل.



ضغاطر الأسقف الرومي

[كبير علماء النصرانية في عصره]

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا أصحاب الصوامع». وقال الخليفة أبو بكر الصديق وهو يشيع الغزاة إلى الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان: إنكم تأتون قوماً في صوامع لهم، فدعوهم وما أعملوا أنفسهم له.

ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣٨٧

وكتب رسول الله ﷺ إلى ضغاطر الأسقف:

سلام على من آمن، أما على إثر ذلك، فإن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الزكية، وإني أؤمن بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى(١).

وبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي.

قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، أن هرقل قال لدحية بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ: ويحك والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبك، فهو والله أعظم مني في الروم، وأجوز قولاً عندهم مني، فانظر ما يقول لك.

---

(١) أخرجه ابن سعد عن الواقدي عن شيوخه ١/ ٢٧٦.

قال: فجاءه دحية، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل، وبما يدعو إليه، فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه بصفته، ونجده في كتابنا باسمه. ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سود، ولبس ثياباً بيضاً، ثم أخذ عصاه، فخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد، يدعونا فيه إلى الله ﷻ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله.

قالوا: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه.

فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر، قال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر - والله - كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني[(١)].

وقد ذكر الدكتور محمد حميد الله في الوثائق السياسية[(٢)]: أن سعيد بن منصور صاحب السنن قد سماه بغاطر، بدل ضغاطر، وكلاهما تقريب: أوتوكراتور Autocrator، ولعله تغاطر، وذكر ما عسى أن يكون نتيجة رسالة النبي ﷺ، فقال: وكان للروم أسقف يقال: بغاطر على بيعة لهم يصلي فيها ملوكهم، فلقي بعض أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: اكتبوا لي سورة من القرآن، فكتبوا له سورة، فقال: هذا الذي نعرف كتاب الله فأسلم وأسر ذلك.

ثم ذكر القصة كيف أعلن الإسلام وأبى أن يرتد فقتلوه وحرقوه.

---

(١) ذكره عن ابن إسحاق الطبري، التاريخ ٢/ ٦٥٠، ويحيى بن سعيد الأموي في المغازي، وعبدان المروزي. وروى عبدان المروزي من طريق سلمة بن كهيل عن عبد الله بن شداد عن دحية مثله، ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حصين عن عبد الله بن شداد نحوه وأتم منه، انظر: ابن حجر في الإصابة ٢/٢١٦. ورواه البزار من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف، انظر: مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٧، وذكره ابن حبان في سيرته التي في صدر كتابه الثقات دون إسناد ٢/٧، وقد تقدم ذكره في حديث هرقل فانظره.

(٢) انظر ص١١٥.

قلت: وفي الإصابة أن اسمه عند سعيد بن منصور: تفاطر، وقد تقدم في رسالة هرقل عن صحيح البخاري وغيره، وكان ابن الناطور - وفي رواية الحموي لصحيح البخاري - ابن الناظور، بالظاء المعجمة، صاحب إيلياء هرقل سقفاً على نصارى الشام...

وفي الحديث: أن هرقلاً كتب إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص، حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فهؤلاء علماء أهل الكتاب وملكهم هرقل، يعرفون أن رسالة الإسلام حق، وأن صاحبها نبي مرسل متمم لرسالات الأنبياء السابقين.

وضغاطر: مثال لطائفة غير قليلة ممن اهتدى للحق، وضحى في سبيله من علماء أهل الكتاب وعقلائهم ومفكريهم خلال القرون، كانوا ولا يزالون ينضوون تحت لواء الإسلام عندما يتعرفون إلى هديه، وخاصة الذين لهم اطلاع على التوراة والإنجيل والقرآن، فيصلون إلى أن رسالة محمد ﷺ الخاتمة، وأن كتابه هو الرسالة الشاملة العامة للبشرية، كما يبين ذلك القرآن الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ...﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي هذه الرسالة النبوية توجيه وإرشاد إلى أن إبلاغ الإسلام وهداياته للعظماء والعلماء من المفكرين والباحثين عن الحق، وعِلْيَةِ القوم أصحاب التأمل والنظر، والسداد والفكر، أولى من غيرهم من الناس، هؤلاء إلى الحق أسرع، وتأثيرهم في الناس أبلغ وأكثر، وشهادتهم على الحق أشهر وأذكر، والخلائق لهم أتبع...



الوفود

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وكان ذلك سنة تسع، وتسمى سنة الوفود.

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

توطئة

والوفود جمع وفد: وهم القوم يجتمعون ويردون البلاد، واحدهم وافد، وقد يجمع على وفاد، ووفد. والوفد أصل يدل على إشراف وطلوع، وهو ذروة الحبل من الرمل المشرف، وكذلك الذين يردون الأمراء: لزيارة واسترفاد وانتجاع، وغير ذلك.

وقيل: هم الجماعة المختارة من القوم ينتقونهم للقاء العظماء والكبراء.

وهم المقصودون هنا.

قال الأصمعي: وفد فلان يفد وفادة إذا خرج إلى ملك أو أمير.

وقال الجوهري: وفد فلان على الأمير: أي ورد رسولاً، وجمع الوفد: أوفاد، ووفود.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

قال الراغب في المفردات: يقال: وفد القوم يفدون وفادة، وهم وفد ووفود، وهم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الحوائج.

والوافد من الإبل السابق[١].

وقد بدأت الوفود ترد إلى النبي ﷺ في وقت مبكر، وتكاثرت إليه سنة تسع وعقب نزول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ولسان العرب، مادة وفد، ومفردات الراغب، والنهاية في غريب الحديث والأثر، وغيرها من المصادر اللغوية، مادة وفد.

ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

وقد أَرَّخَ العلماء للوفود السابق منها واللاحق ليثبتوا فضل السابقين المهاجرين الذين قدموا فأسلموا وأطاعوا قبل الهجرة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠].

وكان للنبي ﷺ اهتمام بالوفود، **استقبالاً، وضيافة، وَتَجَمُّلاً، وجوائز** فكان يجري عليهم الضيافة، ويحسن استقبالهم ويسائلهم ويتردد عليهم ويلبس أحسن الثياب لاستقبالهم....

فلقد خصص عليه الصلاة والسلام داراً لنزول الوفود ـ دار الضيافة ـ وكأنها كانت معروفة لدى الصحابة، والقادمين، ومن تتبع ورود الوفود الواردة إلى رسول الله ﷺ يتبين له ذلك، فقد جاء في طبقات ابن سعد ـ وهو من أجمع المصنفات التي عنيت بالوفود[1] ووصلت إلينا ـ في ذكر وفد سلامان وقد صادفوا رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد وقد دعي إلى جنازة فقال: من أنتم؟، قالوا: نحن من سلامان، قدمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال: أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد[2].

وقد جاء في ذكر الوفود أن أكثر الوفود قد نزلت في دار رملة بنت الحارث النجارية كما في وفد كلاب ومحارب، وعذرة، وعبد قيس، وتغلب، وبني حنيفة، وخولان والرهاويين، والنخع، وغسان[3].

---

(١) انظر: الطبقات ١/ ٢٩١ وما بعدها، ولشيخه محمد بن عمر الواقدي مصنف في ذلك اسمه كتاب الوفود، وللهيثم بن عدي كتاب الوفود، انظر: الفهرست لابن النديم ص١١٢، ولأبي الحسن المدائني كذلك كتاب الوفود، الفهرست ص١١٤، ولهشام الكلبي كذلك كتاب الوفود، الفهرست ص١٠٩.

(٢) الطبقات ١/ ٣٣٢.

(٣) انظر: الطبقات ١/ ٣٠٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٨.

وأحياناً كانوا ينزلون في أماكن أخرى، كما نزل **وفد نجران** في دار أبي أيوب الأنصاري كما في ابن سعد، وأحياناً في دار سعد بن عبادة كما فعل فروة بن مسيك المرادي، **ووفد زبيد**، وقد نزل **وفد بهراء** على المقداد بن الأسود، ورحب بهم في داره ببني جديلة.

ونزل **وفد خشين** على أبي ثعلبة الخشني وهو منهم، وقد نزل وفد غامد في بقيع الغرقد، ونزل وفد أشجع وكان عددهم كبيراً مائة شخص في شعب سلع.

ونزل **وفد ثقيف** من كان منهم من الأحلاف على المغيرة بن شعبة فأكرمهم، وضرب لباقيهم وهم من بني مالك قبة في المسجد، ونزل يحنة بن رؤبة عند بلال.

ونزل **وفد بلي** على رويفع بن ثابت البلوي في منزله ببني جديلة، ونزل **وفد الأزد** على فروة بن عمرو فحياهم وأكرمهم، وأقاموا عنده عشرة أيام، ونزل **وفد بجيلة** برئاسة جرير بن عبد الله على فروة بن عمرو البياضي.

وكانت الضيافة النبوية تأتيهم، وكان يوصي بلالاً أن يحسن ضيافة الوفود، ويخص بعض الوفود بمزيد من الوصاة كما في وفد تجيب، إذ أمره أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم، وفي خبر وفد أشجع أنه أمر بحمل أحمال من التمر إليهم إلى شعب سلع.

وقد جاء في خبر **وفد حنيفة**: فأنزلوا دار رملة بنت الحارث، وأجريت عليهم الضيافة فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزاً ولحماً، ومرة خبزاً ولبناً، ومرة خبزاً وسمناً، ومرة تمراً نثر لهم[1]...

وفي **وفد محارب**، وهم عشرة، وقد نزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء[2]، وكان يزور الوفد الذي نزل في الرحاب

(١) الطبقات ١/ ٣١٦.
(٢) الطبقات ١/ ٢٩٩.

النبوية إذا اقتضى الحال ذلك، كما حصل مع **وفد ثقيف**، فكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل ليلة بعد عشاء، فيقف عليهم ويحدثهم حتى يراوح بين قدميه، ويشكو قريشاً، ويذكر الحرب التي كانت بينه وبينهم.

وكان عليه الصلاة والسلام بعد أن يقضي الوفد مهمته يجيزه بهدايا وجوائز تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وأحياناً يخص بعض أعضاء الوفد بمزيد من الحباء والجائزة، وترك في وصيته عليه الصلاة والسلام وصية بإجازة الوفد، ففي حديث ابن عباس قال: وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم[١].

وهذا النص الصحيح يؤكد أن ذلك كان سُنَّةً متابعة لكل الوفود من النبي ﷺ، وفي ذكر الوفود عند ابن سعد في الطبقات ما يؤكد ذلك ويفصّله، فكان يعطي أحياناً اثني عشر أوقية ونشّاً كما في **وفد مراد**، إذ أعطى النبي ﷺ فروة بن مسيك اثني عشر أوقية، وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حلة من نسج عمان[٢]، وأعطى **وفد مرة** عشر أواق من فضة، وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثني عشر أوقية، وأعطى طيء خمس أواق لكل واحد، وأعطى زيد الخيل اثني عشر أوقية ونشّاً[٣].

وأعطى **وفد خولان** اثني عشر أوقية ونشّاً، وأعطى **وفد كندة** عشر أواق، وأعطى الأشعث اثني عشر أوقية[٤]، وأعطى **وفد بني الحارث بن كعب** عشر أواق، وأعطى قيس بن حصين اثني عشرة أوقية ونشا، وأعطى **وفد عبد قيس** وفضل الأشج[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها، الجهاد، باب جوائز الوفد ٦/ ١٦٠، وفي الجزية، والمغازي، كما أخرجه مسلم في صحيحه الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم ١٦٣٧، وأبو داود، الخراج والإمارة والفيء رقم ٣٠٣٢، والنسائي، وأحمد، وغيرهم.

(٢) الطبقات ١/ ٣٢٧.

(٣) الطبقات ١/ ٣٢١.

(٤) الطبقات ١/ ٣٢٨.

(٥) الطبقات ١/ ٣١٥.

وفي **وفد ثعلبة** قال لبلال: أجزهم كما تجيز الوفد، فجاء بِنُقَرٍ من فضة، وأعطى كل رجل منا خمس أواق وقال: ليس عندنا دراهم.

وأعطى **وفد سلامان** خمس أواق...[1].

وفي **وفد تميم** أن امرأة من بني النجار قالت: أنا أنظر إلى الوفد يومئذٍ يأخذون جوائزهم عند بلال اثني عشرة أوقية ونشا، قالت: وقد رأيت غلاماً أعطاه يومئذٍ وهو أصغرهم خمس أواق، يعني: عمرو بن الأهتم[2].

وأعطى **وفد عذره** ما كان يجيز به الوفد، وكسا أحدهم برداً[3].

وكان ﷺ يُحَمِّلُ بعض الوفود زاداً يحملونه معهم.

وكان من سنته الشريفة أنه عند استقباله الوفود، يتجمَّل بلبس أحسن الثياب حتى صار ذلك معروفاً من سنته في مثل هذه الحالة، وفي المجامع والمحافل كصلاة الجمعة والأعياد وغيرها.

فقد جاء من حديث عبد الله بن عمر قال: وجد عمر عُطَارِدَاً في السوق، أقام حلة سيراء ليبيعها، وكان رجلاً يغشى الملوك ويصيب منهم، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه الحلة فتجمّل بها للعيد والوفد... الحديث[4]، وفي رواية: لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب إذا قدموا عليك.

ومن حديث جندب بن مكيث الجهني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر علية أصحابه بذلك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يوم قدم **وفد كندة**، وعليه حلة يمانية، وعلى أبي بكر وعمر

---

(١) انظر: الطبقات ١/ ٣٣٣.

(٢) الطبقات ١/ ٢٩٤.

(٣) الطبقات ١/ ٣٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في مواقع من صحيحه، وترجم عليه في الجهاد: باب التجمل للوفود ٦/ ١٧١، واللباس ١٠/ ٢٩٨، ومسلم في صحيحه اللباس والزينة رقم ٢٠٦٨، وأبو داود اللباس، رقم ٤٠٣٧، والنسائي ٨/ ١٩٧ و١٩٨ الزينة، ومالك في الموطأ، وغيرهم.

مثل ذلك[1].

وعن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد، ورداءه حضري، طوله أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خلق، وطووه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر[2].

ولقد كانت هذه الأمور وغيرها من رسول الله ﷺ من محاسن الأخلاق ورفيع الشيم لتقرب الناس إلى الإسلام وتتألفهم عليه، وتريهم مكارمه وآدابه، وكانت كذلك أساساً للدولة الإسلامية يحتذيها الخلفاء فيقومون بحق الوفود ضيافةً واستقبالاً، وحسن سيرة، وكذلك كان...

وما كانت وفود النصارى إلا جزءاً من هذا الإطار الإسلامي العام، فيحسن ضيافتهم، ويكرم وفادتهم بالجوائز والهدايا، ويسأل عنهم وعن أحوالهم، ويوصي من ينزلون عندهم أو من يقوم على خدمتهم بهم خيراً، وكان لكل وفد معه موقف وخصوصية سجلتها صحائف الوجود، لتروي للأجيال مثالاً دالاً على نبوة محمد ﷺ، وعالمية رسالته، وشموليتها لكل شؤون الحياة.

وأما الذين دانوا بالنصرانية قبل الإسلام من العرب خاصة، فقد قال أبو محمد بن حزم[3]: يقال: إن إياداً كلها، وربيعة كلها وبكراً، وتغلب والنمر، وعبد القيس كلهم نصارى، وكذلك غسان، وبنو الحارث بن كعب بن نجران، وطيء وتنوخ، وكثير من كلب، وكل من سكن الحيرة من تميم، ولخم وغيرهم.

وقال أبو يوسف في كتاب الخراج، نقلاً عن أهل هذا الشأن ومعرفة

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق الواقدي ٣٤٦/٤، وعزاه الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٢٥٩/٦ إلى أبي نعيم في المعرفة، وأبي الحسن بن الضحاك، ولعله في الشمائل.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤٥٨/١ بسنده إلى عروة.
(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب ص٤٩١.

الفتوح[1] عن الجزيرة كانت قبل الإسلام، طائفة منها للروم، وطائفة لفارس، ولكل فيما في يده، جند وعمال، فكانت رأس عين فما دونها إلى الفرات للروم، ونصيبين وما وراءه إلى دجلة لفارس، وكان سهل ماردين، ودارا إلى سنجار، وإلى البرية لفارس.

وكان جبل ماردين ودارا وطور عبدين للروم.

أقول: وهذه الحدود العربية الشمالية الشرقية، التي تفصل بين التابعين للروم، والتابعين للفرس.

أقول: ورأس عين كانت مدينة كبيرة من مدن الجزيرة الفراتية، وتقع الآن داخل الحدود السورية قريباً من مدينة القامشلي، وهي قريبة من الحدود التركية، وسكانها خليط من الناس.

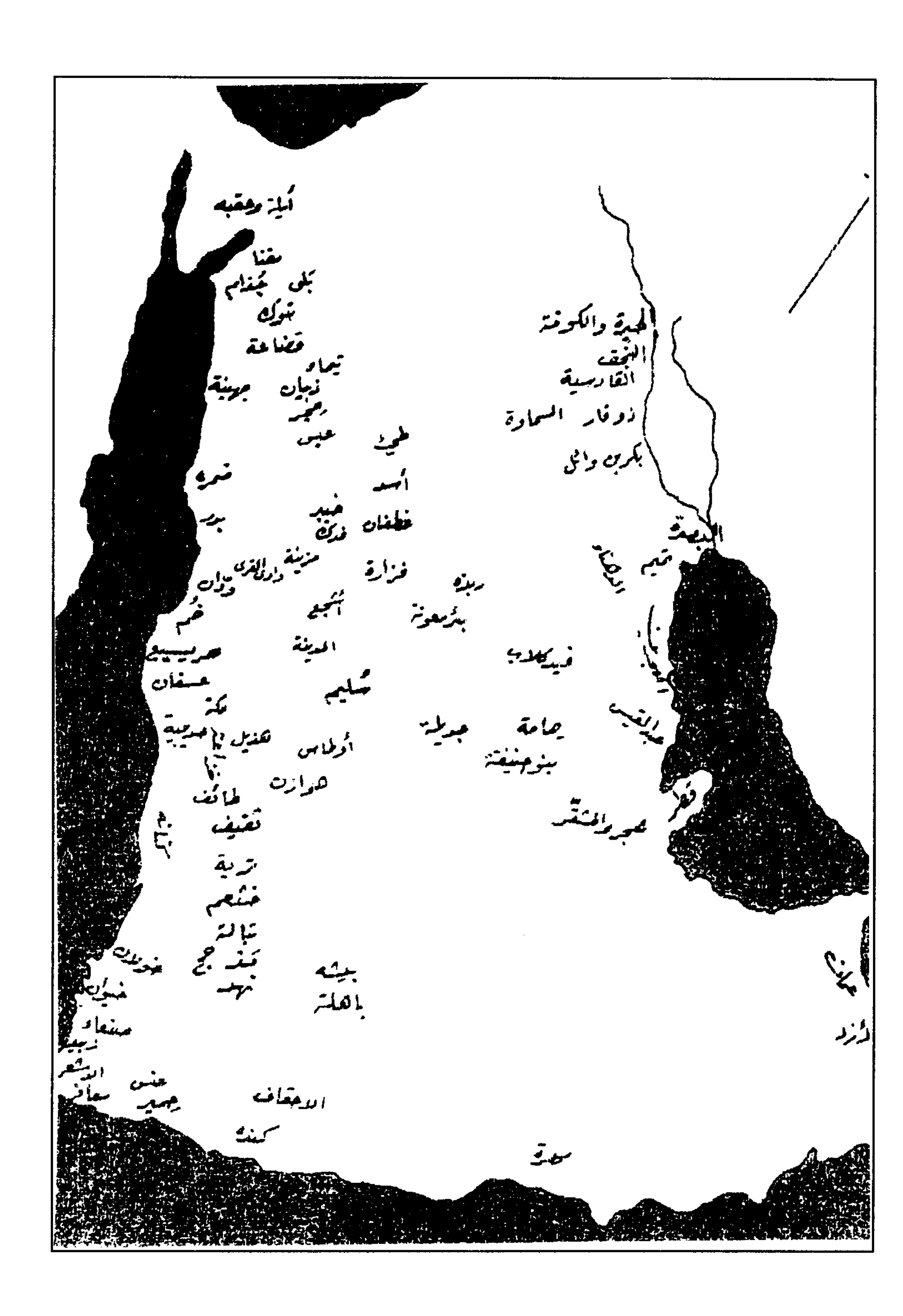
وسنجار: مدينة مشهورة في الجزيرة بجانب جبل عالٍ، وكان بينها وبين الموصل مسيرة ثلاثة أيام، وتقع الآن داخل الحدود العراقية.

وماردين في تلك البقاع الفراتية، قال ياقوت الحموي: وماردين قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين، وذلك الفضاء الواسع، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة، وخانات ومدارس وربط وخانقاهات.

قلت: وكان فتح الجزيرة كلها، ومنها هذه المواقع في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه سنة ١٩ و٢٠ للهجرة.

---

(١) انظر: الخراج مع فقه الملوك ومفتاح الرتاج ١/ ٢٨٩.


أيلة وعقبة
مقنا
بلى
جذام
تبوك
قضاعة
تيماء
ذبيان
جهينة
الحجر
عبس
طيء
أسد
خيبر
غطفان
فدك
بدر
مزينة
وادي القرى
فزارة
ربذة
ودان
أشجع
بئر معونة
المدينة
عسفان
سليم
مكة
هذيل
أوطاس
هوازن
طائف
ثقيف
تربة
خثعم
تبالة
مذحج
نهد
بيشة
صنعاء
الأشعر
عنس
حمير
الأحقاف
كندة
الحيرة والكوفة
النجف
القادسية
ذو قار
السماوة
بكر بن وائل
البصرة
تميم
فيد
كلاب
عبد القيس
يمامة
جديلة
بنو حنيفة
حجر
المشقر
قطر
الأزد

١ ـ وفد نجران.

٢ ـ وفد تغلب.

٣ ـ وفد جذام.

٤ ـ وفد فروة بن عمرو الجذامي.

٥ ـ عدي بن حاتم.

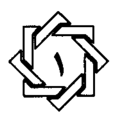
٦ ـ وفد الجارود العبدي، وبني عبد القيس.

٧ ـ وفد بلي.

٨ ـ وفد غسان.

٩ ـ وفادة سلمان.

١٠ ـ وفد الداريين.



وفد نجران

ونجران بلدة عظيمة في مخلاف من مخاليف اليمن، وحولها قرى في ذلك الوادي وإلى نجران جماع تلك القرى، وقد دخلتها النصرانية قديماً وتمكنت فيها قبل الإسلام(١).

وفي اليمن اختلطت الديانات في قبائل العرب وثنيها بنصرانيها بيهوديها.

وقد كان لوفد نجران شأن عجيب متميز بين الوفود، إذ كانوا أهل كتاب وعلم سالف، وثراء ونعمة واستقرار وحضارة تزيد على ما حولهم من المدن والقرى ولهذا أفاضت المصادر بذكر وفد نجران وما كان من شأنه مع النبي ﷺ، وموقفهم منه، وكيف تلقاهم، وكيف كان ردهم عليه، وكل واحد من المؤلفين أخذ موقفاً أو أكثر من وفادة هذا الوفد وذكره.

ومن خلال النصوص يتبين أن لأهل نجران ثلاثة وفادات، الأولى: إلى مكة، والثانية والثالثة: إلى المدينة المنورة، ونجمل القول فيها فنقول:

١ ـ قال ابن هشام: وبلغني أن رؤساء نجران كان لهم كتب يتوارثونها فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً من الخواتم التي كانت قبله، ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعثر فقال ابنه: تعس الأبعد؛ يريد رسول الله ﷺ

---

(١) إن أردت الوقوف على كيفية دخول النصرانية إلى نجران فارجع إلى سيرة ابن هشام ١/ ٣٠ وما بعدها، ونقل ابن إسحاق خبر ذلك عن المغيرة بن أبي لبيد عن وهب بن منبه اليماني، ومن طريق أخرى عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي، وقال كذلك: حدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها، والله أعلم بصحة ذلك.

فقال له أبوه: لا تفعل، فإنه نبي، واسمه في الوضائع - يعني الكتب - فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم، فوجد فيها ذكر النبي ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه وحج، وهو الذي يقول:

إليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها[1]

والوضين: حزام الناقة.

قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه[2]، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال!! ما نعلم ركباً أحمق منكم، أو كما قالوا.

فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل من أنفسنا خيراً.

ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران.

ويقال: فيهم نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٥.

(٢) لعلهم أقروا بنبوته وفاقاً لما جاء في كتبهم، وصدقوا بوصفه المذكور عندهم، ولم يعلنوا إسلامهم.

﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤][١].

قال ابن إسحاق: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟

قال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه ﷺ، والآيات اللاتي في سورة المائدة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾... إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

قلت: ولا تعارض في ذلك فقد وفد أهل نجران إلى النبي ﷺ بمكة عندما سمعوا ما سمعوا من أحوال المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، وشرح عقيدتهم أمام النجاشي، وإكرامه لهم... ولربما جاؤوا بتوجيه منه لما كان بينهما بحكم الجوار والعقيدة من أواصر، وتبعية نصارى اليمن لملوك الحبشة النصارى.

٢ ـ وأما الوفادة الثانية فيظهر لي والله أعلم أنها جاءت بعد كتاب وجهه إليهم رسول الله ﷺ ونصه:

بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله، إلى أسقف نجران وأهل نجران: إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد:

فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فآذنتكم بحرب، والسلام[٢].

---

(١) ذكره ابن إسحاق في السيرة. انظره عند: ابن هشام ١/ ٤١٩، وابن سيد الناس ١/ ٢٢٦. وانظر: تفسير القرآن لابن كثير سورة القصص.
وانظر: مغلطاي الإشارة إلى سيرة المصطفى ص١٣٠.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/ ٣٨٥ عن شيخه الحاكم النيسابوري بسنده إلى يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده، قال سلمة: وكان نصرانياً فأسلم. وسلمة بن عبد يشوع وأبوه وجده مجهولون غير مذكورين في كتب التراجم بذكر والله أعلم.

فلما أتى الأسقف الكتاب فظع[1] به، وذعره ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، وكان من أهل همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله، لا الأيهم، ولا السيد، ولا العاقب، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل، فقرأه فقال للأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أمر الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية.

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل، هو من ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: فاجلس فتنح فجلس ناحية.

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت المسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمع حين ضرب الناقوس، ورفعت المسوح، أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن

---

(١) فظع: مبني للمهجول، أي اشتد عليه وهابه.

فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة، وخواتم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف ـ وكانا معرفة لهم، كانا يجدعان العتائر إلى نجران في الجاهلية فيشتروا لهما من بزها وثمرها وذرتها ـ فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمٰن إن نبيكما كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما: أنعود أم نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمٰن رضي الله عنهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه، ففعل وفد نجران ذلك، ووضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا فرد بسلامهم ثم قال: **«والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى، وإن إبليس لمعهم»**[1]. ثم سألهم وساءلوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه، فقال رسول الله ﷺ: **«ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركما بما يقال في عيسى»**، فأصبح الغد، وقد أنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل

(١) وكذلك الكبر والبطر يمنع من الإصغاء، ويدعو إلى الطغيان والانحراف، فأراد النبي ﷺ منهم أن يأتوه وهم باحثون عن الهداية، مستعدون لتقبل ما يهدي إليه العقل ويرشد إليه صحيح النظر.

﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦١]. فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، فقال شرحبيل لصاحبيه: يا عبد الله بن شرحبيل، ويا جبار بن فيض قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يَرِدُوا ولم يُصْدِرُوْا إلا عن رأيي، وإني والله أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل ملكاً مسبوقاً فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً، وإن كان هذا الرجل مرسلاً فلاعنَّاه فلا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك. فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم، فقد وضعتك الأمور على ذراع[1] فهات رأيك، فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك.

فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك فقال: «**وما هو؟**» قال شرحبيل: حكمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا فهو جائز، فقال رسول الله ﷺ: «**لعل وراءك أحد يُثَرِّبُ عليك**» ـ أي يلومك ويقرعك ـ؟ فقال: سل صاحبي فسألهما فقالا له: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل، فقال رسول الله ﷺ: «**كافر**»، أو قال: «**جاحد موفق**».

فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ لنجران، إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، فأفضل عليهم، وترك ذلك كله

---

(١) مثل لمن حنكته التجارب، وصقلته الأيام.

على ألفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، ومع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب.

وعلى نجران مؤنة رسلي، ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فدونه، ولا تحبس رسلي فوق شهر.

وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ومغدرة.

وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب، فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأراضيهم، وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم. ولا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، ولا واقه عن وافهيته[1].

وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل فيهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين، ولا مظلومين بنجران، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر.

وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله ﷻ، وذمة محمد رسول الله ﷺ أبداً، حتى يأتي نصر الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة، وكتب[2].

---

(١) الوافه: هو القيم على البيت الذي فيه صليب النصارى، بلغة أهل الجزيرة، ويروى: واهف، ويروى: واقه، بالقاف، قال ابن الأثير: والصواب الفاء.

(٢) قال البلاذري في فتوح البلدان ص٨٦ ـ ٨٧: حدثني يحيى بن آدم قال: أخذت نسخة كتاب رسول الله ﷺ لأهل نجران من كتاب رجل عن الحسن بن صالح رحمه الله وساق =

حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف فبينا هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فَتَعَّسَ بشر غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تَعَّسْتَ نبياً مرسلاً، فقال بشر: لا جرم

= هذا الكتاب وأتبعه بقوله: «وقال يحيى بن آدم: وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة وفي أسفله: وكتب علي أبو طالب، ولا أدري ما أقول فيه.

قلت: والحسن بن صالح بن حي من كبار الفقهاء العلماء توفي ١٦٩هـ.

وانظره في: الأموال لأبي عبيد ص٢٤٤، وساقه بإسنادين أحدهما عن عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير، والآخر من طريق أيوب الدمشقي قال: حدثني سعدان بن أبي يحيى عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي.

وقد ذكر هذا الكتاب بنصه الإمام أبو يوسف القاضي المتوفى ١٨١هـ في كتابه الخراج ١/ ٤٧٦، وهو من أقدم المصادر التي تعنى بهذا الشأن وتبحث عنه، وكذلك ذكره الإمام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى ١٨٩هـ في كتاب السير، وهو من أقدم وأهم المصادر في هذا الباب، انظر ص٢٦٧.

وعن ابن عباس قال: صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفي حلة، النصف في صفر، والنصف في رجب، يؤدونها إلى المسلمين، وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم.

وإن كان باليمن كيد أو غدرة، على أن لا يهدم لهم بيعة، ولا يخرج لهم قسٌّ، ولا يفتنون عن دينهم، ما لم يحدثوا حدثاً، أو يأكلوا ربا(*).

والحدث الأمر الحادث الذي يخالف هذا الاتفاق.

قال إسماعيل، وهو السدي راويه عن ابن عباس: فقد أكلوا الربا.

(*) أخرجه أبو داود في سننه الخراج والإمارة رقم ٣٠٣٦، وكأنه مختصر من الكتاب السابق، ومأخوذ بالمعنى، وفيه بعض ضعف وانقطاع لكن له شواهد.

وانظر: أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ٢/ ٧٨٠.

والله لا أحل عنها عقداً حتى آتيه، فضرب وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقف ناقته عليه، فقال له: افهم عني، إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنا أخذنا حمقة أو رضينا نصرته، أو بخعنا لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب، ونحن أعزهم، وأجمعهم داراً، فقال له بشر: لا والله لا أقيلك ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته، وهو مولٍ للأسقف ظهره، وهو يقول:

إليك تغدو قلقاً وضينها معترضاً في بطنها جنينها
مخالفاً دين النصارى دينها

حتى أتى النبي ﷺ فأسلم، ولم يزل مع النبي ﷺ حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك.

ودخل وفد نجران فأتى الراهب ليث بن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعة فقال له: إن نبياً بعث بثلاثة، وأنه كتب إلى الأسقف فأجمع رأي أهل الوادي على أن يسير إليه شرحبيل بن وداعة وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونهم بخبره، فساروا حتى أتوا النبي ﷺ فدعاهم إلى الملاعنة، فكرهوا ملاعنته وحكّمه شرحبيل، فحكم عليهم حكماً وكتب لهم به كتاباً ثم أقبل بالكتاب حتى دفعوه إلى الأسقف، فبينا الأسقف يقرؤه، وبشر معه إذ كبت ببشر ناقته، فتعسه، فشهد الأسقف أنه نبي مرسل، فانصرف أبو علقمة نحوه يريد الإسلام، فقال الراهب: أنزلوني وإلا رميت نفسي من هذه الصومعة؛ فأنزلوه.

فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ، منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء، والقعب، والعصا.

وأقام الراهب بعد ذلك سنين يسمع كيف ينزل الوحي والسنن والفرائض والحدود، وأبى الله للراهب الإسلام فلم يسلم، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجعة، وقال: إن لي حاجة ومعاداً إن شاء الله فرجع إلى قومه فلم يعد حتى قبض رسول الله ﷺ.

٣ ـ وهنا تبدأ وفادة ثالثة، فجاء في تمام هذا الحديث أن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه، وأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله ﷺ عليه، فكتب للأسقف، والأساقفة بنجران بعده:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم، وأهل بيعهم ورقيقهم، وملتهم وسوقتهم وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله. ولا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه. على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما نصحوا وأصلحوا عليهم [غير] منقلبين بظلم ولا ظالمين. وكتب المغيرة بن شعبة.

وقال ابن سعد عن الواقدي عن شيوخه: وأشهد على ذلك شهوداً منهم: أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس، والمغيرة بن شعبة(١).

فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه فأذن لهم فانصرفوا(٢).

وفي مساق هذا النص جمع بين النصوص المتفرقة التي وردت عن نجران ورسائل النبي ﷺ لهم، وحضورهم بين يديه، وكلها تؤكد سياق هذا النص ومن ذلك:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم.

في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم:

---

(١) الطبقات ١/ ٣٥٨. وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٥.

(٢) ذكره بهذا السياق البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٣٨٥ وما بعده، من طريق سلمة بن يشوع وقد تقدم، وقد ساق هذا النص بتمامه ابن قيم الجوزية في زاد المعاد ٣/ ٦٣١ وما بعده، وابن كثير في البداية ٥/ ٥٣، والتفسير ٢/ ٥٠ وفيه غرابة، والصالحي في سبل الهدى والرشاد ٦/ ٤١٥.

العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

والسيد، ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

والثِّمال: بكسر الثاء المشددة، وهو الملجأ والغياث.

وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحَبْرُهُمْ، وإمامهم وصاحب مدراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه، وأكرموه وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

قال ابن إسحاق: وكان تسمية الأربعة عشر: فذكر الثلاثة وزاد: وأوس، والحارث، وزيد وقيس، ويزيد وابنه، وخويلد، وعمرو، وخالد وعبد الله، ويحنس في ستين راكباً، فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو الحارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيد وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف في أمرهم، يقولون هو الله، ويقولون هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون في قولهم: هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى، ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾.

ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله، بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من بني آدم قبله.

ويحتجون في قولهم: إنه ثالث ثلاثة، بقول الله: فعلنا، وأمرنا وخلقنا وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت، وقضيت وأمرت وخلقت، ولكنه هو عيسى ابن مريم.

ففي كل ذلك من قولهم نزل القرآن، فلما كلمه الحبران قال لهما

رسول الله ﷺ: **«أسلما»**، قالا: قد أسلمنا، قال: **«إنكما لم تسلما فأسلما»**، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: **«كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير»**.

قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ، فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها(١) . . .

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله ﷻ عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خلوا، بالعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضا.

فقال رسول الله ﷺ: **«ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين»**.

---

(١) وأخرج هذا النص من قوله: كلمه الحبران: البلاذري في فتوح البدان ص٨٦ عن الحسين بن الأسود عن وكيع عن مبارك بن فضالة عن الحسن.

وفي مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٥٢، عن معمر عن أبيه عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ لأسقف نجران: **«يا أبا الحارث أسلم»**، قال: إني مسلم، قال: **«يا أبا الحارث أسلم»**، قال: قد أسلمت قبلك، قال نبي الله ﷺ: **«كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: ادعاؤك لله ولدا، وأكلك الخنزير، وشربك الخمر»**.

فكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذٍ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً.

فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.. فذهب بها أبو عبيدة[١].

وخبر المباهلة وبعث أبي عبيدة وتلقيبه بأمين الأمة جاء من طرق في الصحاح وغيرها فقد جاء من حديث حذيفة بن اليمان قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنَّاه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، وقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام، قال رسول الله ﷺ: **«هذا أمين هذه الأمة»**[٢] وجاء مثله عن ابن مسعود[٣] وغيره من الصحابة.

وعند ابن سعد في الطبقات من طريق الواقدي قال[٤]: فلم يلبث السيد والعقاب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري.

وقد ذكر ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران عن رسول الله ﷺ، دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٤. وانظر: طبقات ابن سعد ١/ ٣٥٧. وانظر: دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح في مواقع منها المغازي، باب قصة أهل نجران ٨/ ٩٣، وفضائل الصحابة ٧/ ٩٣، ومسلم في صحيحه فضائل الصحابة رقم ٢٤٢٠.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وهو طريق صحيح.

(٤) الطبقات ١/ ٣٥٨.

رسول الله ﷺ: **«دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم»**[١].

وكان في نجران بعض يهود فدخلوا مع النصارى في الصلح وكانوا كالأتباع لهم.

إنه التسامح في أجلى مظاهره، وأدق تفاصيله، إذ دخلوا المسجد النبوي ـ وهذا يبيح دخول كل مسجد بإذن المسلمين ـ وأقاموا فيه صلاتهم على طريقتهم دون منع أو إكراه، وهم في موقف ضعف، والمسلمون في موقف قوة، ولم يخافوا على أنفسهم أو ممتلكاتهم، وهم يعلنون عقيدتهم وعبادتهم، ألا يستحق هذا الموقف كل تقدير وإجلال لرسول الإسلام الذي منع المسلمين من كبتهم أو صدهم عن صلاتهم وعبادتهم، وهم يقيمونها على الملأ في عاصمة الإسلام؟!!.

وإنه التسامح، والنبي ﷺ يكتب الكتب العامة لهم جميعاً، والخاصة لعلمائهم، فيقرهم على ما هم عليه، وهم يدخلون في نظام الدولة الإسلامية جزءاً منها، فتصان لهم أرواحهم، وأبدانهم وذراريهم وأموالهم، وتحفظ لهم عقائدهم، ويبقى أحبارهم ورهبانهم وسادتهم، كل واحد في مكانه ما قبله أهل ملته، ولم يخرج على العهد والميثاق بنقض أو خيانة!!!.

وإنه التسامح، ورسول الله ﷺ يحاجُّهم ويحاورهم، ويعطيهم المدة الكافية للتأمل والنظر، والرد الهادئ الصحيح، حتى وصل بهم إلى المباهلة والدعاء المشترك بأن يقصم الله الكاذب المتكبر على الحق، وترك لهم مجال الاختيار بالجزية..

وإنه التسامح، وهو يأخذ منهم الجزية قدراً لا يشق عليهم، أو يثقل كاهلهم، ويذل كراماتهم...

إنها رحمة الإسلام ورسول الإسلام للعالمين..

---

(١) ومحمد بن جعفر بن الزبير، ثقة حديثه في الكتب الستة، توفي سنة بضع عشرة ومائة، ولكن الحديث غير متصل.

اجتماع النصارى واليهود بحضرة النبي ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، قال: حدثني سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال(١): اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨].

فقال رجل من الأحبار: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران: أوذلك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره وما بذلك بعثني ولا أمرني**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم فقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

---

(١) إسناد رجاله ثقات إلا محمد بن أبي محمد فهو مجهول. وانظر النص عند: ابن إسحاق وفي دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨٤، وزاد المعاد ٣/ ٦٣٠، وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٤٢١.

وفي الحضرة النبوية كما ترى بدأ الحوار بين الأديان الثلاثة، دون خوف أو وجل، بل بحجة ودليل، وخلَّد القرآن حججهم وأقوالهم وبين ضعفها وأغراضها، ولم يكن لاستغلال سياسي، أو لدعاية يقتنص فيها الضعفاء، ويستغل فيها الفقراء، وبقيت مخلدة في جليل الآيات، مقالاً للحوار الهادف البناء، ومن هذا الموقف، ولنفس الغاية وإظهار الحق يجب أن ينطلق كل حوار ولقاء، فالحق لا يخاف ولو غطاه الماكرون السفهاء، ومن أراد أن يسلك هذا المهيع فليرجع مستهدياً بمطلع سورة آل عمران الغراء، ولا بد أن يجد في الأمة من يقيم الحجة على الموافق والمخالف على السواء، ولا سيما والعالم قد اقترب من أطرافه، وأصبح الناس فيه كأنهم في حي واحد من الأحياء..!!!

قال الواقدي: وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي ﷺ حتى قبضه الله صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه وسلامه، ثم ولي أبو بكر الصديق فكتب بالوصاة وكتابه هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب به عبد الله، أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم الله بجوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ، على أنفسهم، وأرضهم ومساكنهم، وأموالهم، وحاشيتهم وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفتهم ورهبانهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من سقفياه ولا راهب من رهبانيته، ووفى لهم بكل ما كتب محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد ﷺ، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق.

شهد لهم: المسور بن عمرو، أحد بني القين، وعمرو مولى أبي بكر، وراشد بن حذيفة، والمغيرة وكتب[1].

---

(١) هذا الكتاب في الخراج لأبي يوسف ١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥، والسير لمحمد بن الحسن الشيباني ص٢٦٨.

ثم أصابوا رباً فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم كتاباً جاء فيه[1]:

هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران، من سار منهم، إنه آمن بأمان الله، لا يضرهم أحد من المسلمين، وفاءً لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ، وأبو بكر أما بعد، فمن وقفوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم بمكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم.

أما بعد: فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن تقدموا، ولا يكلفوا إلا من صدقتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم.

شهد عثمان بن عفان، ومعيقيب بن أبي فاطمة وكتب.

فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة.

وأخرج البَلاذري في فتوح البلدان عن الحسين بن الأسود قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال[2]: كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر رضي الله عنه فقالوا: أَجِّلنا، وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها، فأجلاهم فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا: أقلنا، فأبى ذلك.

فلما قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ٣٥٨ عن الواقدي عن علي بن محمد القرشي عن شيوخه أبي معشر، وعلي بن مجاهد، ويزيد بن عياض بن جعدبة عن شيوخهم بأسانيدهم إلى يزيد بن رومان، ومحمد بن كعب والزهري وعكرمة بن خالد وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعن غيرهم من أهل العلم.

وانظر: الأموال لأبي عبيد ص٢٤٥. وهو في الخراج لأبي يوسف القاضي ١/ ٤٨٥، ومحمد بن الحسن الشيباني في السير ص٢٦٨.

(٢) فتوح البلدان ص٩٠، وهو في مصنف أبي شيبة ١٤/ ٥٥٠.

وشفاعتك لنا عند نبيك إلا أقلتنا، فقال: إن عمر كان رشيد الأمر، وأنا أكره خلافه.

قلت: ولا تعارض بين هذا وأكلهم الربا فقد تكون عدة أسباب اجتمعت مع قول النبي ﷺ: **«لا يبقين دينان في أرض العرب»** فاشترى عمر عقاراتهم وأخرجهم...، وقد أكد الفقهاء على أن السبب الأهم في إجلاء أهل نجران هو مخالفتهم العقد مع النبي ﷺ بإصابتهم الربا.

ونظراً لسعة اليمن وكثرة ساكنيه ووفرة قبائله وأراضيه فقد أرسل إليهم رسول الله ﷺ عدداً من الصحابة لتعليمهم ولجبي صدقاتهم وجزيتهم، ومن هؤلاء الذين أرسلهم: معاذ بن جبل كما جاء ذلك في الصحيح، وأوصاه بأهل الكتاب خيراً، والمغيرة بن شعبة، وأبا موسى الأشعري، وخالد بن الوليد، وقد جاء خبر بعث معاذ إلى اليمن في مصادر كثيرة منها البخاري ومسلم.

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**[١].

وعن عروة بن الزبير قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن[٢]: إنه

(١) أخرجه البخاري في مواقع من صحيحه وهذا النص في المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٤ ومسلم الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم ١٩. وأخرجه كذلك أبو داود رقم ١٥٨٤، والنسائي ٥/ ٥٥ والترمذي وغيرهم وله طرق عديدة.

(٢) انظر: الأموال لأبي عبيد ص٣٥، وجاء مثله من طرق كثيرة. وانظر: الخراج ليحيى بن آدم رقم ٢٢٩.

من كان على يهودية أو نصرانية فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية، على كل حالم ذكر أو أنثى عبد أو أمة دينار وافي أو قيمته من المعافر.

فمن أدى ذلك إلى رسلي فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه منكم فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

قال ابن شهاب الزهري: أول من أعطى الجزية أهل نجران، وكانوا نصارى.

وكان بعث معاذ عند منصرف النبي ﷺ من غزوة تبوك، وبقي في اليمن حتى توفي النبي ﷺ ثم رجع في خلافة أبي بكر، ثم توجه إلى الشام فمات فيها.

وقد جاء عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك تمر بمسجدي هذا أو قبري**»، فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «**إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا**»(١).

وأما بعث أبي موسى فقد جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال لهما: «**تطاوعا ويسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»(٢).

وأما بعث علي وخالد فقد جاء في الصحيح عن البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال: «**مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٥ وله عدة روايات، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤٠٤.

(٢) انظر: البخاري المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٠ ومسلم الجهاد، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير رقم ١٧٣٣. كما أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهم.

فليعقب، ومن شاء فليقبل»، فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواقي ذات عدد[1].

وقد عاد علي والتقى مع النبي ﷺ في حجة الوداع.

وكان بعث خالد إلى بني الحارث بن كعب.

وكان قد بعث عمرو بن حزم الأنصاري معلماً وكتب له كتاباً مطولاً اعتمده الفقهاء في أنصبة الزكاة وغيرها من الأحكام التشريعية.

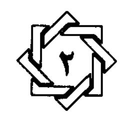
وبعث المغيرة بن شعبة، قال المغيرة: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا فيما قالوا: أرأيت ما تقرأون: ﴿يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ﴾؟ وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم**»[2].

وهذا يدل على أنهم كانوا يسمعون القرآن، ويحاورون المسلمين، ويتبادلون الفكرة، ويقيمون للبحث العلمي عن الحقيقة سوقاً، فهل يتكرر مثل هذا عبر العصور الآتية؟!!

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٨/ ٦٥ المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع.

(٢) هذه رواية البيهقي في الدلائل ٥/ ٢٩٣، والحديث في صحيح مسلم رقم ٢١٣٥ الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، والترمذي في جامعه، التفسير سورة مريم وروايته مثل رواية البيهقي.



وفد تغلب

وهم من العرب، ومن القبائل التي عشقت الحرب وأضرتها، وخاضتها في الجاهلية والإسلام ولها وقائع وأيام ذكرتها كتب التاريخ والسير والتراجم، وكان بنو تغلب يسكنون الجزيرة الفراتية، جزيرة ابن عمر بجهات سنجار ونصيبين، ولم يكن العرب على دين أهل الكتاب يهوداً أو نصارى، بل كانوا عبدة أوثان فجاورت طائفة منهم اليهود باليمن فتهودوا، وجاورت طائفة منهم النصارى بالشام فتنصّروا، وكان من قحطان بالشام: تنوخ وبهراء وبنو تغلب وقد تنصّروا.

قال الواقدي[1]: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى، عليهم صلب الذهب.

فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين منهم بجوائز.

ولما انداحت جيوش الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، ووصلت إلى ديارهم أرسل إليهم زياد بن حدير، وكتب إليه أن يأخذ نصف عشر أموال بني تغلب.

وعن داود بن كردوس قال: صالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بني تغلب

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/٣١٦. وانظر: ابن كثير البداية ٥/٩٣.

على أن يضاعف عليهم الصدقة، ولا يمنعوا أحداً منهم أن يسلم وأن لا يغمسوا أولادهم.

وسبب صلحه لهم مع ما جاء عن زرعة بن النعمان قال: كلمت عمر في نصارى بني تغلب وقال: يا أمير المؤمنين، هم قوم عرب يأنفون من الجزية وإنما هم أصحاب حروث ومواشٍ، وكان عمر قد همّ أن يأخذ الجزية منهم، فتفرقوا في البلاد فصالحهم على أن يضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم في الأرض والماشية، واشترط عليهم أن لا ينصِّروا أولادهم.

ومثله عن داود كردوس، قال: صالح عمر بن الخطاب بني تغلب بعدما قطعوا الفرات وأرادوا اللحاق بأرض الروم، على أن لا يصبغوا صبياً، ولا يكرهوه على دينهم، وعلى أن عليهم الصدقة مضعفة.

وكان داود بن كردوس يقول بعد ذلك: ليست لهم ذمة لأنهم قد صبغوا في دينهم، يعني المعمودية[١].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لئن تفرغت لبني تغلب ليكونن لي فيهم رأي؛ لأقتلن مقاتلتهم، ولأسبين ذراريهم، فقد نقضوا العهد، وبرئت منهم الذمة حين نصَّروا أولادهم.

وفي رواية عنه: لئن بقيت لنصارى بني تغلب لأمثّلن المقاتلة، ولأسبين الذرية، فإني كتبت الكتاب بينهم وبين النبي ﷺ على أن لا ينصِّروا أبناءهم[٢].

وذكر الطبري بسنده إلى أبي سيف التغلبي قال[٣]: كان رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: يحيى بن آدم الخراج رقم ٢٠٠ ـ ٢٠٨، والأموال لأبي عبيد ص٣٦ ـ ٣٧، والبلاذري، فتوح البلدان ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية رقم ٣٠٤٠ واستنكره أبو داود، وكذلك شيخه أحمد بن حنبل، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢١٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي كما في المطالب العالية ٢/ ١٧٠ من طريق الكلبي.

(٣) الطبري التاريخ ٤/ ٥٥ ـ ٥٦.

قد عاهد وفدهم على أن لا ينصِّروا وليداً، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم، ولم يكن على غيرهم.

فلما كان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء، فإنهم يغضبون من ذلك الجزاء، على أن لا ينصِّروا مولوداً إذا أسلم أباؤهم.

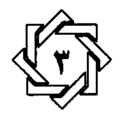
فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر، قالوا: والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم، والله لتفضحنا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف، وافتضح من عرب الضاحية، والله لتؤدنه وأنتم صَغَرَة قَمَأة، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم، قالوا: خذ منا شيئاً ولا تسمِّه جزاءً فقال: أما نحن فنسميه جزاءً، وسموه أنتم ما شئتم.

وكان فتح الجزيرة حيث كانوا يسكنون في ذي الحجة سنة سبع عشرة.

وحديث بني تغلب مع عمر وتضعيفه للجزية عليهم متداول في المصادر والكتب لأنه كان خاصاً بهم، وعليه بنى الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية.

وللمتأمل أن يلاحظ أن نصرانية بني تغلب كانت للإلف والمخالطة للروم المجاورين، وليست عن اقتناع ويقين مع ما كان فيها من تحلل من تكاليف وميل للشهوات والهوى وحظوظ النفس الأمّارة بالسوء، وشيء من الاعتداد بالنفس والأنفة الجاهلية. وقد راعى ذلك فيهم رسول الله ﷺ والخليفة عمر من بعده، فأقرهم على نصرانيتهم على أن يخرج منهم جيل يبصر الحقائق، ويتمسك بالفضائل الإسلامية بعد أن يعرفوها، وترك الباب مفتوحاً أمام هذا الجيل العنيد...

وفي ذلك أنموذج لمن يأتي أفراداً، وجماعات، ودولاً...



وفد جذام

وهم بطن من كهلان، من القحطانية، وكان الجذاميون ينزلون بجبال حسمى ومساكنها من مدين إلى تبوك فإلى أذرح إلى اللجون، إلى ناحية عكا.

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر، رفاعة بن زيد الجذامي، ثم الضبيبي، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وأسلم فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه، وفي كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لرفاعة بن زيد، إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحرة حرة الرجلاء ونزلوها[1]. ولما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له، ولم يلبث أن قدم دحية بن خليفة من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له وقيل: هدايا قيصر، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له: شنار، أغار على

(١) ابن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، انظر: ابن هشام ٤/ ٢٦٧، وابن سعد ١/ ٣٤٥، عن الواقدي عن شيوخه والطبري التاريخ ٣/ ١٤٠، من طريق ابن إسحاق، والطبراني المعجم الكبير ٥/ ٤٦ من طريق ابن إسحاق، وابن سيد الناس ٢/ ٣٨٢، والصالحي ٦/ ٣٠٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٣١٠: رواه الطبراني متصلاً ومنقطعاً عن ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة لم أعرفهم، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد.

دحية بن خليفة الهنيدُ بن عوض، وابنه عوض بن الهنيد الصليعيان ـ والصليع بطن من جذام ـ فأصاب كل شيء كان معه وعاد إلى المدينة بسمل ثوب فبلغ ذلك قوماً من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب فنفروا إلى الهنيد وابنه فاقتتلوا، واستنقذوا لدحية متاعه فردوه عليه.

وقدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه دحية، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عذرة، فأقبل حتى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم، فقتلوا وأوعبوا وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا من النعم ألف بعير، ومن الشاء خمسة آلاف شاة، ومن السبي مائة من النساء والصبيان.

فرحل رفاعة بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إلى رسول الله ﷺ كتابه الذي كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله لا تحرم علينا حلالاً، ولا تحل لنا حراماً، فقال: كيف أصنع بالقتلى، قال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق أبو زيد**»، فبعث معهم علياً رضي الله عنه إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، وحمَّله سيفه أمارة لزيد.

فتوجه علي فلقي رافع بن مكيث الجهني، بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردها علي على القوم، ولقي زيداً بالفحلتين ـ وهي بين المدينة وذي المروة ـ فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد إلى الناس كل ما أخذ منهم[1]. فهذه السرية كانت إلى حسمى.

---

(١) انظر: ابن هشام ٤/ ٣٨٥ قال: حدثني من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء بها، وابن سعد الطبقات ٢/ ٨٨، والطبراني في المعجم الكبير. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٩، والطبراني التاريخ ٣/ ١٤٠، والبلاذري أنساب الأشراف ١/ ٣٧٧، ومغلطاي الإشارة ص٢٦٠، والمقريزي ص٢٦٦، وابن القيم زاد المعاد ٣/ ٢٨٤، وابن كثير ٤/ ١٧٨، والصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٠٧، ونقله عن =

قلت: وقد جاء أن الجذاميين ومعهم اللخميون كانوا يعبدون المشتري، وصنماً لهم كان في مشارف الشام يقال له: الأقيصر، فكانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده[1]. وشاع فيهم التنصّر قبل الإسلام.

وما كان رسول الله ﷺ ليرسل هذه السرية ويبطش بهم إلا لغدرهم ونقضهم العهد والميثاق، وظلمهم بقطع الطريق السابلة ثم منّ عليهم بعد ذلك فأرجع عليهم حرمهم ومتاعهم، إكراماً لرفاعة بن زيد لثباته على ما عاهد عليه، ووقوفه في وجه قومه الذين اعتدوا وظلموا، وقطعوا الطريق الأمين، وسعوا في الأرض فساداً.

وحتى لا تسوّل لأحد نفسه بفعل آثم كفعل الهنيد بن عوض، نزل حكم الله تعالى الدائم الخالد: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [المائدة: ٣٣ ـ ٣٤].

وبهذا تنضبط الحياة ولا تصبح رعباً وخوفاً واضطراباً!!!

= الواقدي عن شيوخه، وعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن شيخ من بني سعد هذيم كان قديماً يخبر عن أبيه.

(١) انظر: معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ١/ ١٧٥.



فروة بن عمرو الجذامي

وبعث رسول الله ﷺ إلى فروة بن عمرو يدعوه إلى الإسلام، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام بجبال حسمى وتلك النواحي إلى ناحية عكا، فبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي، ثم النفاثي - نفاثة بطن من جذام - إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء وأثواباً وهذا الرسول هو: مسعود بن سعد، فوهب النبي ﷺ لمسعود جائزة قدرها اثنتا عشرة أوقية وَنَشّاً، فكتب له رسول الله ﷺ:

من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو أما بعد: فقد قدم علينا رسولك وبلّغ ما أرسلت به وخبر عما قبلك وأتانا بإسلامك، قال: وإن الله هداك بهداه.

وزاد ابن سعد عن الواقدي من طريق أخرى: إن أصلحت، وأطعت الله ورسوله، وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة[1].

فلما بلغ ملك الروم إسلامه قال له: ارجع عن دينك نملكك، قال: لا أفارق دين محمد ﷺ، وإنك تعلم أن عيسى بَشَّر به ولكنك تضن بملكك. فطلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم.

ثم أجمعوا على صلبه على ماء يقال له: عفرى بفلسطين، فقال قبل صلبه:

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ٢٨١، وفيه أن في هداياه: بغلة بيضاء وفرس وحمار، وأثواب لين، وقباء سندس مخوص بالذهب. وانظر: وفاء الوفا ٢/ ٧٤٠، وإمتاع الأسماع ١/ ٥٠٦.

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

قال ابن إسحاق:

وزعم الزهري أنهم لما قدّموه ليقتلوه، قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء[1].

وعن الواقدي عن أبي بكر عبد الله بن أبي سبرة عن زامل بن عمرو قال: أهدى فروة بن عمرو إلى رسول الله ﷺ بغلة يقال لها: فضة فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور منصرفه من حجة الوداع[2].

وجاء أن فرسه الظرب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي[3].

قلت: وكانت مساكنهم حوالي أيلة من أول الحجاز إلى ينبع، وكان لبني النافرة من بني نفاثة رئاسة في معان وما حولها[4].

فلله در فروة بن عمرو الجذامي على موقفه الإيماني الرفيع، إنه لما أبصر الحق مات عليه وضحّى من أجله بأعز ما لديه، ولم يثنه رغب ولا رهب، فلا سيادته لقومه، ولا تشريف الروم له، وحظوته عندهم رَغَّباه، ولا تخويف أسياده الروم وتهديدهم له وفراقه لحكم أو سلطان رَهَّباه، لقد مضى

---

(١) هذه رواية ابن إسحاق. انظر: ابن هشام السيرة ٤/ ٢٦١، وابن سعد ١/ ٣٥٥ عن الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن سبرة، عن عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع عن ابن قيس بن نائل الجذامي، والبيهقي في الدلائل ٥/٤٠٩، وابن الجوزي، وفاء الوفاء ٢/ ٧٤١، ابن سيد الناس ٢/ ٣٢٦، وابن كثير البداية ٥/ ٨٦، والصالحي ٦/ ٣٩١، وانظر: الإصابة، ترجمة مسعود بن سعد ٣/ ٤١١، وقال ابن حجر في الإصابة في ترجمة فروة بن عمرو الجذامي ٤/ ٢١٣: وأخرج ابن شاهين وابن منده قصته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، بسند ضعيف إلى الزهري.

(٢) ابن سعد ١/ ٤٩١، والطبري التاريخ ٣/ ١٧٤.

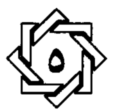
(٣) ابن سعد ١/ ٤٩٠، وابن سيد الناس ٢/ ٤٢٢، والصالحي ١١/ ٤٢٠.

(٤) انظر: معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٣/ ١١٨٩.

إلى ربه راضياً مرضياً، تشوف للإيمان بمحمد ﷺ لما عرف أخباره من التوراه والإنجيل، فأكرمه الله بالإيمان به، وأرسل هدايا المحب لمحمد ﷺ عنوان الإيمان اليقين والعرفان، وفاضت روحه إلى بارئها وهو يطلق آخر كلماته إلى أمة الإسلام بأنه واحد منهم في موكب طويل ممتد: بلغ سراة المسلمين...

وإنه لموقف قديم قدم البشرية بين الإيمان والكفر يتكرر اليوم مع فروة وحاكميه، خلد القرآن هذا الموقف لما له من موقع في حياة الرسل وأصحاب الرسالات: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ ١٤].

وطوت يد القدر التي لا تُقْهَرْ ملك الروم، ولم يبق له عين ولا أثر، وبقي لفروة عمرو ذكر في العظماء الخالدين، وسكن قومه المسلمون الأرض من بعدهم، فهل في ذلك بلاغ من رب العالمين؟!!.



عدي بن حاتم الطائي

وكان عدي بن حاتم عربياً من سادات قبيلة طيئ ـ وهي مشهورة وكانت مساكنهم بين العراق والحجاز ـ وقد تنصر قبل أن يبلغه الإسلام، وكان ذلك بالمجاورة للنصارى والله أعلم.

وقد ساق ابن إسحاق خبره في وفادته على النبي ﷺ سياقاً حسناً جامعاً لعدد من النصوص المتفرقة، وثبت ذلك عند ابن هشام واقتبسه غير واحد عنه، قال ابن إسحاق:

وكان يقول، فيما بلغني؛ أي عدي بن حاتم: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما يصنع بي.

فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي، وكان راعياً لإبلي: لا أباً لك اعزل لي من إبلي أجمالاً ذللاً سماناً، فاحبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني، ففعل.

ثم إنه أتاه ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيك محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: فقلت فقرّب لي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي وسلكت الجوشية[١].

---

(١) وقيل: الحوشية بالحاء المهملة.

قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام، وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها.

وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيئ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها وقيل: كانت بدار رملة بنت الحارث. فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُنْ مَنَّ الله عليك، قال: **«من وافدك؟»** قالت: عدي بن حاتم، فقال: **«الفار من الله ورسوله؟»** ثم مضى وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس[١].

حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن منَّ الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: **«قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني»**، فسألت عن الرجل الذي أشار أن كلميه فقيل: هو علي بن أبي طالب.

فأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قدم رهط من

---

(١) وجاء في حديث عند البيهقي عن سيدنا علي رضي الله عنه أنها قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإني أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني والأسير، ويشبع الجائز، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء، فقال رسول الله ﷺ: **«يا جارية هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق...»**. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٥/٦٧، وقال: هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جداً، عزيز المخرج.

قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ: وحملني، وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلي تؤمنا قال: فقلت: ابنة حاتم؟ قال: فإذا هي هي. فلما وقفت علي انسجلت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والديك، عورتك!!! قال: قلت: أي أخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت عندي، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضل، وإن يكن ملكاً فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت.

قال: قلت: والله إن هذا للرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، فقال: «**من الرجل؟**» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: «**إيه يا عدي بن حاتم ما أفرك أن يقال: لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله؟ ما أفرك أن يقال الله أكبر، فهل شيء أكبر من الله ﷻ؟**» قال: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة محشوة ليفاً، فقذفها إلي، فقال: «**اجلس على هذه**» فقلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: «**إيه يا عدي، ألم تكن ركوسياً**؟.

قال: قلت: بلى.

قال: «**أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟**».

قال: قلت: بلى.

قال: **«فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك»**.

قال: قلت: أجل والله.

قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

ثم قال: **«لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم!! فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه»**.

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم!! فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف.

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم!! وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت.

فكان عدي يقول: مضت اثنتان، وبقيت الثالثة، والله لتكون، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها ولا تخاف حتى تحج هذا البيت.

وايم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه[1].

ولهذا السياق المتكامل الذي ذكره به ابن إسحاق شواهد كثيرة

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٢٤٦، وطبقات ابن سعد ١/ ٣٢٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٨، والطبراني ١٧/ ٦٩١، وتاريخ الطبري ٣/ ١١١، وقد أفاد أن ابن إسحاق رواه عن شيبان بن سعد الطائي، وقد ذكره البخاري في تاريخه وأشار إلى روايته هذه. وانظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/ ٣٢٠، والبداية لابن كثير ٥/ ١٦، وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٧٦، وإمتاع الأسماع للمقريزي ص٤٤٥.

ومطولة عند أحمد في المسند[1] وغيره كالترمذي، ولهذا قال السهيلي[2]: وحديث إسلامه صحيح عجيب.

وقال ابن كثير: وقد روي حديث عدي من طرق وله ألفاظ كثيرة.

ومنه ما ورد في صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال[3]:

بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: **«يا عدي هل رأيت الحيرة؟»** قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: **«فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»**، قلت في نفسي: فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: **«كسرى بن هرمز؛ ولئن طالت بك الحياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه.**

وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم».

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة»**.

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم

---

(١) انظر: مسند أحمد ٤/ ٣٧٨، وجامع الترمذي، التفسير، سورة فاتحة الكتاب ٤/ ٣٧٨، ومستدرك الحاكم ٥١٨ ـ ٥١٩، وصحيح ابن حبان ١٥/ ٧٢، والفتح الرباني ٢١/ ١٨٩.

(٢) الروض الأنف ٤/ ٢٢٨.

(٣) الجامع الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٠.

حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ: **«يخرج ملء كفه»**.

وفي جامع الترمذي ما يوضح بعض نص هذا الحديث وفيه:

ثم أمر بي فأنزلت عند رجل من الأنصار، جعلت أغشاه ـ آتيه ـ طرفي النهار، قال: فبينا أنا عنده عشية إذ جاءه قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار، قال: فصلى وقام، فحث على الصدقة ثم قال: **«ولو بصاع، ولو بنصف صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم، أو النار ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فإن أحدكم لاقي الله، وقائل له: ما أقول لكم: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً؟ فيقول: بلى؛ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فيقول: بلى، فيقول: أين ما قدمت لنفسك؟ فينظر عن يمينه وشماله، ثم لا يجد شيئاً يقي به وجهه حر جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة، فإني لا أخاف عليكم الفاقة فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أو أكثر ما تخاف على مطيتها السرق»**.

قال: فجعلت أقول في نفسي: فأين لصوص طيء؟!!

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب.

وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ الحديث بطوله، وفيه: قال: **«اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال»**. وفي رواية: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم، وكنت جئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان بلغني أنه قال ـ أي رسول الله ﷺ ـ إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي.

وفي رواية عن عدي بن حاتم عند الترمذي قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: **«يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته»**، فسمعته يقرأ في سورة براءة هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**».

وفي رواية الطبراني؛ فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: «**أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟**» قلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)].

لقد هرب عدي من الإسلام حفاظاً على رئاسته وزعامته، ووقعت أخته أسيرة ضعيفة فعرف رسول الله ﷺ لها قدرها ومكانها في قومها وفي العرب فأطلقها دون شيء، وأكرمها وحملها وأعطاها ما تريد فأثر ذلك فيها أحسن الأثر، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) انظر: جامع الترمذي التفسير، سورة براءة، والطبراني ١٧/ ٩٢، وأخرجه ابن جرير الطبري وغيره من الذين أسندوا التفسير، وفي سنده غطيف بن أعين، وهو ضعيف.

تفسير بعض الكلمات:

* والظعينة: المرأة التي في الهودج، ثم سميت زوجة الرجل ظعينة توسعاً.
* والمرباع: بكسر الميم وسكون الراء، هو ربع الغنيمة، كان رئيس القبيلة يأخذه.
* بنت حاتم: اسمها سفانة، ومعنى هذا الاسم في اللغة: الدرة.
* والحاضر: الجماعة النزول على الماء.
* جزلة: أي عاقلة.
* غاب الوافد: بالواو والفاء، قال بعضهم: الصواب: بالراء والفاء.
* انسجلت: وقيل: انسحلت، يقال: انسحل الخطيب بالكلام إذا جرى به، وركب مسحله إذا مضى في خطبته وإذا قيل بالجيم: فمعناه؛ سجلت الماء فانسجل إذا صببته فانصب ويحتمل أن يكون من أسجلت الكلام إذا أرسلته.
* أفرك: أي ما يهربك من الإسلام؟ ويقال: أفررت الرجل إذا فعلت به فعلاً يفر منه لأجله.

والركوسي: بفتح الراء وضم الكاف وتشديد الياء التحتية، نسبة إلى فرقة دينها بين النصرانية والصابية.

* ترأس: تصير رئيساً.
* الدعار: جمع داعر، وهو الذي يخيف الطريق ويفزع المارة.
* سعروا: أي أوقدوا.
* شق التمرة: نصفها.

وانطلقت باحثة عن أخيها الهارب، وجاءت به من غير عهد ولا ميثاق، فلم يكن موضع سجن أو اعتقال، ولا محل توبيخ وتفتيش وسؤال، بل كان محل التكريم والإجلال إذ أخذه المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى بيته، ليرى وهو الألمعي النابه سيرة هذا الرسول الذي دوخ الجزيرة وحقق الانتصارات؛ هل هو من أهل الدنيا وجُمَّاعِها، أو صفوة الخلائق وهُداتُها؟

ولاحظ عدي بعينه الفاحصة كل خطوة خطاها، وكل كلمة قالها، وكل شيء رآه، فرآى ـ وهو الملك في قومه، الأثير المحبب عند الإمبراطورية الرومية ـ أن هذه سير الهداة الأنبياء، وطريقة الرسل الأصفياء، فلم يأنف محمد ﷺ من الوقوف مع الضعيفة المسكينة، ولم يتكبر عليها، ولم يلتفت إلى رياش أو متاع، وكشف له عما يدور بخلد عدي من نظرة مادية دنيوية، ومخالفة سلوكية لدينه الذي كان يدين به، وأن التحريف والتبديل قد عرى النصرانية من قيادتها الفكرية ورئاستها العلمية، فليست حقيقة بالاستمرار..

فانهارت أوهام عدي من رأسه، وذابت أحلامه من فكره وانطلقت أشعة فطرته، فأعلن الإيمان، وأيقن صدق هذا الدين، وأنه موئل للناس أجمعين...

ولما رسخ الإسلام في قلب عدي، ومشى إلى قومه فأتى بصدقاتهم كثيرة وفيرة، ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ بعض العرب وثبت عدي على إيمانه، وشهد فتح العراق وسكن الكوفة ثم تحول إلى قرقيسيا في الجزيرة.

وكان الخلفاء والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعرفون له مكانته وفضله.

وقد أخرج البخاري في صحيحه[1] إلى عمرو بن حريث ـ صحابي ـ عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر بن الخطاب في وفد فجعل يدعو رجلاً

---

(١) الصحيح، المغازي، باب قصة وفد طيء وحديث عدي بن حاتم.

رجلاً ويسميهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمتَ إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا. فقال عدي: فلا أبالي إذاً.

وعند مسلم في صحيحه(١) عن عدي قال: أتيت عمر بن الخطاب فقال لي: إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء، جئت بها إلى النبي ﷺ.

وبيضت: أي سَرَّت وأفرحت.

وفي رواية قال: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل من طيئ في ألفين ويعرض عني، قال: فاستقبلته فأعرض عني، ثم أتيته من حيال وجهه، فأعرض عني، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفني؟ قال: فضحك حتى استلقى لقفاه ثم قال: نعم، والله إني أعرفك، آمنتَ إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيّضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيئ جئت بها إلى النبي ﷺ ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق، فقال عدي: فلا أبالي إذاً(٢).

وَعُمِّرَ عدي بن حاتم حتى بلغ عشرين ومائة أو يزيد رضي الله عنه وأرضاه فارساً جواداً، وهادياً راشداً، ومعلماً بارزاً في أعلام هذه الأمة إلى يوم الدين وتوفي سنة ثمان وستين للهجرة أو زهاءها.

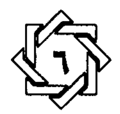
وحديث عدي بن حاتم، وكيفية إسلامه أنموذج لذوي الجاه والسلطان ممن يخافون الدخول في الإسلام، أو الإقبال عليه، أو نصرته ودعمه، ظناً منهم أن ذلك سيزيل عنهم ما هم فيه من دنيا أو ينحيهم عن جاههم وسلطانهم، وهذا الظن الخاطئ المخطئ فنّده عدي بتعقيبه على ما بشره به

---

(١) صحيح مسلم، فضائل الصحابة رقم ٢٥٢٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٥ عن عدي في مسند عمر بن الخطاب.

رسول الله ﷺ فكان، وأن الإسلام يرفع ولا يضع، ويغني ولا يفقر، ويسود ولا يذل، ويزيد في جاه الدنيا والآخرة، فياليت علية الأقوام والشعوب يعرفون حديث حاتم هذا فيكون لهم قدوة وطريقاً...



وفد الجارود العبدي، وبني عبد القيس

كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين، أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، وكانوا قد وفدوا عليه قبل ذلك، قبل فتح مكة.

فقدم عليه عشرون رجلاً، رأسهم عبد الله بن عوض الأشج، وفيهم الجارود بن المعلى العبدي أبو غياث، وقيل: أبو المنذر، وهو سيدهم.

وقيل الأشج هو: المنذر.

وكان قدومهم عام الفتح السنة الثامنة، فرحّب بهم رسول الله ﷺ... وأنزلهم دار رملة بنت الحارث وأجرى عليهم الضيافة، وبقي الوفد عشرة أيام. وكان الجارود نصرانياً فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، قال أنس بن مالك: لما قدم أهل البحرين، وقدم الجارود وافداً على رسول الله ﷺ، فرح به فقربه وأدناه[1].

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن الحسن قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ودعاه إليه ورغّبه فيه، فقال: يا محمد إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه»**.

قال: فأسلم، وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان، فقال: **«والله ليس عندي ما أحملكم عليه»**.

---

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٢٩٥، وفي سنده زربي بن عبد الله مضعف لكن له شواهد.

قال: يا رسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟.

قال: «**لا، إياك وإياها، فإنما تلك حرق النار**»[1].

فخرج الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صلباً على دينه حتى هلك، وقد أدرك الردة.

فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينه الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان، قام الجارود فتكلم شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، وقال: يا أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفر من لم يشهد[2].

قال ابن سيد الناس[3]: وروينا خبر قدومه من حديث سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس، وفيه إنشاده رسول الله ﷺ حين قدم في قومه:

يا نبي الهدى أتتك رجال ... قطعت فدفداً وآلاً فآلا
وطوت نحوك الصحاصح طراً ... لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهناء يقصر الطرف عنها ... أرقلتها قلاصنا إرقالا
وطوتها الجياد تجمح فيها ... بكماة كأنجم تتلالا
تبتغي دفع بؤس يوم عبوس ... أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد: الفلاة والصحراء.

والآل: السراب.

---

(١) حرق النار بفتح الحاء والراء ثم قاف، أي لهب النار والمعنى: أن ضالة المؤمن إذا أخذها إنسان ليتملكها أدته إلى النار.

(٢) وأخرجه موصولاً الطبراني عن محمد بن سيرين عن الجارود، وأبو يعلى، ورجاله ثقات، وابن هشام ٤/٢٤٣، وابن سعد الطبقات ١/٣١٥، والبيهقي، دلائل النبوة ٥/٣٢٨، وابن قيم الجوزية زاد المعاد ٣/٦٠٥، وابن كثير البداية ٥/٤٨.

(٣) عيون الأثر ٢/٣١٥.

والصحاصح: جمع صحصح: هو المستوي من الأرض.

والدهناء: موضع ببلاد بني تميم.

والإرقال: ضرب من العدو فوق الخبب.

وجمح: أسرع.

والكُماة: جمع كمي، وهو لابس عدة الحرب.

وهاله: أي أفزعه.

وقد كان الجارود صهر أبي هريرة، وكان معه بالبحرين لما أرسله عمر إليها.

وتوفي في معارك فارس، وقيل: بنهاوند سنة إحدى وعشرين للهجرة، وكان له عقب فيهم مجد وسيادة ﷺ وأرضاه، وقد نقل الصالحي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى خبر وفادته وطولها[1].

(١) انظر: الإصابة لابن حجر ٢١٧/١، وسبل الهدى والرشاد ص٦/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.



وفادة سلمان نائباً عن القسيسين والرهبان

قال سلمان: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال: لها جي، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إلي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية، حتى كنت قطن النار ـ أي خادمها ـ الذي يوقدها، لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عني، فإن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيس من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، قلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ أو لم أكن قد عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت:

مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك

الدين خير، ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: كلا والله إنه لخير من ديننا، قال؛ فخافني فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وَبَعَثْتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام.

فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت له: إني رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك وأصلي معك، قال: ادخل فدخلت معه، قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قال: فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنعه، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه، فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وَوَرِقَاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله، فأقمت معه زمناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل هو فلان، وهو على ما كنت عليه فَالْحَقْ به.

فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصيبين، فهو فلان فالحق به.

فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحبه بنصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فإنه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم، واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال سلمان: ثم مات وغُيِّبَ، ومكثتُ بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب، تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب

وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه، قالوا: نعم، فأعطيتهموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى، ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له، من بني قريظة، من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها.

وَبُعِثَ رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عِذْقِ - نخلة - لسيدي، أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعم أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتهما أخذتني العُرَوَاءُ - الرِعْدةُ - حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذاك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك وهذا؟ أقبل على عملك، قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء، ذووا حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا وأمسك بيده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه الهدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان ثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ، وهو ببقيع الفرقد، قد

شيع جنازة رجل من أصحابه، علي شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى خاتم النبوة الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أُقَبِّلُهُ وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: **«تحوّل»** فتحولت، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد.

قال: ثم قال رسول الله ﷺ: **«كاتب يا سلمان»**، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير ـ موضع غرس النخلة ـ وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«أعينوا أخاكم»**، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدْيَة، والرجل بعشرين وَدْيَة، والرجل بخمس عشرة وَدْيَة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدْية، فقال رسول الله ﷺ: **«اذهب يا سلمان ففقر لها»** ـ أي احفر لها ـ **«فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي»**.

قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب إليه الوَدْيَ ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها وَدْية واحدة، وبقي علي المال فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل سلمان الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: **«خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان»**، قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: **«خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك»**، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم.

وعتق سلمان، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً، ثم لم يفتني

من مشهد[1].

وكم في هذا الحديث من عبر لمن استمر وادَّكر، وكانت روحه صافية توّاقة كروح سلمان، وكان كثير التأمل والفِكَر!!!

إنه رائد من روائد البحث عن الحق المتثبت من صفات النبوة، بل هو وافد القسيسين والرهبان إلى رسول الله ﷺ، وقد كانوا يوصونه واحداً بعد آخر بالوصول إلى رسول الله ﷺ إذا أدرك زمانه، وينعتون له صفاته الشريفة التي تحدرت إليهم من سيدنا عيسى ـ صلوات الله عليه ـ وما بشر به حواريّه وقومه، فحملوها جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت على وهن وضعف إلى أفراد قلة في مستهل البعثة النبوية، ومنهم سلمان الخير، ابن الإسلام رضي الله عنه وأرضاه.

وبهذا الصبر استحق سلمان التنويه النبوي، والعطف المصطفوي، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال له رجل: مَنْ هؤلاء الذين لم يلحقواْ بنا؟ فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا ـ قال: وسلمان فينا ـ قال: فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، فقال: «**والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثرياً لتناوله رجال من هؤلاء**».

وفي رواية: «**لو كان الدين عند الثريا، لذهب به رجل من فارس**» ـ أو

---

(١) هذا حديث صحيح، رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمدو بن لبيد وهو من صغار الصحابة، عن عبد الله بن عباس الصحابي الجليل، عن سلمان نفسه، انظر: ابن هشام ١/ ٢٣٣.
وقد جاء من طرق عن سلمان الفارسي مطولاً ومختصراً. وانظر مواضعه في: مسند أحمد ٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٤، وابن أبي شيبة المصنف ١٤/ ٣٢١، وابن سعد ٤/ ٧٥، وابن حبان في صحيحه ٦/ ٦٤، والطبراني في الكبير ٦٠٦٥، ٦١٥٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٩٢، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٣٣٩، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ١٦٤، وحلية الأولياء ١/ ١٩٣، وابن سيد الناس ١/ ١٣٤، وانظر رواية أخرى في إسلامه عند: الحاكم ٣/ ٥٩٩، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٧٢.

قال: ـ من أبناء فارس حتى يتناوله»[1].

وقرأ رسول الله ﷺ من سورة محمد، الآية ٣٨: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ قالوا: ومَنْ يستبدل بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: هذا وقومه ـ وفي رواية: هذا وأصحابه ـ والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس[2].

إنه أمثال سلمان من الباحثين عن الحق من العجم وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، تفسير سورة الجمعة، ومسلم فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٦، والترمذي وغيرهم.

(٢) أخرجه الترمذي، وابن حبان، والحاكم وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة وله طرق. انظر: سنن الترمذي، التفسير، سورة محمد.



وفد بلي

وهم قبيلة عظيمة من قضاعة القحطانية، وكانت مساكنها بين المدينة ووادي القرى، ممتدة جهة البحر الأحمر إلى جهات تبوك، ثم إلى جبال السراة، ثم إلى معان عوداً إلى أيلة ـ أي العقبة ـ.

قال رويفع بن ثابت البلوي: قدم وفد من قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع فأنزلتهم في منزلي ببني جديلة، ثم خرجت بهم حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة، فسلمت، فقال رويفع: فقلت: لبيك قال: **«من هؤلاء القوم؟»** قلت: قومي، قال: **«مرحباً بك وبقومك»**، قلت: يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالإسلام، هم على من وراءهم من قومهم، فقال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيراً يهده للإسلام»**، قال: فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب ـ ويقال: أبو الضبين ـ، فقال: يا رسول الله إنا قدمنا عليك لنصدقك، ونشهد أن ما جئت به الحق، ونخلع ما كنا نعبد، ويعبد آباؤنا، فقال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار»**.

قال أبو الضبيب: يا رسول الله إني رجل لي رغبة في الضيافة، فهل لي في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة»**، قلت: يا رسول الله ﷺ ما وقت الضيافة؟ قال: **«ثلاثة أيام»**، فما بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك.

قال: يا رسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض؟ قال: **«لك أو لأخيك أو للذئب»**، قال: فالبعير؟ قال: **«ما لك وله دعه حتى يجده صاحبه»**.

قال رويفع: وسألوا عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم، ثم رجعت بهم إلى منزلي فإذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي بحمل تمر، قال: فكانوا يأكلون منه ومن غيره.

فأقاموا ثلاثاً، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه، فأمر لهم بجوائز كما كان يجيز من كان قبلهم ثم رجعوا إلى بلادهم(١).

وفي هذا الوفد يظهر أن بعض الناس فيهم من الأخلاق والشيم ما ليس في بعض آخر، فأبو الضبيب رجل يحب الأضياف والضيافة، فشجعه عليها رسول الله ﷺ، وحدد له أمدها بثلاثة أيام، وأن ذلك حق واجب للضيف، حدده في حديث آخر بيوم وليلة كما في حديث أبي شريح الخزاعي عند الشيخين وفي أحاديث أخرى، وتمامها المستحب ثلاثة أيام.

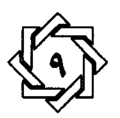
وشجع عليه الصلاة والسلام على مكارم الأخلاق، والإحسان للناس، وبيّن لهذا الوفد أن كل معروف يصنعه الإنسان للناس صدقة مثاب عليها.

وقد أكرمهم عليه الصلاة والسلام كما كان يكرم الوفود الواردة وزادهم أَن حمل إليهم حملاً من التمر إلى دار رويفع بن ثابت البلوي إكراماً لهم كذلك وتنويهاً بهم وبمن استضافهم، وقدمهم إلى الحضرة النبوية الشريفة، ثم حملهم ذكريات وجوائز وهدايا وانصرفوا إلى قومهم.

وهذا الوفد كان حريصاً على التعلم فسأل رسول الله ﷺ، وتعلم منه، مع ما لاحظه في الحضرة الشريفة.

---

(١) انظر: ابن سعد في الطبقات ١/ ٣٣٠ عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن موسى بن سعد، مولى لبني مخزوم، عن رويفع، والصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٨٢. وانظر: تاريخ الطبري ٣/ ٩٦، وابن سيد الناس عيون الأثر ٢/ ٣٣٦، وابن القيم الجوزية ٣/ ٦٥٧، وابن حجر الإصابة ١/ ٥٢٢، و٤/ ١١١، والمقريزي إمتاع الأسماع ص٤٤١.



وفد غسان

وكانت ديار غسان إذا جُزْتَ جبل عاملة تريد قصد دمشق من حمص، وما يليها، فهي ديار غسان من آل جفنة.

وكانوا عمالاً للإمبراطورية الرومانية البيزنطية يحمون الحدود الشامية من غارات الفرس واللخميين، ولم يكن لهم عاصمة معينة، ومن أهم مراكزهم الجولان، ومدينة الجابية وجلق الواقعة بالقرب من دمشق، وكانوا يختصون من بين العرب بالطيبات، ولهم الثريدة التي يضرب بها المثل وكانوا خبيرين بأحوال الروم، واليونان، وبني إسرائيل، وكانت النصرانية فيهم، ويتنافسون في الإبداع في إنشاء الكنائس(١)، وكانوا يقولون: الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد.

قال الواقدي: أخبرنا يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن محمد بن بكير الغساني عن قومه غسان قالوا(٢):

قدمنا على رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة عشر المدينة ونحن ثلاثة نفر، فنزلنا دار رملة بنت الحارث، فإذا وفود العرب كلهم مصدقون

---

(١) انظر: معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة ٣/ ٨٨٤ ـ ٨٨٥.

(٢) ابن سعد الطبقات ١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩، وابن سيد الناس عيون الأثر ٢/ ٣٤٠، وابن قيم الجوزية زاد المعاد ٣/ ٦٦٩ والصالحي، سبل الهدى والرشاد ٦/ ٣٩١.
والنص كله مرجعه إلى الواقدي يرويه عن يحيى بن عبد الله، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٢٨٥، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ١٦٠، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات ٧/ ٥٩٤ وقال: روى عنه أهل المدينة، وتوفي ثنتين وسبعين ومائة، ومحمد بن بكر لم أجد له فيما بين يدي من مصادر ترجمة.

لمحمد ﷺ، فقلنا فيما بيننا: أيرانا شر من يرى من العرب، ثم أتينا رسول الله ﷺ، فأسلمنا وصدقنا وشهدنا أن ما جاء به الحق، ولا ندري أيتبعنا قومنا أم لا، وهم عيون يحبون بقاء ملكهم، وقرب قيصر. فأجاز لهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمين، وأدرك واحد منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك فلقي أبا عبيدة فخبره بإسلامه فكان يكرمه.

وهكذا لا تخلو جميع القبائل والأمم والشعوب من عقلاء راشدين، يرتادون لأهليهم وقومهم مواقع الحق والخير.

ولا تخلو كذلك من ذوي نفوس ضعيفة وعقول خفيفة، تنتهز الفرص، وتتحين المناسبات، لتحافظ على زعاماتها ومصالحها ومنافعها، ولو كان ذلك تدميراً وهدماً وهلاكاً للأمة كلها.

وقد كان في غسان هذا يعلم أن الرأي الغالب في قومه، المتحكم في قبيلتهم حب الزعامة، والحرص على الحظوة عند قيصر، والتنافس في ذلك، ونيل رضا الروم، وعندما يصل الأمر إلى ذلك لا تسمع كلمة الحليم الرشيد، ولو كان فيهم.

ولم تمض سنوات معدودات حتى أسلمهم الروم إلى حتفهم، وولوا هاربين عنهم، كأن لم تكن بينهم مودة موثقة، أو معرفة سابقة، أو دين جامع، وطوتهم جيوش الإسلام في العهد العمري المجيد، ونأوا وتأخروا عن فضل رفيع وعز باذخ.



وفد الداريين

والدار: بطن من لخم.
ولخم فخذ من القحطانية، وكانت مساكنهم متفرقة، وأكثرها ما بين الرملة ومصر في الجفار، ومنها في الجولان، ومنها في حوران والبثينة ومدينة نوى، ومن بلادهم بفلسطين رفح، وحدس بالشام.
وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس، فدعيت باسمهم وهي المسماة اليوم: بيت لحم، وشاع فيهم التنصر قبل الإسلام.

وقدم وفد الداريين على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، وهم عشرة نفر فيهم تميم بن أوس الداري وأخوه نعيم بن أوس، وغيّر أسماء بعضهم.

وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية خمر وأفراساً، وقباءً مخوصاً بالذهب، فقبل الأفراس، والقباء، وأعطاه العباس بن عبد المطلب، فقال: ما أصنع به؟

فقال: انتزع الذهب فتحليه نساءك أو تستنفقه ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم(١).

وكان لتميم خبر عجيب مع رسول الله ﷺ نقله عنه، وجاء فيه أن تميماً ومن معه كانوا نصارى، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن فاطمة بنت قيس وكانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت المنادي،

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١/٣٤٣، وقد أخرجه عن شيخه الواقدي، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.
ومن طريق الكلبي عن عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن الجذامي عن أبيه، وقد قالا: . . . وذكر الخبر.

منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**»، ثم قال: «**أتدرون لمَ جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية من ثلاثين رجلاً من لخم، وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قُبُلَهُ مِنْ دُبُرِهِ، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلكِ ما أنتِ؟.

فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقاً، وأشدهم وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر قد اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء؟، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب.

قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على ما يليه من العرب وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه.

وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها، في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي، كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها».

قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة، يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، فإني أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو»، وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.

وفي رواية: وقال فيه: ثم قال: أما إنه لو قد أذن لي في الخروج،

وطئت البلاد كلها غير طيبة، فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس فحدثهم، ثم قال: **«هذه طيبة، وذاك الدجّال»**.

وفي رواية قالت: فسمعت النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب فقال: **«إن بني عم لتميم الداري، ركبوا في البحر...»**(١).

وفي رواية: أن تميماً قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أنه ركب البحر، فتاهت سفينته فسقط إلى جزيرة فخرج إليها ليلتمس الماء، فلقي إنساناً يجر شعره.

وفي رواية: أن ناساً من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم انكسرت بهم فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة فخرجوا إلى جزيرة في البحر.

وفي بعض رواياته: ولكن تميماً الداري أتاني فأخبرني خبراً منعني القيلولة من الفرح وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم، وذكر الحديث وفي آخره: **«إلى هذا انتهى فرحي (ثلاث مرات)، إن طيبة المدينة، إن الله حرم حرمي على الدجال أن يدخلها»**، ثم حلف رسول الله ﷺ، **«والذي لا إله إلا هو ما لها طريق ضيق ولا واسع في سهل ولا جبل، إلا عليه ملك شاهر بالسيف إلى يوم القيامة، ما يستطيع الدجّال أن يدخلها على أهلها»**.

قال عامر: فلقيت المحرر بن أبي هريرة، فحدثته حديث فاطمة بنت

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة رقم ٢٩٤٢، وأبو داود، الملاحم، باب في خبر الجساسة رقم ٤٣٢٥، ٤٣٢٦، ٤٣٢٧، والترمذي، الفتن، باب رقم ٦٦، وقال: حديث صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبي، وقد رواه غير واحد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، والنسائي، الحج من الكبرى، فضائل مكة والمدينة رقم ٤٢٥٨، وابن ماجه، الفتن، باب فتنة الدجال، رقم ٤٠٧٤، وأحمد في المسند، وانظر: الفتح الرباني ٢٤/ ٧٠، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٥، الفتن رقم ١٩٣٦٦، والطبراني في الكبير بزيادة في آخره ٢/ ٤٣ وفيه: سيف بن سكين وهو ضعيف جداً.

قيس فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة، غير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه نحو المشرق»**. قال: ثم لقيت القاسم بن محمد، فذكرت له حديث فاطمة فقال: أشهد على عائشة أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة غير أنها قالت: **«الحرمان عليه حرام: مكة والمدينة»**.

وهذه رواية مجالد بن سعيد ـ وفيه كلام ـ عن الشعبي عند أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه، واختصروا آخره وذكر إسناده أبو داود، وقد جاء من حديث جابر بن عبد الله كذلك(١).

وهذا الحديث معدود في مناقب تميم الداري إذ نقله رسول الله ﷺ إلى المسلمين عنه، وعليه قالوا: رواية الفاضل عن المفضول والمتبوع عن تابعه.

ومعنى: ارفأوا إلى جزيرة: أي التجؤوا إليها، ومرفأ السفينة: حيث ترسي، يقال: أرفأ السفينة: إذا قربتها من الشط.

وأقرُب السفينة: جمع قارب، وهي سفن صغار، تكون مع السفينة الكبيرة للنجاة حال الغرق، جاء على غير قياس، والقياس قوارب، وفي رواية ابن أبي شيبة قوراب السفينة، وقد روى ابن ماهان هذا الحرف في صحيح مسلم فقال: في أخريات السفينة، وعليه يفسر أقرب السفينة: أدانيها، أي ما قرب منها النزول.

وأهلب جاء تفسيره: كثير الشعر، والهلب: ما غلظ من الشعر.

والجسّاسة: بتشديد السين الأولى: سمت نفسها بذلك لتجسسها أخبار الدجال، وهو الفحص عن الأخبار، وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن هذه الدابة هي دابة الأرض التي تخرج للناس في آخر الزمان فتكلمهم.

---

(١) انظر في: سنن أبي داود رقم ٤٣٢٨، وأبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٧/٣٤٦.

وصادفنا البحر قد اغتلم: أي هاج هيجاناً عظيماً جاوز الحد.

وبيسان: قرية بفلسطين جنوب بحيرة طبرية، وهي على نحو ستة كيلومترات من ضفة نهر الأردن، ومائة وسبعة وعشرين كيلومتراً من القدس، وقد هدمها اليهود سنة ١٩٤٩ وأقاموا مكانها مستعمرة باسم: بيت شعن، أو بيت شان[١]، قال ياقوت: توصف بكثرة النخل، وقد رأيتها مراراً، فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين، وهو من علامات خروج الدجال، وهي بلدة وبيئة وحارة، وأهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحر عندهم.

وعين زغر: بالزاي المضمومة والغين المعجمة المفتوحة، بوزن زفر، بلدة تقع على شاطئ البحر الميت في غور الأردن اندثرت الآن[٢].

قال ياقوت: هي في وادٍ وخم رديء في أشأم بقعة إنما يسكن أهله لأجل الوطن، وقد يهيج فيهم في بعض الأعوام مرض فيفني كل من فيه أو أكثرهم.

ونبي الأميين: هو محمد ﷺ، والأميون هم العرب، لأن غالبهم آنئذ لا يكتب ولا يحسب، وقوله: صلتاً: أي مجرداً من غمده، وهي بضم الصاد وفتحها، والمخصرة: عصاً أو قضيب كان يكون مع الملك إذا تكلم. وقوله: لا، بل من قبل المشرق.

قال القرطبي[٣]: هذا كله كلام ابتدئ على الظن، ثم عرض الشك أو قصد الإبهام؛ ثم بقي ذلك كله، وأضرب عنه بالتحقيق، فقال: لا بل من قبل المشرق، ثم أكد ذلك «بما» الزائدة وبالتكرار اللفظي، «فما» فيه زائدة «لا» نافية، وهذا لا بعد فيه، لأن النبي ﷺ بشر يظن ويشك، كما يسهو وينسى إلا أنه لا يتمادى ولا يقر على شيء من ذلك بل يرشد إلى التحقيق، ويسلك به سواء الطريق.

---

(١) انظر: المعالم الأثيرة ص٦٨.
(٢) انظر: المعالم الأثيرة ص١٣٥، ومعجم البلدان، ولسان العرب مادة زغر.
(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ٧/ ٢٩٩.

والحاصل من هذا: أنه ظن ﷺ أن الدجال المذكور في بحر الشام، لأن تميماً إنما ركب في بحر الشام، ثم عرض له أنه في بحر اليمن لأنه يتصل ببحر متصل ببحر اليمن، فيجوز ذلك، ثم أطلعه العليم الخبير على تحقيق ذلك فحقق وأكد.

وفي هذا الحديث إخبار عن قضايا غيبية بعضها ظهر كيبس نخل بيسان، وانتصار النبي ﷺ وأمته، وكان حين حدّث به لم يتجاوز الإسلام أرض الحجاز، وبعض هذه الأمور لم يظهر، فالعاقل الرشيد لا يسرع إلى الإنكار لأنه خطاب النبي ﷺ مفتوح على امتداد الزمان واتساع المكان، فَحَصْرُهُ في مكان وَقَصْرُهُ على زمان خطأ كبير، ولا شك أن ما صح عنه واقع لكن متى؟! علم ذلك عند الله تعالى.

ثم إن في تحديث الدجال الذي جاءت فيه وأخباره أحاديث كثيرة جداً، كلام طويلٌ ويتكشف خبره مع الأيام وتتوالى على الخليقة والأنام، وقد عرضنا لذلك في غير هذا الموضع.

وفي هذا الحديث إقبال تميم ومن معه مؤمنين بالنبي ﷺ مقرين بنبوته لما كان يترامى إلى مسامعهم من الأحبار والرهبان، ولما تأكد عندهم في هذه الواقعة.

وفيه إكرام رسول الله ﷺ لهم، وقد جاء في خبرهم عند ابن سعد وغيرهم أنهم بقوا حتى توفي رسول الله ﷺ وقد أمر لهم بجاد مائة وسق[1]! أي بمائة وسق من التمر مجدودة أو مجنية.

وهذا اللقاء مع رسول الله ﷺ قال تميم: يا رسول الله لنا جيرة من الروم لهم قريتان، يقال لأحدهما: حبرى، والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي، قال: فهما لك.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق برواية يونس بن بكير عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وهو سند صحيح مرسل، انظر: فتح الباري ٥/ ٣٦٢.

فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له كتاباً. هكذا روى أبو عبيد، وعند أبي يوسف: قرية يقال لها: جبرين.

وفي رواية عن عكرمة: لما أسلم تميم الداري قال: يا رسول الله إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال: هي لك، وكتب له بها، فلما استخلف عمر وظهر على الشام، جاء تميم الداري بكتاب النبي ﷺ فقال عمر: أنا شاهد ذلك، فأعطاه إياه.

قال: وبيت لحم هي القرية التي ولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام.

وفي رواية عن ضمرة بن ربيعة عن سماعة أن تميماً الداري سأل رسول الله ﷺ أن يقطعه قريات بالشام، عينون وفلانة، والموضع الذي فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم وعلى نبينا صلوات الله وسلامه.

قال: وكان بها ركحه ووطنه، قال: فأعجب ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**إذا صليت فسلني ذلك**»، ففعل، فأقطعه إياهن بما فيهن، فلما كان زمن عمر وفتح الله تبارك وتعالى عليه الشام، أمضى له ذلك.

قال أبو عبيد: أهل المدينة إذا اشتروا الدار، قالوا: بجميع أركاحها، أي نواحيها، وعن الليث بن سعد أن عمر أمضى ذلك لتميم، وقال: ليس لك أن تبيع، قال: فهي في أيديهم إلى اليوم[١].

وعن محمد بن سيرين عن تميم الداري قال: استعطيت رسول الله أرضاً بالشام قبل أن تفتح فأعطانيها، ففتح عمر في زمانه، فأتيته فقلت: إن رسول الله ﷺ أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا، فجعل عمر ثلثها لابن السبيل، وثلثاً لعمارتنا وثلثاً لنا[٢].

وقد ذكر أبو يوسف نص الكتاب فقال[٣]: فكتب له:

---

(١) هذه الروايات في كتاب الأموال لأبي عبيد، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠، والنص الأول عند أبي يوسف في كتاب الخراج ٢/٥٣٨. وهو من أقدم المصادر في الإسلام.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢/٤٧، ورجاله موثقون.
(٣) الخراج ٢/٥٤٠، وهو آخر كتاب الخراج.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري، أن له قرية جبرين، وبيت عينون، قريتها كلها وسهلها، وجبلها، وحرسها، وأنباطها، وبقرها، ولعقبه من بعده، لا يحاقه فيهما أحد، ولا يلجها عليهم أحد بظلم، فمن ظلم واحداً منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله، (وكتب علي).

والمحاقة: المخاصمة أي لا ينازعه حقه إلا محجوج مخصوم.

فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه، كتب لهم كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من أبي بكر، أمين رسول الله ﷺ الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للداريين، أن لا يفسد عليهم سبدهم ولبدهم من قرية جبرين وعينون.

فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منها شيئاً، وليقم عمودي الناس عليهما، وليمنعهما من المفسدين.

والسبد واللبد: بالتحريك فيهما، أي القليل والكثير.

ونقل نص الكتاب ابن سعد عن الواقدي عن شيوخه: الهيثم بن عدي بسنده إلى بريدة بن الحصيب، وعن ابن إسحاق بسنده إلى الزهري.

وعن الحسن بن عمارة إلى الشعبي(١) قالوا: وكتب رسول الله ﷺ لنعيم بن أوس: **«أن له حبرى وعينون بالشام قريتها كلها، وسهلها، وجبلها، وماءها، وحرثها، وأنباطها، وبقرها، ولعقبه من بعده، لا يحاقه فيها أحد، ولا يلجه عليهم بظلم، ومن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**.

وكتب علي(٢).

---

(١) تقدم هذا الإسناد وتقويمه.

(٢) انظر: الطبقات ١/٢٦٧، ومثله عند ابن طولون في إعلام السائلين ص١٤٦. لكن الكتاب لتميم، وفيه: (وكرومه).

وقال البَلاذري[1]: حدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: وفد تميم بن أوس أحد بني الدار بن هانئ بن حبيب من لخم، ويكنى أبا رقية على النبي ﷺ ومعه أخوه نعيم بن أوس فأقطعه رسول الله ﷺ حبرى، وبيت عينون، ومسجد إبراهيم عليه السلام، فكتب بذلك كتاباً فلما افتتح الشام دفع ذلك إليهما.

فكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بهذه القطعة لم يعرج، وقال: أخاف أن تصيبني دعوة النبي ﷺ.

وخبر إقطاع النبي ﷺ جاء من طرق كثيرة، كما أكد ذلك الحافظ ابن حجر[2]، وخاصة في المصادر الأولى.

وقد جاء في بعض المصادر المتأخرة أن وفد الداريين قدم مرتين، مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها كما نعلم من نص ابن عساكر في تاريخ دمشق، وكتب لهم الكتاب أولاً ثم جدده ثانياً، كما عند القلقشندي في صبح الأعشى، ومآثر الإنافة، ونهاية الأدب للنويري، والضوء الساري للمقريزي، وأمثالها من الكتب المتأخرة.

وقد جاء هناك بعض الخلافات في بعض الألفاظ والنص، ومن ذلك ما ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد، حيث قال: قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، قال: قال الصاحب الإمام سفير الخلافة أبو محمد عبد الله محمد بن أبي الحسن البادرائي رحمه الله: قلت: وهو صاحب المدرسة البادارئية العظيمة بدمشق، إنه شاهد صورة بخط أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه الذي كتب بإذن رسول الله ﷺ: **(هذا ما أعطى محمد رسول الله تميماً الداري وإخوانه، حيرون، والمرطوم، وبيت**

---

(١) انظر: فتوح البلدان ص١٧٦.

(٢) الإصابة لابن حجر ١٨٤١، وانظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٢٢، فقد قال: تميم بن أوس وأخوه نعيم بن أوس، أقطعها النبي ﷺ بيت جبرين، وبيت عينون.

عينون، وبيت إبراهيم، وما فيهن عطية البت برمتهم، ونفذت، وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم، من آذاهم آذاه الله، ومن آذاهم لعنه الله).

شهد عتيق بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكتب علي بن أبي طالب: وشهدت[1].

ومثله في معجم البلدان لياقوت قال: وقدم على النبي ﷺ تميم الداري وقومه وسأله أن يقطعه حبرون، فأجابه، وكتب له كتاباً نسخته **(بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ...)**[2].

وقد جاءت في بعض المصادر: حبرون، وبعضها، حبرى، وهي اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم عليه السلام، وتسمى الآن: الخليل.

وما ورد في بعض المصادر: جبرين، جبرون، أو جيرون، أو صهيون، فهي تصحيف وتحريف، إلا ما كان من بيت جبرين، فهي قرية في تلك الناحية، ولعلها كانت واردة في الكتاب.

وبيت عينون: قرية من قرى الخليل بفلسطين.

ولعل المرطوم كذلك قرية من قرى فلسطين الواقعة بين بيت المقدس والخليل ولم يذكرها ياقوت في معجمه.

ولم يزل كتاب الداريين بأيديهم، وعليه بنى الفقهاء كثيراً من الأحكام الشرعية في هذا الباب.

قال الصالحي: قد تواردت الحكايات أن رسول الله ﷺ أقطع تميماً وأخاه نعيماً وأصحابهما وذريتهم قرى بأرض بيت المقدس، وكتب لهم بذلك كتاباً، ولعن فيه من عارضهم، ولم يزل هذا الكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٩/ ٣٩. وانظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ٣/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) معجم البلدان ٢/ ٢١٢.

وقد ألف الحافظ أبو الفضل بن حجر، والحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي، وشيخنا الحافظ أبو الفضل جلال الدين السيوطي في صحة ذلك مؤلفاً، وفي كل ما ليس في الآخر[1].

وأطال الكتاني في الحديث عن هذا الكتاب، وتاريخه ونقل نصوصاً عديدة[2]، فمن شكك في هذا الكتاب فقد قصر في الفهم وجانب منهج العلم والصواب، أو كان في فؤاده دغل وارتياب.

ومما يروى في شأن هذا الكتاب ما نقل عن القاضي أبي بكر بن العربي قال: ولقد اعترض بعض الرواة على آل تميم أيام كنت بالشام، وأراد انتزاعها منهم، فحضر القاضي حامد الهروي، وكان حنفياً في الظاهر معتزلياً في الباطن، ملحداً شيعياً، فاحتج أولاد تميم بالكتاب، فقال القاضي: هذا الكتاب ليس بلازم، لأن النبي ﷺ أقطع تميماً ما لا يملك، فاستفتى الوالي الفقهاء، وكان الطوسي - يعني الغزالي - حينئذٍ ببيت المقدس، فقال: هذا القاضي كافر، فإن النبي ﷺ قال: «**زويت لي الأرض كلها، وكان يقطع الجنة فيقول: قصر كذا لفلان، ووعده صدق، وعطاؤه حق**».

قال: فخزي القاضي والوالي، وبقي أولاد تميم على ما بأيديهم.

قلت: والحديث الذي أشار إليه هو ما جاء من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض.**

وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد ٩/ ٤٠.
(٢) انظر: التراتيب الإدارية ١/ ١٤٣.

عليهم من بأقطارها ـ أو قال ـ: **من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»**.

هذه رواية مسلم والترمذي وأحمد وزاد أبو داود وابن ماجه[1].

«وإنما أخاف على أمتي المضللين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

ومعنى الحديث: أن الله تعالى جمع للنبي ﷺ الأرض فأبصر ما تملكه أمته من بعده، من أقصى المشارق والمغارب، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

وقوله: **«أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»**؛ يعني بذلك كنز كسرى ملك الفرس، وكنز قيصر ملك الروم، وعبّر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، وكان الغالب عندهم الفضة والجواهر، وقد ظهر ذلك ووجد، وجاء في الصحيح تمام هذا الحديث منفصلاً: ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله، وقد سيق تاج كسرى وأمواله ورياشه إلى عمر بن الخطاب، وكذلك كان أمر قيصر.

«وبيضة المسلمين»: أي جماعتهم، ومعظمهم، وبيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم.

ومعنى ذلك أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد، ولو اجتمع عليهم كل من في أقطار الأرض.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض رقم ٢٨٨٩، وأبو داود، الفتن رقم ٤٢٤٩، والترمذي: باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ألا تأتي أمته، وقال الترمذي: حسن صحيح، وأحمد في المسند، وقال الترمذي: حسن صحيح، وأحمد في المسند ٥/٢٧٨، ٢٨٤، وأخرجه أحمد ٤/ ١٢٣، من حديث شداد بن أوس، ولهذا الحديث شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة في الصحاح وغيرها.

«حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً»: حتى للغاية، والمعنى أنه لا يسلط عليهم عدوهم، فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض وسبي بعضهم، أي أن يتآمر بعضهم ضد بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، ويكون ذلك جراء تفرق جماعتهم، وتقاعسهم عن جهاد العدو فتقوى شوكة العدو، ويستعين ببعضهم ضد بعض، وهذا ما كان عبر التاريخ ولا يزال يتكرر من ذوي الذمم الضعيفة والنفوس المريضة، وفي هذا الحديث تنبيه وتوجيه للأمة عبر العصور أن عزها واتساعها يكون باعتصامها بدين ربها ووحدة جماعتها، وأن مهانتها وضعفها يكون بتفرقها وانشغالها عن القيام برسالتها، وفي واقعنا الذي نعيشه عبرة لمن اعتبر.

٣

الغزوات والسرايا(١)

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠].

وكان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم...**».

حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره عن بريدة بن الحصيب وقال رسول الله ﷺ: «**قل لخالد: لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً** ـ أي أجيراً ـ . . .»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**... ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة**»(٣).

---

(١) والغزوات: جمع غزوة وهي المعركة التي كان يحضرها النبي ﷺ.
السرايا: جمع سرية وهي القطعة من الجيش كل يرسلها النبي ﷺ ولا يحضرها بنفسه ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود، الجهاد رقم ٢٦٦٩، عن رباح بن الربيع.

(٣) أخرجه أبو داود، الجهاد رقم ٢٦١٤، عن أنس.

توطئة

لقد غزا رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة غزوات عديدة بلغت ستاً وعشرين غزوة أو سبعاً وعشرين وقيل أكثر، وقيل أقل، وأرسل سرايا وبعوثاً كثيرة، زادت على خمس وثلاثين ما بين بعث وسرية، وقيل: سبعاً أو ثمانياً وأربعين، وقيل: ستاً وخمسين.

ولم يكن في جميع غزواته أو سراياه بادئاً بقتال، أو طالباً لدنيا، أو جامعاً لمال، أو راغباً في زعامة، أو موسعاً لحدود دولة أو مملكة، بل كل ذلك كان هداية للناس، وتحريراً للعقول، ورفعاً للظلم، وربطاً للناس برب العالمين، بأعلى أساليب العفة والشرف، والنبل مما جعل هذه الغزوات أنموذجاً للتعامل الدولي في الحروب والأسارى.

وقد تنوع فيها أعداؤه وتعددت دياناتهم ومشاربهم، فمنهم الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم الدهري الذي لا يؤمن بدين ولا يقر بآخرة ومنهم ومنهم...

وكانت كلها على وتيرة واحدة ومنهج ظاهر لكل الناس...

وقد غزا النصارى وأسرى إليهم بعوثه فما كانوا ليشذوا عن القاعدة أو يخرجوا عن المنهج بل كان لهم مزيد تكريم وكبير عناية، وقد رتبنا سراياه وغزواته إليهم بترتيبها الزمني لتكون أدعى للوعي والتأمل.

١ ـ غزوة دومة الجندل.

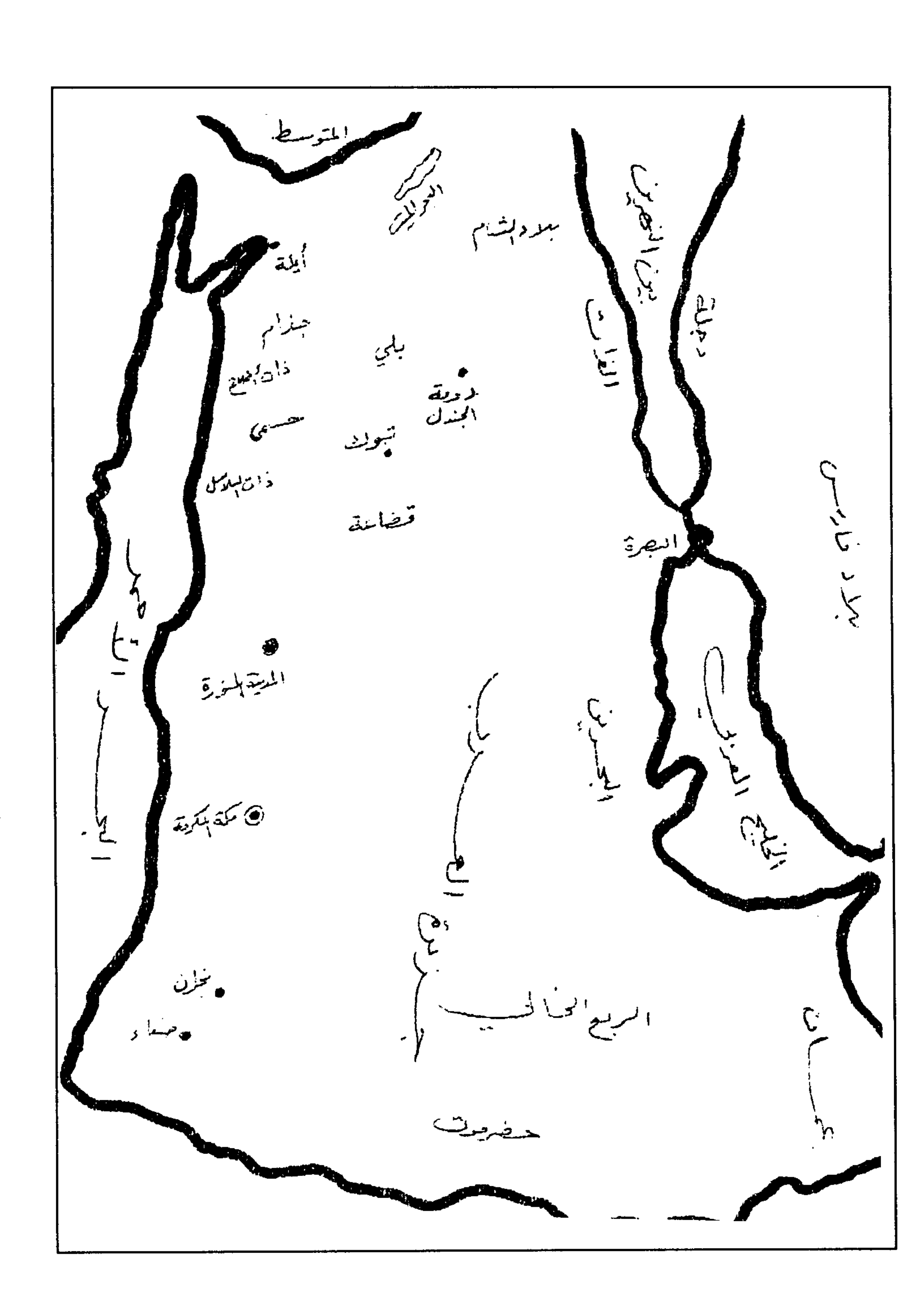
٢ ـ سرية عبد الرحمٰن بن عوف إلى دومة الجندل.

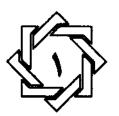
٣ ـ كعب بن عمير داعياً لقضاعة.

٤ ـ مؤتة.

٥ ـ تبوك.

٦ ـ بعث أسامة بن زيد.


المتوسط
بلاد الشام
أيلة
جذام
بلي
ذات أطلاح
دومة الجندل
حسمى
تبوك
ذات السلاسل
قضاعة
البصرة
المدينة المنورة
مكة المكرمة
نجران
صنعاء
الربع الخالي
حضرموت
بلاد فارس
الخليج العربي



غزوة دومة الجندل[1]

وقد خرج إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام في ربيع الأول سنة خمس، وذلك لأنه قد بلغه أن فيها جمعاً كثيراً من قضاعة وغسان يريدون أن يدنوا من المدينة وأنهم يظلمون من مر بهم من التجار المارين إلى المدينة، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وهي من دمشق على خمس ليال.

فاستعمل على المدينة سباع بن عرفطة، قال الواقدي عن شيوخه، قالوا: أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أدنى الشام، وقيل له: إنها طرف من أفواه الشام ـ أي دومة الجندل ـ وخرج في ألفين من المسلمين انتخبهم ومعه دليل من بني عذرة، يقال له: مذكور، فغذ السير، ونكب عن طريقهم، فكان يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم، إذا هم مغربون، وإذا آثار النَّعَمِ والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب.

وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً بث السرايا، وفرق الجيوش فلم يصب منهم أحداً إلا رجلاً جاء به محمد بن مسلمة فسأله عنهم فقال: هربوا لما سمعوا بأخذك النَّعَمَ والشاء، ثم عرض عليه الإسلام فأسلم فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً[2].

---

(١) ودومة الجندل تقع اليوم شمال المملكة العربية السعودية، قريبة من الجوف.

(٢) الواقدي المغازي ١/٤٠٢، وابن سعد الطبقات ٢/٦٢، ابن هشام ٣/٢٢٩، البلاذري أنساب ١/٣٤١، الطبري ٢/٥٦٤، وابن حبان السيرة ص٢٥١، ابن سيد

وقد قيل: إنه لم يصل إليها.

مغربون: أي نازحون عن مكانهم.

وما كان رسول الله ﷺ ليخرج إليهم، إلا لأنهم بدأوا يقطعون الطريق، ويخيفون الآمنين، وينهبون أموال المسافرين، فكان لا بد من إعادة الأمر إلى نصابه، وردعهم عن غيهم. قلت: وقضاعة؛ قبيلة كبيرة، وشعب عظيم اختلف النسابون في انتمائه، وكانت ديارهم في الشحر، ثم في نجران، ثم في الحجاز، ثم في الشام، فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق وفي أيلة وجبال الكرك إلى مشارف الشام، واستعملهم الروم على بادية العرب هناك[1].

= الناس ٢/ ٨٣، ابن القيم ٣/ ٢٥٥، وابن كثير ٤/ ٩٢، الإشارة للمغلطاي ص٢٤٩، والمقريزي إمتاع الأسماع ص١٩٤.

(١) انظر: معجم قبائل العرب ٣/ ٩٥٧، وانظر: القبائل القضاعية في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٨٥.



سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

ولما استشعر رسول الله ﷺ أن خطراً قد يأتي من قبل دومة الجندل أرسل في شعبان من السنة السادسة للهجرة عبد الرحمٰن بن عوف في سرية إلى كلب بدومة الجندل يدعو مَنْ هناك للإسلام، ويعرضه عليهم.

وقد استدعاه وقال: تجهز فإني باعثك على سرية يومك هذا أو من الغد إن شاء الله تعالى ثم جاءه فأقعده بين يديه، وعممه بيده، وقال: «**اغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغل ولا تغدر، ولا تقتل وليداً، هذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم**».

وقال: «**إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم**». وأقبل النبي ﷺ على الناس فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن، ونزلن فيكم ـ أعوذ بالله أن تدركوهن ـ لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم.**

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذُوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا الزكاة إلا مُنِعُوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم، وأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله (ويتخيروا مما أنزل الله) إلا ألقى الله بأسهم بينهم».

فسار عبد الرحمٰن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رأسهم وملكهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية.

وتزوج عبد الرحمٰن تماضر بنت الأصبغ، وقدم بها إلى المدينة[1] وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمٰن الإمام التابعي الجليل المتوفى سنة ٩٤هـ.

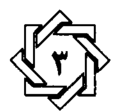
وقد ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قد أرسل أبا عبيدة بن الجراح في سرية إلى دومة الجندل.

ولقد كانت الضرورة قائمة في دفع الخطر الآتي من قبل دومة الجندل، فكانت هذه السرية، ولك أن تلاحظ المنهج النبوي، ووصيته إلى قادة جيشه، بل الجيش كله، وتعليماته الصارمة، بأن يغزو لبلاغ الرسالة لا لغير ذلك، وإذا كان هذا الأمر فلا يقاتل إلا من كفر بالله، ولا يجوز لجيش الإسلام أن يغدر، أو يسرق، أو يعتدي، أو يقتل النسوة اللائي لا يحاربن، أو الأطفال الصغار الأغرار...

إن الدساتير الدولية، وإن سطرت بعض هذا واقتبسته من الشريعة الإسلامية إلا أنها لا تقيم في المعارك الدائرة لذلك أدنى وزن، ولا تكترث به أدنى اكتراث، وكم في معارك الإسلام من عبر ودروس لمن يقود الجيوش أو يحكم الأمم ويسوس!!!

---

(١) انظر: ابن سعد الطبقات ٢/ ٨٩، ابن هشام ٤/ ٣٠٧ وفيه: قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر عن إرسال العمامة من خلف إذا اعتم... فذكره. والبلاذري أنساب ١/ ٣٧٩، وابن سيد الناس ٢/ ١٥٥، ابن القيم ٣/ ٢٨٤، ومغلطاي الإشارة ص٢٧١، وابن كثير البداية ٤/ ١٣٩ و٥/ ٢٢٠، والصالحي ٦/ ٩٣، والحاكم مطولاً في المستدرك موصولاً ٤/ ٥٤٠ وقال: صحيح، ومثله قال الذهبي، والحديث: «يا معشر المهاجرين...» عن ابن ماجه في سننه رقم ٤٠٩١ الفتن باب العقوبات موصولاً، والحديث حسن مما بقوي رواية ابن إسحاق وغيره من علماء السيرة.



كعب بن عمير داعياً لقضاعة في ذات أطلاح

وذات أطلاح مكان وراء وادي القرى من جهة الشام[(١)] وكان مساكن لقضاعة ـ وهي قبيلة كبيرة ـ التي كانت تدين بالنصرانية تبعاً للدولة البيزنطية، فبعث لهم رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم من النبل، فلما رأى ذلك أصحاب النبي ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر، فتركه[(٢)].

وقال الحارث بن الفضل: كان كعب يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى دنا منهم فرآه عين لهم فأخبرهم بقتلهم فجاؤوا على الخيول فقتلوهم[(٣)]، وكان على رأسهم رجل يقال له: سدوس.

---

(١) وفي وادي العربة بفلسطين مكان يدعى (وادي الطلاح) الراجح أنه موقع سرية ذات أطلاح.

(٢) انظر: الواقدي المغازي ٢/ ٧٥٢ عن محمد بن عبد الله عن الزهري، وعند ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٢٧، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٥٧، وابن حبان السيرة النبوية ص٣١٧ ـ ٣١٦، والطبري ٣/ ٢٩ على نظر في اسم أمير السرية، وابن سيد الناس ٢/ ٢٠٧، والمقريزي إمتاع الأسماع ص٣٤٣ ـ ٣٤٤، وابن كثير: البداية ٤/ ٣٤١، والصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٤٣ وقد عزا مثل هذا النص ابن حجر في الإصابة ٣/ ٣٠١ إلى موسى بن عقبة عن الزهري كرواية الواقدي وإلى أبي الأسود عن عروة قالا ـ أي ابن شهاب وعروة ـ . . . وذكراه، وانظر: الاستيعاب ٣/ ٢٩٢ وعزاه إلى الدولابي وقال عن كعب بن عمير: من كبار الصحابة بعثه رسول الله ﷺ مرة بعد مرة أميراً، وعزاه إلى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، وبهذا نجد اتفاق رواة السيرة على هذه السرية وأميرها.

(٣) انظر: الواقدي ٢/ ٧٥٣، عن ابن أبي سبرة عن الحارث بن فضيل، وانظر: الصالحي =

وكانت هذه السرية في شهر ربيع الأول سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ وقد قيل: أن الذي نجا هو الأمير. ولعل هذه الواقعة من أسباب غزوة مؤتة ثم تبوك بعدها.

وإن هؤلاء القوم الذين لم تتسع صدورهم لسماع أو قول، وعرض فكرة، فقضوا على أربعة عشر رجلاً في غداة واحدة، أليسوا حقيقين بالحساب والمعاقبة!!؟

وهل تتحول الأمم وتترقى الحضارات إلا بالأفكار والآراء، وبعضها يأتي من خارجها؟!!

= سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٤٣.



غزوة مؤتة[1]

وكانت الغزوة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي ثم أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ـ وكان الغساسنة يدينون بالنصرانية تابعين للدولة البيزنطية ـ وشرحبيل هذا من أمراء قيصر على الشام فقال: أين تريد؟ فقال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم أنا رسول رسول الله، فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً. ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه وندب الناس فأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله[2].

* الجيش ومركز تجمعه وتحديد قيادته:

فأسرع الناس لهذه السرية وخرجوا إلى الجرف، واجتمع هناك ثلاثة آلاف مقاتل، وحدد رسول الله ﷺ قيادة هذا الجيش فقال: **«زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن أبي رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون رجلاً منهم»**[3].

---

(١) ومؤتة: تهمز ولا تهمز بأدنى البلقاء من أرض الشام، وتقع الآن بالديار الأردنية، وهي مدينة عامرة.

(٢) ذكره الواقدي عن ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم عن أبيه وذكر هذا السبب، المغازي ٢/ ٧٥٥. وانظر: طبقات ابن سعد ٢/ ١٢٨، وابن سيد الناس ٢/ ٢٠٨، والإشارة لمغلطاي ص٢٩٨، وابن القيم زاد المعاد ٣/ ٣٨١، وابن حجر الفتح ٧/ ٥١١.

(٣) وهذا مذكور في جميع المصادر ومنها الصحاح، انظر: البخاري ٧/ ٥١٠ المغازي،

وكان فيمن سمع هذا التحديد النعمان بن فنحص اليهودي، فقال: أبا القاسم، إن كنت نبياً فسميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً، إن الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا: إن أصيب فلان، فلو سمى مائة أصيبوا جميعاً.

ثم جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة: اعهد فلا ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبياً، فقال زيد: فاشهد أنه نبي صادق بار.

ثم دفع رسول الله ﷺ اللواء إلى زيد بن حارثة وكان اللواء أبيض، وودع الناس بعضهم بعضاً وودع أمراء رسول الله ﷺ، وقال المسلمون للجيش: دفع الله عنكم، وردكم صالحين[1].

*** وصية رسول الله ﷺ:**

وقال رسول الله ﷺ للأمراء: «**أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً**»، أو قال لهم: «**اغزوا باسم الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك فادعهم إلى إحدى ثلاث فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم واكفف عنهم؛ ادعهم إلى الدخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم من الفيء ولا في القسمة شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكفف عنهم فإن أبوا فاستعن عليهم بالله وقاتلهم.**

= باب غزوة مؤتة من أرض الشام من حديث عبد الله بن عمر، وكان حاضراً في الغزوة.

(١) انظره: في الواقدي المغازي ٢/ ٧٦٥، والبيهقي دلائل النبوة ٤/ ٣٦٢، وابن كثير البداية ٤/ ٢٤١.

وإن أنت حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا، وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمتك، وذمة أبيك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، قاتلوا عدو الله وعدوكم في الشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأة، ولا صغيراً ضرعاً، ولا كبيراً فانياً، ولا تحرقن نخلاً ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً»[1].

* تحرك الجيش وحداء ابن رواحة:

وتحرك هذا الجيش يوم الجمعة، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وغيره عن ابن عباس[2]، أن ابن رواحة تخلف وقدم أصحابه ليصلي الجمعة مع رسول الله ﷺ ثم يلحق بهم، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **«ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟»** فقال: أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال رسول الله ﷺ: **«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم»**.

ولما ودع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله، فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ فلست أدري كيف لي بالصَدَرِ بعد الورود؟! فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

---

(١) الواقدي المغازي ٢/٧٥٧، ٧٥٨ عن ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم عن أبيه.

(٢) انظر: الساعاتي الفتح الرباني ١٤/١٦، ٢١/١٣٨، والترمذي كتاب الجمعة، الباب قبل الأخير، وابن أبي شيبة في المصنف ١٤/٥١٢.

لكنني أسأل الرحمٰن مغفرة   وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة   بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذ مروا على جدثي   أرشده اللّه من غاز وقد رشدا[(١)]

وكان زيد بن أرقم يقول: كنت في حجر عبد الله بن رواحة فلم أر والي يتيم كان خيراً منه، خرجت معه في وجهه إلى مؤتة وصب بي وصببت به، فكان يردفني خلف رحله فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شعبتي الرحل: وهو يتمثل أبيات شعر[(٢)]:

إذا بلغتني وحملت رحلي   مسافة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم   ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني   بأرض الشام مستنهى الثواء
وردك كل ذي نسب قريب   إلى الرحمٰن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل   ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعت هذه الأبيات بكيت، فخفقني وقال: وما ضرك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها وأحداثها، وترجع بين شعبتي الرحل؟ ثم نزل نزلة من الليل، فصلى ركعتين، وأعقبها دعاءً طويلاً ثم قال لي: يا غلام، فقلت: لبيك، قال: هي إن شاء الله الشهادة.

* استعداد العدو لملاقاة المسلمين والمشاورة بين المسلمين:

ولما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم قبل أن ينتهوا إلى مقتل الحارث بن عمير، فجمعوا الجموع، فجمع من الروم أكثر من مائة ألف، وانضم إليهم ما لا يحصى من قبائل بهراء، ووائل وبكر ولخم وجذام وبلي مائة ألف أخرى أو يزيدون.

---

(١) وهو عند عروة في المغازي كما في دلائل النبوة ٤/ ٣٥٩، وابن إسحاق كما في ابن هشام ٣/ ٤٢٦، وأشار إليها الواقدي المغازي ٢/ ٧٥٧، وابن سعد ٢/ ١٢٨ وغيرهم.
(٢) الواقدي ٢/ ٧٥٩، وابن إسحاق كما في ابن هشام ٣/ ٤٣١ وهو بطوله عند الطبراني برجال ثقات إلى عروة.

ونزلوا مآب من أرض البلقاء، وقدموا عليهم رجلاً يقال له: مالك بن زافلة[1] وهو أمير أعراب النصارى.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: شهدت مؤتة، فلما دنا المشركون، رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم، قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إننا لم ننتصر بالكثرة[2].

ونزل المسلمون في معان، وأقاموا ليلتين يتشاورون فيما بينهم، فقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره الخبر، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالاً، فبينما الناس على ذلك من أمرهم جاءهم عبد الله بن رواحة فشجعهم ثم قال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فَرَسان، ويوم أحد فرس واحد، وإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا وليس لوعده خُلْفٌ، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان، فتشجع الناس بقول ابن رواحة وقرروا المعركة.

*** المعركة:**

ثم التقى الناس المسلمون والمشركون في ميدان المعركة، وكان يحمل اللواء زيد بن حارثة، فتقدم وقاتل قتال الأبطال حتى شاط في رماح الأعداء وقتل رضي الله عنه وأرضاه.

فتناول الراية جعفر بن أبي طالب فتقدم فقال قتال الأبطال حتى ألحمه القتال نزل عن فرس له شقراء فعرقبها، ثم قاتل القوم وهو يرتجز:

---

(١) ابن هشام ٣/ ٤٣٠، والواقدي ٢/ ٧٦٠، وقيل: ابن رافله، وقيل: ابن نافلة.

(٢) أخرجه الواقدي عن ربعية بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة، المغازي ٢/ ٧٦٠، والبيهقي الدلائل ٤/ ٣٦٢.

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إن لاقيتها ضرابها

حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه، وسنه ثلاث وثلاثون سنة أو أربع وثلاثون[1].

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم، أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ﵁، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[2]، وضربه رجل من الروم فقطعه نصفين.

وفي البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر ﵄ أنه قال: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين ما بين طعنة ورمية ليس منها شيء في دبره - يعني في ظهره[3] - فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنه
لطالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه

---

(١) ابن هشام ٣/ ٤٣٣ - ٤٣٤، والواقدي ٢/ ٧٦١، ونقل عن موسى بن عقبة. وسند ابن إسحاق حسن وهو عند أبي داود من طريقه عن رجل من بني مرة قال: **«والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ثم تقدم، فقاتل حتى قتل»**.

(٢) انظر: ابن هشام ٣/ ٤٣٤، قلت: ويشهد لها الحديث الصحيح في البخاري وغيره أن ابن جعفر كان يقال له: ابن ذي الجناحين لأن الله أبدله جناحين يطير بهما في الجنة بعضديه اللذين قطعا في المعركة.

(٣) انظر: الصحيح ٧/ ٥١٠، المغازي، باب غزوة مؤتة، وابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٥١٢، وسنن سعيد بن منصور رقم ٢٨٣٦.

وقال:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حِمَامُ الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً، ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال:

شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه بيده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحَطْمَةَ في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه[1].

فلما قتل ابن رواحة وسقط اللواء انهزم المسلمون هزيمة منكرة، وولى المسلمون واتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، وانقض على اللواء ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، وجعل يصيح بالمسلمين فجعل الناس يثوبون إليه من كل وجه وهم قليل، وهو يصيح: إلي أيها الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، ونظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان، فقال: لا آخذه أنت أحق به، أنت رجل لك سن، وقد شهدت بدراً، قال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك، فأخذه خالد فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه فثبت حتى تكركر المشركون، وحمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم، ثم دهمه منهم بشر كثير فانحاش المسلمون، ووجدوا أنه لا قبل لهم بهذه الجموع التي لا نهاية لها وكأنهم في وسطنها قطرة في بحر، ففكر خالد بالانسحاب بسلام.

وبات خالد ليلته تلك، فلما أصبح غدا على القتال، وقد جعل مقدمته

---

(١) انظر: ابن هشام ٣/ ٤٣٥، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه رقم ٣٨٣٥، والبيهقي دلائل النبوة ٤/ ٣٦٤، وهو عند الطبراني مطولاً ورجاله ثقات. انظر: الهيثمي مجمع الزوائد ٦/ ١٦٠.

ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئاتهم وقال المشركون: قد جاءهم مدد فرعبوا فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة عظيمة لم يقتلها قوم.

أخرج البخاري ﷺ عن خالد بن الوليد ﷺ قال: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية(١).

وأخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع زيد بن حارثة مع المسلمين في غزوة مؤتة، ومددي من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي طائفة من جلده، فأعطاه إياه فاتخذه كهيأة الدرقة، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه فخر وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد يأخذ منه السلب.

قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل، قال: بلى ولكني استكثرته، فقلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكما عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرده عليه، قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ: **«يا خالد رد عليه ما أخذت منه»**، قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أقل لك؟ قال رسول الله ﷺ: **«وما ذاك؟»** فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال: **«يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركو لي أمرائي؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره...»**(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: أصيب بها ـ أي مؤتة ـ ناس من «الروم»

---

(١) انظر: الصحيح ٧/ ٥١٥ المغازي، باب غزوة مؤتة، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥١٦.

(٢) انظر: أحمد المسند ٦/ ٢٦ ـ ٢٧، ومسلم الصحيح الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل رقم ١٧٥٣.

وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين فكان مما غنموا خاتم جاء به رجل إلى رسول الله ﷺ قال: قتلت صاحبه يومئذٍ فنفله رسول الله ﷺ إياه[1].

وعن عمارة بن غزية عن أبيه قال: حضرت مؤتة، فبارزت رجلاً يومئذٍ فأصبته وعليه يومئذٍ بيضة له فيها ياقوتة، فلم يكن همي إلا الياقوتة فأخذتها، فلما انكشفنا وانهزمنا رجعت بها المدينة فأتيت بها رسول الله ﷺ فنفلنيها، فبعتها زمن عمر بن الخطاب بمائة دينار فاشتريت بها حديقة نخل ببني خطمة[2].

وهذا دليل على مدى أثر المسلمين في الروم، لكن تلك الكثرة الكبيرة جعلت خالداً ينسحب بجيشه دون أن يخاطر فيه ثم عاد إلى المدينة المنورة، وقد دفن الأمراء الثلاثة في حفرة واحدة[3].

* رسول الله ﷺ ينعى الشهداء على المنبر:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس رضي الله عنه وغيره أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم[4].

وعند الواقدي[5]: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على

---

(١) أخرجه الواقدي ٢/ ٧٦٨ من طريق سليمان بن بلال عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر، وأخرجه الحاكم في الإكليل كما في الصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٥٦.

(٢) الواقدي ٢/ ٧٩٥٩ من طريق بكير بن مسمار عن عمارة بن غزية، والبيهقي من طريقه ٤/ ٣٧٤.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً إذ قال: وبلغني أنهم دفنوا زيداً وجعفراً وابن رواحة في حفرة واحدة. انظر: رقم ٢٨٣٥.

(٤) انظر: الصحيح ٧/ ٥١٢ المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، وساقه في علامات النبوة.

(٥) انظر: المغازي ٢/ ٧٦١.

المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم فقال رسول الله ﷺ: **«أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت، وحبب إليه الدنيا فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلي الدنيا؟ فمضى قدماً حتى استشهد»**، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فجاءه الشيطان فمنَّاه بالحياة وكرّه إليه الموت، ومنّاه الدنيا، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في القلوب تمنيني الدنيا؟ ثم مضى قدماً حتى استشهد**، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«استغفروا لأخيكم، فإنه شهيد دخل الجنة فهو يطير بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستهشد ودخل الجنة معترضاً»**، فشق ذلك على الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: **«أصابه الجراح»** قيل: يا رسول الله ما اعتراضه؟ قال: **«لما أصابته الجراح، نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد، فدخل الجنة فسري عن قومه»**.

وعن خالد بن شمير قال: قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري، وكانت الأنصار تفقّهه ـ أي تعده فقيهاً ـ فغشيه الناس، فغشيته فيمن غشيه من الناس، فقال:

حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: **«عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»**، فوثب جعفر فقال: يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً علي، قال: **«امض فإنك لا تدري أي ذلك خير»**، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فأمر فنودي: الصلاة جامعة فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«أخبركم عن جيشكم هذا إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً، واستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على القوم حتى قتل شهيداً** ـ شهد له بالشهادة، واستغفر له ـ **ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً»** فاستغفر له، **«ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد»** ولم يكن من الأمراء هو أَمَّرَ

نفسه، فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه، ثم قال ﷺ: **«اللهم إنه سيف من سيوفك، فأنت تنصره»**. فمن يومئذٍ سمي خالد سيف الله[١].

وذكر موسى بن عقبة في المغازي[٢] أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة فقال رسول الله ﷺ: **«إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرك»**، قال يعلى: فأخبرني، فأخبره خبرهم فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإن أمرهم كما ذكرت، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم»**.

* رسول الله ﷺ يعزي زوجة جعفر بن أبي طالب وأبناءه:

قالت أسماء بنت عميس: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منا ـ جلداً ـ وعجنت عجيني، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال رسول الله ﷺ: **«ائتني ببني جعفر»** قالت: فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه، فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وما يبكيك أَبَلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: **«أصيبوا هذا اليوم»** قالت: فقمت أصيح، واجتمع إلي النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلي فقال: **«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»**[٣].

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما جاء قتل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن شمير وهو ثقة، والنسائي في السير من الكبرى ٥/ ١٨٠، وابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٥١٣، وابن حبان في الصحيح والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٦٧ وهو حديث صحيح جيد، ومضمون هذا الحديث في الشهداء وإخبار النبي ﷺ قد جاء عن جمع من الرواة في المصادر الأولى.

(٢) البيهقي دلائل النبوة ٤/ ٣٦٥.

(٣) أخرجه محمد بن إسحاق بسند إلى أسماء بنت عميس. ابن هشام ٣/ ٤٣٦، ومن طريقه أحمد بن حنبل في المسند وفيه امرأتان لم توثقا ولم تجرحا وبقية رجاله ثقات، وفي ابن ماجه بعضه. انظر: الهيثمي مجمع الزوائد ٦/ ١٦١.

ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﭭ، جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه الحزن، قالت عائشة وأنا أطلع من صائر الباب ـ تعني شق الباب ـ فأتاه رجل فقال: أي رسول الله إن نساء جعفر. . . وذكر بكاءهن فأمره أن ينهاهن، قال: فذهب الرجل ثم أتى فقال: نهيتهن وذكر أنهن لم يطعنه، قال: فأمر أيضاً، قال: والله لقد غلبننا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: «**فاحْثُ في أفواههن من التراب**»، قالت عائشة: فقلت: أرغم الله أنفك فوالله ما أنت تفعل، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء[(١)].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «**إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو استشهد، فأميركم عبد الله بن رواحة**»، فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه، وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه**»، قال: ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «**لا تبكوا على أخي**» بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي، قال: فجيء بنا كأنا أفراخ فقال: «**ادعوا لي الحلاق**» فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال: «**أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي**» ثم أخذ بيدي فأشالها وقال: «**اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه**»، قالها ثلاثاً مرات، قال: فجاءت أُمُّنَا فذكرت له يتمنا تفرح له ـ أي تتحزن ـ فقال: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة[(٢)].

---

(١) انظر: الجامع الصحيح ٧/ ٥١٢ المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

(٢) أحمد المسند ١/ ٢٠٤، والطبراني وسنده قوي ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو داود بنصه والنسائي في السير، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥١٨.

* رجوع الجيش واستقباله:

ولما خشي خالد بن الوليد ﷺ أن يتكاثر الكفار عليهم، ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى، قرر الانسحاب وعاد بالجيش، فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال: «**خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر**»، فأتي بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم من سبيل الله، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «**ليس بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى**»[1].

وأخرج ابن إسحاق ما يدل على أسف هذا الجيش وندمه على رجوعه دون أن يفتك بالروم ويظهر عليهم ظهوراً بارزاً، فقد ساق بإسناده إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين، قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرار، فررتم في سبيل الله حتى قعد في بيته فما يخرج[2].

قال أبو هريرة: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس، لقد كان بيني وبني ابن عم لي كلام فقال: إلا فرارك يوم مؤتة، فما دريت أي شيء أقول له[3].

* شهداء مؤتة:

على ضخامة هذه المعركة وكثرة جيوش الروم التي بلغت مائتي ألف

---

(١) انظر: الواقدي ٢/ ٧٦٥.

(٢) انظر: ابن هشام ٣/ ٤٣٩، والبهيقي الدلائل ٤/ ٣٧٤ من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عامر بن عبد الله عن الزبير عن بعض آل الحارث وهم أخواله عن أم سلمة.

(٣) الواقدي المغازي ٢/ ٧٦٥.

أو يزيدون فإنه لم يستشهد من المسلمين إلا اثنا عشر نفراً، عد ابن إسحاق والواقدي منهم ثمانية: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، ومسعود بن الأسود، ووهب بن سعد بن أبي سرح، وعبد الله بن رواحة، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان، وسراقة بن عمرو بن عطية، وزاد الزهري: أبو كليب، وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف، وعمرو وعامر ابنا سعد بن عباد بن سعد(١)، فمجموعهم اثنا عشر رجلاً.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقت في يدي يومئذٍ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع غيره من الأبطال والشجعان حملة القرآن، وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣](٢).

وقد ذهب علماء السير من السلف كابن إسحاق، والزهري، وموسى بن عقبة، وابن عائذ إلى الحديث عن هذه المعركة هل كانت نصراً، أم فراراً وانحياشاً ونجاة؟

قال البيهقي(٣) اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم، فمنهم من ذهب إلى تلك، ومنهم من زعم أن المسلمين قد ظهروا على المشركين وانهزم المشركون، وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ ـ وقد تقدم ـ ثم

(١) انظر: ابن هشام ٣/ ٤٤٧، ومغازي الواقدي ٢/ ٧٦٩.
(٢) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٥٩. (٣) البيهقي: الدلائل ٤/ ٣٧٥.

أخذها خالد ففتح الله عليهم، يدل على ظهوره عليهم.

أقول: وهذا هو الصواب، ولكنه لم يكن ظهوراً حاسماً يُجْلُونَ به أعداءهم عن مواقعهم ويغنمون كل ما جاءوا به وحملوه، ولكنه نصر ونجاة، مهَّد لما بعده من معارك جزئية، ومعركة تبوك الحاسمة التي فر فيها الروم كما سيأتي.

وقد تقدم أن الذي جاء بالخبر هو يعلى بن أمية أو ابن منية، وجاء عند الطبراني من حديث أبي اليسر أن الذي جاء بالخبر هو أبو عامر الأشعري وكان رسولاً بالشام[(١)].

وقد جاء عن عبد الرحمٰن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله، قال: **«على رسلك يا عبد الرحمٰن: أخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل زيد حتى قتل رحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر، فقاتل جعفر حتى قتل رحم الله جعفراً، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل فقتل، رحم الله عبد الله، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله»**. فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله، فقال: **«ما يبكيكم؟»** فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا، وأهل الفضل منا، قال: **«لا تبكوا، فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها، فاجتث زواكيها، وهيأ مساكنها وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ولعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق نبياً ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاً من حوارييه»**.

وفي رواية أخرى:

«ليدركن المسيح بن مريم من هذه الأمة أقواماً، إنهم لمثلكم أو خير

---

(١) أخرجه الطبراني وفي سنده ثابت بن دينار ضعيف. انظر الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ١٦١. وله طريق أخرى عند ابن سعد في الطبقات ١٢٩/٢ عن أبي اليسر عن أبي عامر مطولاً.

منكم ثلاث مرات، ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»[1].

ومما تقدم يتبين لكل منصف رشيد أن هذه المعركة كانت بسبب عدوان أثيم، قام به أحد خدام الدولة النصرانية، وهو شرحبيل بن عمرو الغساني، على سفير يحمل رسالة مخالفاً بذلك جمع أعراف الأمم والشعوب، وكان هذا العدوان بوحشية وهمجية، ولم يقم أسياده من الدولة الرومية بردعه أو معاقبته، وما كان لرسول الله ﷺ ليسكت عن هذه الفعلة الشنيعة حتى لا يتجرأ أثيم آخر، وحتى ينتصر المسلمون لكل قطرة دم تراق من مسلم ظلماً وعدواناً، أينما كان ومتى كان، فهذه المعركة كانت رداً لعدوان، وانتصاراً لحق مهضوم ودم مظلوم.

ولهذا كان الإقبال على هذا الغزوة كبيراً، والشجاعة نادرة، والبطولات حاسمة، وحضور الأمة كلها في المعركة مع المجاهدين، ولهذا كانوا يعيرونهم بالفرار، مما ألقى الرعب في قلوب الروم، والقبائل الحليفة معها، فمهد لانهزام سريع ماحق بعد سنين قليلة منيت به هذه القبائل ودولة الروم.

ولك أن تلاحظ أن العدوان على هذا السفير كان من حليف أجير لعله كان يريد مزيد حظوة، أو لفتة قرب، أو رسالة تهنئة؟!!!.

ومع استشهاد أمرائها الثلاثة، وقد بكاهم رسول الله ﷺ وهم من الخيار الأشراف من المسلمين كانت بارقة أمل عظيمة، سكنت القلوب والعقول، وتصاحب الأمة إلى يوم نصرها وعزها بتجدد الأجيال، وتلاحق الفرسان الأبطال الذين يدافعون عن هذه الرسالة إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص١٥٦، وأخرج آخره ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير مرسلاً ١٤/ ٥١٧.



سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

وذات السلاسل وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة النبوية الشريفة.

وقد بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من قضاعة ـ وفيها قبائل كثيرة ـ[1] قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة، وحرب رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص وأمره أن يأخذ ثيابه وسلاحه ثم قال له: «**يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك**»، قلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: «**نِعْمَ المال الصالح للمرء الصالح**»[2]، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في سراة المهاجرين والأنصار في ثلاثمائة..

وأمره أن يستعين بمن يمر به من العرب من بلاد بلي وعذرة، وبلقين، وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رحم فيهم كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد رسول الله ﷺ أن يتألفهم بعمرو.

فكان يكمن النهار ويسير الليل، وكان معه ثلاثون فرساً، فلما دنا من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فنزل قريباً منهم عشاء وهم شاتون، فجمع أصحابه الحطب يريدون أن يصطلوا، وهي أرض باردة، فمنعهم، فشق ذلك عليهم حتى كلمه في ذلك بعض المهاجرين فغالظه، فقال له عمرو: أمرت

---

(١) وفيها: بلي، ولخم وجذام، وعذرة وبني القين، وكلهم من قضاعة انظر: ابن حجر فتح الباري ٨/ ٧٤.

(٢) أخرج هذا النص: البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند، وأبو عوانة في صحيحه والحاكم، وغيرهم.

أن تسمع لي وتطيع! قال: فافعل[1]، وقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها. وكان على ماء بأرض جذام اسمه السلسل أو السلاسل فخاف وبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعاً كثيراً ويستمده بالرجال.

فبعث أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، والأنصار، وأمر رسول الله ﷺ أن يلحق عمرو بن العاص فخرج أبو عبيدة في مائتين، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمراً، فقال له عمرو: إنما قدمت علي مدداً لي وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير، وكان أبو عبيدة حسن الخلق لين الشيمة فقال: يا عمرو: إن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا[2].

فصار الجمع بذلك خمسمائة، فسار عمرو إلى بلاد بلي فدوخها، وكلما انتهى إلى موضع وجد أهله أنهم قد سمعوا وتفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين وفي آخر ذلك وجدوا جمعاً ليس بالكثير، فتراشقوا بالنبل،

---

(١) وهذا النص أخرجه: ابن حبان، والطبراني بسند رجاله رجال الصحيح وقد روى إسحاق بن راهوية، والحاكم ٣/ ٤٢ ـ ٤٣ من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا ناراً، فأنكر ذلك عمرو، فقال له عمر: دعه فإن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب، فسكت عنه، أو فهدأ عنه عمرو، وانظر: البيهقي، الدلائل ٤/ ٤٠٠.
وقد أخرج البيهقي عن عمرو قال: فحدثتني نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**»، فسكت. والحديث أخرجه البخاري في الصحيح. انظر: المغازي غزوة ذات السلاسل ٨/ ٧٤ ومعه الفتح.

(٢) عزاه في كنز العمال حاشية المسند ٤/ ١٧٧ إلى محمد بن عائذ في مغازيه عن الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وعنه أخذه ابن عساكر.

ثم حمل عليهم المسلمون فهربوا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا، ودوخ عمرو ما كان هناك من البلاد وأقام هناك أياماً لا يسمع بجمع.

ثم قفل، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بقفولهم وسلامتهم، وما كان في غزاتهم[(١)].

قال البلاذري: فلقي العدو من قضاعة، وعاملة ولخم وجذام، وكانوا مجتمعين ففضهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم[(٢)].

وروي عن عمرو بن العاص أنهم لقوا العدو فأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم[(٣)]، وفي هذه الغزوة أجنب في ليلة باردة فتيمم.

وقد جاء الحديث عن عمرو بن العاص نفسه فقال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك الرسول ﷺ ولم يقل شيئاً[(٤)].

وقد حظيت هذه الغزوة بعناية الرواة الأوائل من التابعين ثم المصنفين لما كان فيها من أمور هامة، مثل تأمير عمرو بن العاص ولما يمض على

---

(١) انظر في سياق هذه الغزوة: الواقدي المغازي ٢/ ٧٧٠، وابن هشام السيرة ٤/ ٢٩٨، ابن سعد الطبقات ٢/ ١٣١، والطبري التاريخ ٣/ ٣٢، والبيهقي الدلائل ٤/ ٣٩٧، وابن حبان السيرة ص٣١٩ ـ ٣٢٠، وابن سيد الناس ٢/ ٢١٤، والمقريزي إمتاع الأسماع ص٣٥٢، وابن القيم زاد المعاد ٣/ ٣٨٦، ومغلطاي الإشارة ص٣٠١، والصالحي: سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٦٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ١/ ٣٨٠.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد ٦/ ١٦٨.

(٤) أخرجه أبو داود الطهارة: باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم رقم ٣٣٤، والحاكم، وهو حديث جيد، وقد علقه البخاري، التيمم، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم ٢/ ٤٥٤، والبيهقي من طريقه الدلائل ٤/ ٤٠٢.

إسلامه كثير من الوقت لكفاءته وعلمه بالحرب والمحاربين، ومنها احتلامه وصلاته بأصحابه، ومنها: تدويخه لتلك النواحي...

وما كان سببها إلا التحضير لعدوان على المسلمين في عقر دارهم في المدينة المنورة، فكان لا بد أن يواجه بقوة تفرق الجموع، وتشتت المتحالفين، وتؤمن الاستقرار للأمة الناهضة الوليدة، فأدت هذه السرية هذه الغاية وغايات أخرى عظيمة في طريق الانتصارات الواسعة لمحمد ﷺ وصحابته من بعده.



غزوة تبوك(1)

وتبوك بينها وبين المدينة النبوية، اثنا عشر مرحلة من جهة الشام، وتبلغ نحواً من ثمانمائة كيلومتراً.

وكانت في شهر رجب سنة تسع من الهجرة النبوية، وهي خاتمة غزوات رسول الله ﷺ وهي غزوة التمحيص والابتلاء.

* أسبابها:

بلغ رسول الله ﷺ أخبار مفادها أن جموعاً من الروم كثيرة قد تجمعت لحرب المسلمين وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، واستنفروا مَنْ تحت سلطتهم من قبائل العرب المتنصرة لخم وجذام، وغسان وعاملة وغيرها، وزحفوا وتقدموا تجاه الجنوب نحو المدينة، ووصلت مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها، وتخلف هرقل بحمص.

وقد كانت أخبار الروم تصل يومياً إلى المسلمين نظراً للعلائق التجارية الكثيرة بين أهل الحجاز والشام، وكان الأنباط خاصة يقدمون إلى المدينة والحجاز بالدرمك ـ وهو الدقيق الحواري ـ والزيت ليبيعوه، فكانوا يحدثون بمشاهداتهم وما سمعوه، وكانت عيون المسلمين يقظة تحرص على معرفة أخبار تلك النواحي.

قال محمد بن شهاب الزهري: **غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام.**

---

(1) انظر سياق الغزوة في: الواقدي المغازي ٣/ ٩٨٩، وابن هشام السيرة ٤/ ١٦٩، وابن سعد ٢/ ١٦٥، وابن حبان السيرة ص٣٦٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢١٢.

وقد نقل في سببها عن عمران بن حصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل، إن هذا الرجل الذي قد خرج يدَّعي النبوة هلك وأصابتهم سنون، فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمر بالجهاد(١).

وقيل: إن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت صادقاً فالحق بالشام فإنها أرض المحشر(٢).

* النفير العام:

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ وكان الوقت حراً شديداً، والشُّقَةُ بين المسلمين وعدوهم بعيدة، وعدوهم كثير جداً، فأعلن أمر هذه الغزوة للناس وجلَّى أمرها ليأخذوا للأمر أُهبته وللخطر عُدَّته، وبعث عليه الصلاة والسلام رسله في النواحي المسلمة ليستقدموا المقاتلين والمحاربين، فبعث إلى أهل مكة يستنفرهم، وبعث إلى قبيلة أسلم، وأرسل إليهم بريدة بن الحصيب، وأرسل أبا رهم الغفاري إلى غفار، وأرسل أبا واقد الليثي إلى قومه، وأبا الجعد الضمري إلى قومه بالساحل، ونعيم بن مسعود الأشجعي إلى أشجع، وآخرين إلى بني سليم وجهينة...

* الحض على الصدقات والتطوع بالمال:

وحض رسول الله ﷺ الناس على التطوع بالمال والزاد والمتاع وتنافس الأخيار في ذلك، فكان أن جاء أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه بماله كله أربعة آلاف درهم، فسأله رسول الله ﷺ: **«ماذا أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وجاء عمر بنصف ماله، فسأله رسول الله ﷺ: **«ماذا أبقيت لأهلك؟»**

---

(١) أخرجه الطبراني مطولاً وفي سنده العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/ ٢٥٤ وأبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى وابن أبي حاتم وسنده حسن لكنه مرسل وبهذا يضعف.

قال: النصف، وحمل العباس بن عبد المطلب مالاً إلى رسول الله ﷺ، وحمل طلحة بن عبيد الله مالاً إلى رسول الله ﷺ، وحمل عبد الرحمٰن بن عوف مائتي أوقية، وكذلك محمد بن مسلمة، وسعد بن عبادة وآخرون رضي الله عنهم أجمعين.

لكن الذي ضرب بالسهم الأوفر بعد الصدّيق هو عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ جهز ثلث ذلك الجيش الذين بلغ تعداده ما يناهز ثلاثين ألفاً، تجهيزاً كاملاً حتى إنه كان يقال: إنه كفاهم حتى شنق أسقيتهم وأربطة قربهم، فسر رسول الله ﷺ أيما سرور، وتهلل وجهه وقال على المنبر: **«ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»**[1].

* والنساء يساهمن:

وتنافس المسلمون في ذلك أيما تنافس، ولم تفت النسوة المسلمات هذه المبرات والخيرات بل شاركن فيها متطوعات راضيات، قالت أم سنان الأسلمية: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه مسك ومعاضد، وخلاخل، وأقرطة وخواتم، وخدمات، مما يبعث به النساء، يعنّ به المسلمين في جهازهم.

* الذين يلمزون المطوعين:

وعندما أقبل المؤمنون بصدقاتهم، منهم المقل ومنهم المكثر، تحركت أوكار النفاق بالدعاية والتثبيط، فإذا جاء الرجل بالكثير قالوا: هو مراءٍ، وإذا جاء بالقليل وكان من الفقراء قالوا: هو أحوج الناس إلى صدقته، والله غني عن صدقته، والله غني عن صدقة هذا. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل ـ أي نؤاجر أنفسنا ـ على ظهورها، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرائي، وجاء

---

(١) حديث عثمان بن عفان في صدقته لغزوة تبوك جاءت عن عدد من الصحابة وفي مصادر كثيرة الصحاح والسير وغيرها.

رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي السليل قال: وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال: حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول: «**من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة؟**» قال: فحللت من عمامتي لوثاً أو لوثين، وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركني ما يدرك ابن آدم، فعقدت علي عمامتي، فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلاً أشد منه سواداً، ولا أصغر منه ولا أذم، ببعير ساقه، لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها فقال: يا رسول الله أصدقة؟ قال: «**نعم**»، قال: دونك هذه الناقة، قال: فلمزه رجل فقال: هذا يتصدق بهذه، فوالله لهي خير منه، قال: فسمعها رسول الله ﷺ فقال: «**كذبت بل هو خير منك ومنها**» ثلاث مرات، ثم قال: «**ويل لأصحاب المئين من الإبل ـ ثلاثاً ـ إلا**»، قالوا: إلا من يا رسول الله؟ قال: «**إلا من قال بالمال هكذا وهكذا**» وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**أفلح المزهد المجهد ثلاثاً: المزهد في العيش، المجهد في العبادة**»[1].

* اعتذار المنافقين:

وبدأ المنافقون يعتذرون عن الغزو ويتعللون بأمور واهية ولم يكونوا بالقلة، بل كانوا طائفة لا بأس بها كما يذكر أصحاب المغازي واليسر يترأسهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، من ذلك أن رسول الله ﷺ قال يوماً وهو يجهز الجهاز ويأمر بالاستعداد، للجد بن قيس: «**أبا وهب هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟**» فأجابه الجد بن قيس: يا رسول الله أَوَ تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني

(١) أحمد المسند ٥/ ٣٤.

أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال له: «**قد أذنت لك**»، فجاء ابنه عبد الله بن الجد، وكان بدرياً، فقال لأبيه: لم ترد على رسول الله ﷺ مقالته، فوالله ما في بني سلمة أكثر منك مالاً ولا تخرج ولا تحمل أحداً؟.. قال: يا بني ما لي وللخروج في الريح والحر والمسيرة إلى بني الأصفر، والله ما آمن خوفاً من بني الأصفر وإني في منزلي (بخربي)، فاذهب إليهم فاغزوهم، إني والله يا بني عالم بالدوائر، فأغلظ له ابنه، فقال: لا والله لكنه النفاق، والله لينزلن على رسول الله ﷺ فيك قرآناً يقرؤونه، قال: فرفع نعله فضرب بها وجه ابنه، فانصرف ابنه ولم يكلمه، وجعل يثبط من عزائم قومه بني سلمة، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩].

وجاء نفر من الأعراب هم المعذِّرون، ليعتذروا، فلم يعذروا، وهم بنو غفار.

* البكاؤون:

وجاء نفر مؤمنون إلى رسول الله ﷺ يودون الغزو والخروج إلى المعركة ولكن ليس لهم ظهر تحملهم أو زاد يبلغهم وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم، قال زيد بن ثابت: فكنت أكتب براءة فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى؟ قال: فنزلت الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١].

فجاءته عصابة من أصحابه، فيهم عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني فقالوا: يا رسول الله احملنا، فقال لهم: «**والله لا أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا وهم يبكون، وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملاً فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه

فقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

قال ابن إسحاق والواقدي وغيرهما: وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمٰن بن كعب، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عمرو، وقيل: ابن عبد الله، وعرباض بن سارية السلمي. وذكر فيهم: عمرو بن عنمة، وسلمة بن صخر[1]، وقيل: كان في البكائين بنو مقرن السبعة.

* نحو تبوك:

وتحرك رسول الله ﷺ بالجيش الكبير نحو تبوك في يوم الخميس، وعقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصدّيق، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى أبي دجانة، ويقال: إلى الحباب بن المنذر. وعدة ذلك الجيش ثلاثون ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك وفيهم عشرة آلاف فرس، وخرج في الجيش ناس من المنافقين كثير لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة، وجعل بعضهم يتساقط على الطريق ويتخلف فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول: **«دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أرى حكم الله فيه»**، وكان رسول الله ﷺ في مسيره هذا اتخذ دليلاً من خزاعة يدعى علقمة بن الغفواء، وكان كلما نزل في مكان في طريقه بنى مسجداً وصلى فيه فصلى في أكثر من خمسة عشر مسجداً.

* لحوق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنبي ﷺ:

وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما

---

(١) انظر: ابن هشام ٤/ ١٧٢، والواقدي ٣/ ٩٩٤، وابن سعد ٢/ ١٦٥.

قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: «**كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**». فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره[1].

* مواقف إيمانية:

وكان ممن تأخر في المدينة أبو خيثمة، عبد الله بن خيثمة السالمي، وقال ابن هشام: اسمه مالك بن قيس، بعد أن سار رسول الله ﷺ فدخل ذات يوم حار على امرأتين له في عريشين لهما، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما انتهى إليهما أمام العريشين فقال: سبحان الله، رسول الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح ـ الحرارة ـ والريح، يحمل سلاحه على عنقه، وأبو خيثمة في ظلال بارد وطعام مهيأ وامرأتين حسناوين مقيم في ماله ما هذا بالنَّصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى أخرج فألحق رسول الله ﷺ، فأناخ ناضحه وشد عليه قتبه وتزود وارتحل، فجعلت امرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما، حتى أدرك عمير بن وهب الجمحي بوادي القرى يريد النبي ﷺ فصحبه فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة: إن لي ذنوباً وأنت لا ذنب لك، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ قبلك، ففعل عمير فسار أبو خيثمة حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذ راكب على الطريق، قال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فقال الناس: يا رسول الله هذا أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم

---

(١) حديث علي هذا جاء في الصحاح وكتب السيرة وغيرها. انظر: صحيح البخاري، فضائل الصحابة مناقب علي بن أبي طالب والمغازي باب غزوة تبوك، ومسلم فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب.

على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أولى لك يا أبا خيثمة..**»، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال له رسول الله خيراً ودعا له.

قال ابن هشام: قال أبو خيثمة في ذلك شعراً:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا ... أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد ... فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما
تركت خضيباً في العريش وصرمة ... صفايا كراماً بسرها قد تحمحما
وكنت، إذا شك المنافق اسمحت ... إلى الدين نفسي شطره حيث يمما(١)

* الحِجْرُ وهي ديار ثمود:

ومر رسول الله ﷺ وأصحابه بالحِجْر فقال لهم: إنهما ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد إلا مع صاحبه ومن كان له بعير فليوثق عقاله، فهاجت ريح شديدة ولم يقم أحد إلا مع صاحبه، إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه، وأما الذين ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح فطرحته في جبل طيء، فأخبر رسول الله ﷺ بخبرهما فقال رسول الله ﷺ: «**ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له؟**» ثم دعا الذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته للنبي ﷺ حين قدم المدينة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: واستقى الناس من آبار الحِجْر وعجنوا به، فنادى منادي رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئاً.

وتحول الناس إلى بئر النبي صالح عليه السلام فجعلوا يستقون من الأسقية

---

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده إلى عبيد الله بن أبي بكر بن حزم. انظر: ابن هشام السيرة ٤/ ١٧٥، والواقدي دون الشعر، المغازي ٣/ ٩٩٩، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٢٢، والطبراني ٣/ ١٠٤، وابن كثير ٥/ ٨، وعزاها إلى عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، وكذلك نقله البيهقي.

ويغسلونها حتى ارتووا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لا تسألوا نبيكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم آية فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفج، تسقيهم من لبنها، يوم وردها ما شربت من مائها فعقروها فأوعدوا ثلاثاً، وكان وعد الله غير مكذوب فأخذتهم الصيحة فلم يبق أحد منهم تحت أديم السماء إلا هلك إلا رجل في الحرم منعه الحرم من عذاب الله**»، قالوا: يا نبي الله من هو؟ قال رسول الله ﷺ: «**أبو رغال**»، أبو ثقيف، قالوا: فما له بناحية مكة؟ قال: إن صالحاً بعثه مصدقاً، فانتهى إلى رجل معه مائة شاة شصص ـ قلّ لبنها ـ ومعه شاة والد، ومعه صبي ماتت أمه بالأمس، فقال: إن رسول الله أرسلني إليك، فقال مرحباً برسول الله وأهلاً، خذ، فأخذ الشاة اللبون، فقال: إنما هي أم هذا الغلام بعد أمه خذ مكانها عشراً، قال: لا، قال: عشرين، قال: إن كنت تحب اللبن فأنا أحبه، فنثر كنانته ثم قال: اللهم تشهد، ثم فوق له بسهم فقتله، فقال: لا يسبق بهذا الخبر إلى نبي الله أول مني، فجاء صالحاً فأخبره الخبر، فرفع صالح يديه مداً فقال: اللهم العن أبا رغال ثلاثاً[١].

وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مر رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين**»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

ومن طريق أخرى عنه: لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم[٢].

وأخرج الإمام أحمد، عن أبي كبشة الأنماري قال[٣]: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك

---

(١) انظر: مغازي الواقدي ٣/١٠٠٨، وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) الصحيح ٧/ ١٢٥، ومسلم المغازي: غزوة تبوك ٤/ ٢٢٨٥.

(٣) انظر: المسند ٤/ ٢٣١، وسنده جيد.

رسول الله ﷺ، فنودي في الناس الصلاة جامعة، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول: «**ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟**» فناداه رجل: نعجب منهم يا رسول الله قال: «**أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً**».

* في تبوك:

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك**»، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، قال معاذ بن جبل: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تَبِضُّ بشيء من ماء، فسألهما: هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم قليلاً حتى اجتمع في شنٍّ ثم غسل النبي ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت الماء بماء منهمر أو قال: غزير حتى استقى الناس، ثم قال النبي ﷺ: «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ها هنا ملئ جنانا**»(١).

وقد كان ذلك فعلاً وصلى الله على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

ومما يذكر في غزوة تبوك ما جاء في الصحيح عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أو أبي سعيد شك الأعمش الراوي ـ عن أبي صالح، قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: «**افعلوا**» فجاء

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ومسلم في صحيحه الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ رقم ٧٠٦ ومالك في الموطأ ١/ ١٤٣، والبيهقي الدلائل ٥/ ٢٣٦ وقال: وروينا زيادة ماء تلك العين بمضمضته فيها عن عروة بن الزبير، وقال: هي كذلك حتى الساعة.

عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك فقال: «**نعم**»، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم.

قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**»، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى بها عبد غير شاكٍ فيحجب عن الجنة**»[1].

وقد أقام هناك في تبوك عليه الصلاة والسلام بضع عشرة إلى عشرين ليلة، ولم يجاوزها، **جاءه خلالها رجل من غسان أرسله هرقل، ونظر إليه واستمع حديثه وتحقق منه بما أمره به هرقل، وكان الذي بلغ من الأخبار إلى النبي ﷺ باطلاً، فشاور المسلمين في التقدم نحو الروم**، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن كنت أمرت بالمسير فسر، فقال رسول الله ﷺ: «**لو أمرت به ما استشرتكم**»، فقال عمر: إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بهذا أحد من أهل الإسلام وقد دنوت منه حيث ترى، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث الله لك في ذلك أمراً.

* عودة رسول الله ﷺ:

وهكذا بعد أن أرسى رسول الله الإسلام في تلك النواحي وبسط هيبة الدولة الإسلامية وأخضع من هناك عرباً ونصارى ويهوداً، كر راجعاً بعناية الله مظفراً منصوراً بعد أن أقام بضع عشرة ليلة بتبوك وكان يقصر الصلاة وكان له في هذه الغزوة مواقف من المنافقين وقد جعل من المدينة إلى تبوك في طريقه مساجد كان يصلي فيها بلغت خمسة عشر مسجداً.

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، الإيمان رقم ٢٧.

ولما رجع رسول الله ﷺ وأقبل على المدينة وأشرف لهم أُحُد، قال رسول الله ﷺ: **«هذه طابة، وهذا أُحد جبل يحبنا ونحبه»**[1].

ثم التفت إلى المسلمين وقال لهم: **«إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»**، قالوا: يارسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: **«وهم بالمدينة، حبسهم العذر»**. وتلقاه الرجال والصبيان خارج المدينة فرحاً بمقدمه صلوات الله وسلامه عليه كما جاء ذلك في الصحاح وغيرها[2].

قال السائب بن يزيد: لما قدم النبي ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع[3].

قال ابن القيم: فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا للّه داع[4]

فلما دخل قال العباس: يا رسول الله، ائذن لي امتداحك، فقال رسول الله ﷺ: **«قل لا يفضض الله فاك»**، فقال:

من قبلها طبت في الظلال ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح. انظر ٧/١٢٦ وغيره.

(٢) انظر: البخاري، الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو، وأخرجه في المغازي، وأبو داود رقم ٢٥٠٨، وأحمد، وابن ماجه، وغيرهم.

(٣) البخاري، الصحيح الجهاد باب استقبال الغزاة ٦/ ١٩١، وأخرجه أبو داود في سننه، والترمذي كذلك.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٢٦٦ بسنده إلى ابن عائشة قال: لما قدم النبي ﷺ جعل النساء والولائد يقلن... فذكر البيتين، ثم قال: وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة وقد ذكرناه عنده لا أنه لما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك، والله أعلم فذكرناه أيضاً هاهنا.
قال أبو محمود وفقه الله: ولعل ذلك كان من مأثور قولهم عند دخوله المدينة مهاجراً، ثم كرره النساء والولائد عقب عودته من تبوك أثناء استقباله.

بل نطفة تركب السفين وقد … ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم … إذا مضى عالم بدا طبق
حتى استوى بيتك المهيمن من … خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر … ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن من ذلك النور في ضيا … ء وسبل الرشاد نخترق[1]

ودخل رسول الله ﷺ المسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المخلفون يعتذرون إليه وجاءه كعب بن مالك وآخران من المؤمنين، كان فيهما عبرة للمؤمنين يحدثنا عن ذلك كعب نفسه فيقول:

* التوبة على كعب بن مالك ورفيقيه:

قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن

---

(١) انظر: البيهقي دلائل النبوة ٥/٢٦٨، وزاد المعاد ٣/١٠، وعزاه ابن حجر في الإصابة ١/٤٢٤ إلى ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين والطبراني.

سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أترحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يُقَدَّرْ لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أن لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عِطفيه فقال: فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا

لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلاً، ولكني والله لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن أن يسخطك الله علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»**، فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين قد شهدا بدراً فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة: أنشدك الله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم؛ ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد: فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فيقول: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا»، ولكن لا يقربك، قالت: والله إنه ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال أن تخدمه فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله؛ قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرساً وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له

ثوبي فكسوته إياهما ببشراه[1] والله ما أملك غيرهما يومئذٍ واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»، قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**بل من عند الله**»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وأن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧]، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى

---

(١) قال الواقدي: هو حمزة بن عمرو الأسلمي.

قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ . . .﴾ [التوبة: ١١٨]، وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن خلف واعتذر إليه فقبل منه[١]. وأنزل الله تعالى سورة التوبة التي فضحت السرائر وكشفت ما تكنه الضمائر من المؤمنين ومن المنافقين خاصة.

ومن نماذج الإيمان التي أظهرها هذا السفر الطويل، والجهد العريض الثقيل، ما رواه واثلة بن الأسقع ﵁ قال: نادى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فخرجت إلى أهلي، فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله ﷺ، فطفقت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً له سهمه، فنادى شيخ من الأنصار قال: لنا سهمه على أن نحمله عقبة[٢] وطعامه معنا؟ قلت: نعم، قال: فسر على بركة الله تعالى، قال: فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا، فأصابني قلائص، فسقتهن حتى أتيته، فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مدبرات، ثم قال: سقهن مقبلات، قال: ما أرى قلائصك إلا كراماً، قال: إنما هي غنيمتك التي شرطت لك، قال: خذ قلائصك يا ابن أخي، فغير سهمك أردنا[٣].

وكم كان في هذه الغزوة من توجيهات وأحكام حظيت بالعناية من علماء الإسلام على الدوام، ونزلت فيها سورة كاملة هي سورة التوبة، التي فصلت هذه الغزوة من جميع الجهات الداخلية والخارجية، ويطول بنا الحديث عنها وهي حقيقة بتآليف عديدة، وليس بتأليف واحد، ولكني أشير إلى:

---

(١) انظره: بطوله في البخاري ٧/ ١١٣، وأخرجه في مواضع أخرى في الجهاد وغيره كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، وعبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣٩٧، وابن إسحاق كما في ابن هشام ٤/ ١٨٧، والواقدي وغيرهم.

(٢) عقبة: أي يركب الدابة معهم بالتناوب، والقلائص جمع قلوص، وهي الناقة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه الجهاد، باب الرجل يكري دابته على النصف أو السهم رقم ٢٦٧٦، وسنده قوي.

• معرفة رسول الله ﷺ بمن حوله من رجاله الشجعان، راسخي الإيمان فهم الذين ألح عليهم في النهوض إلى الغزو، وترك كل مغموص عليه بنفاق أو شك، ثم حاسب المؤمنين أشد الحساب تذكرة وتبصرة للأمة وما سيعروها مدى الأزمان!!، وأهمل أهل النفاق والخذلان!!.

• وفيها كذلك المواقف الراسخة لشباب الإسلام: كعب بن مالك وإخوته الذين لم يساوموا على دينهم وعقيدتهم، وقد جاءتهم بطاقات الاستضافة من قصور الشام مع التجلة والاحترام، فعدوا ذلك ـ وهم على حق ـ من الابتلاء بل من أشد الابتلاء والامتحان، وذلك حين يطمع في مساومتهم أعداء دينهم، فطمعهم فيهم بالمساومة اعتبروه إهانة لهم، وكان موقف كعب مأثوراً مدى الدهر رضي الله عنه وأرضاه.

وقد حقق الله لرسوله الرجاء وانتصر الانتصار الباهر دون حرب على تلك الأنحاء من يهودهم ونصاراهم دون غدر ولا خيانة، وعاملهم بما يستحقونه على هدى الله ووحيه ولم يكرههم على الدخول في الدين، بل قبل منهم الجزية وأقرهم آمنين، ومن غدر وخان نال عقوبته دون هوادة ولا تقصير ليكون عبرة للمعتبرين.

لقد كانت غزوة تبوك شاقة، ولكنها في غاية النفع والإفادة، وتطهر المجتمع من داخله، وإقرار هيبته وتأمينه من خارجه، ولقد كانت محطة متميزة على طريق الإسلام الطويل، ولهذا احتلت مكانة مرموقة في آي الكتاب العزيز، ونصوص السنة وكتب السير، وأحكام الفقه والتشريع.

وستبقى معيناً ثراً لمن يطلب الحق ويسلك طريق السواء!!

قال عوف بن مالك: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ـ وهو في قبة من أدم ـ فقال: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص**[1] **الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل**

---

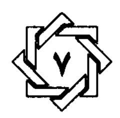
(١) وقعاص الغنم: داء يأخذ الغنم فتموت سريعاً، والقعص: أن يضرب الإنسان فيموت مكانه، يقال: قعصه، وأقعصه: إن قتله قتلاً سريعاً.

مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[1].

أقول: وهذه العلامات تحققت كلها، وها هم غدروا، وجاؤوا تحت رايات متعددة، من جهات شتى، ولغاية واحدة، غدراً وخروجاً على كل شرعة وضعها بنو البشر!!!

وجاء التحذير من الغدر في هذا المكان؛ لأن هذه الغزوة كانت مقدمة فتح بلاد الشام، وتقليص ظل هرقل عنها، وانحسار دولتهم من ربوعها، وحروبهم ستكون مع المسلمين بهذه الطريقة...

(١) أخرجه البخاري، الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر ٦/ ٢٧٧، وغيره.



سرية أسامة بن زيد إلى فلسطين وتخوم الشام

ولم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن الحارثة، وجعفر، وأصحابه، وَوَجَدَ عليهم وَجْدَاً شديداً، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم وأمرهم بالجد[1]، فلما كان الغد دعا أسامة بن زيد، فقال: «**يا أسامة سر على اسم الله وبركته، حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم، فقد وليتك على هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل (أبنى) ـ وهي السراة من ناحية البلقاء[2] ـ وحرق عليهم، وأسرع السير لتسبق الخبر، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون أمامك والطلائع**»، عقد له اللواء بيده، وقال:

«**يا أسامة اغز باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم، وقولوا: اللهم اكفناهم، واكفف بأسهم عنا، فإن**

---

(١) انظر: الواقدي المغازي ص٣/١١٧، وابن سعد الطبقات ٢/١٨٩، وابن هشام السيرة ٤/٣١٩، وخليفة بن خياط التاريخ ص١٠٠، والبلاذري أنساب ١/٣٨٤، وابن الجوزي وفاء الوفاء ٢/٧٦٢، وابن سيد الناس ٢/٣٢٩، وابن كثير البداية ٥/٢٢٢، ومغلطاي الإشارة ص٣٤٧، والمقريزي ١/٥٣٩، وفتح الباري ٨/١٥٢، والصالحي ٦/٢٤٨.

(٢) وأبنى: بوزن حبلى قرية من مؤتة على ما يفهم من النصوص، وتقع الآن في حدود المملكة الأردنية.

وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، والداروم هي مدينة دير البلح اليوم، وهي في قطاع غزة على شاطئ البحر بين غزة وخان يونس، انظر: المعالم الأثيرة ص١١٥.

لقوكم وقد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم نحن عبادك، وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغلبهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت ظلال البارقة ـ أي السيوف ـ».

ثم قال لأسامة: «**امض على اسم الله**»، فخرج أسامة بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أسامة، وأمر رسول الله ﷺ فعسكر بالجرف، وجعل الناس يَجِدُّوْنَ بالخروج إلى العسكر، ولم يبق أحد من المهاجرين إلا انتدب في تلك الغزوة أبو بكر وعمر وغيرهم وكانت سن أسامة تسع عشرة سنة، فتكلم بعض الناس، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ فسمع عمر بن الخطاب ذلك، فرده على قائله، ثم دخل على رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال: فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً وخرج وهو وجع وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد يا أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة بن زيد؟.**

والله لئن طعنتم في إمارة أسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم»، ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ، ودهم رسول الله ﷺ المرض، وهو يقول: «**أنفذوا بعث أسامة**»، فلما اشتد الوجع برسول الله ﷺ والجيش معسكر بالجرف حتى كان يوم الاثنين وتوفي رسول الله ﷺ، فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة حتى أتى باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده.

فلما بويع لأبي بكر الصديق أمر بريدة بن الحصيب أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة وأن لا يحله أبداً حتى يغزوهم.

فلما بلغ العرب وفاة رسول الله ﷺ وارتد من ارتد عن الإسلام، قال أبو بكر لأسامة: انفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله، وأخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء إلى معسكرهم الأول، فشق ذلك على كبار المهاجرين، ودخل على أبي بكر عدد منهم فقالوا: يا خليفة رسول الله، إن العرب قد انتقضت عليك من كل جانب، وإنك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً اجعلهم عدة لأهل الردة ترمي بهم في نحورهم، ولا نأمن على أهل المدينة أن يُغَارَ عليها وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجرانه، وتعود الردة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذٍ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا. فلما استوعب أبو بكر كلامهم، قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا، قد سمعت مقالتنا.

فقال: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلني في المدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأول منه، ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: «**أنفذوا جيش أسامة**»، ولكن خصلة، أكلم أسامة في عمر يُخَلِّفُهُ يقيم عندنا، فإنه لا غناء بنا عنه، والله ما أدري، أيفعل أسامة أم لا!؟ والله إن رأى لا أكرهه.

فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة، ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته وكلمه أن يترك عمر، ففعل أسامة، وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم، وخرج وأمر مناديه ينادي عزمة في أن لا يتخلف عن أسامة مِنْ بعثه مَنْ كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً.

وأرسل إلى النفر الذين كانوا تكلموا في إمارة أسامة، فغلظ عليهم، وأخذهم بالخروج فلم يتخلف عن البعث إنسان واحد.

وخرج أبو بكر يشيع أسامة، فلما ركب أسامة من الجرف في أصحابه

وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم ألف فرس وسبعمائة من المهاجرين، فسار أبو بكر بجانب أسامة ساعة ثم قال: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك، إني سمعت رسول الله ﷺ يوصيك، فانفذ لأمر رسول الله، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه، وإنما أنا منفذ لأمر رسول الله ﷺ فخرج سريعاً فوطئ بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام - جهينة وغيرها من قضاعة - حتى نزل وادي القرى قدم عيناً له من بني عذرة فخرج حتى انتهى إلى أبنى، فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق ثم رجع سريعاً فلقي أسامة على مسيرة ليلتين من أبنى فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع وأن يشنها غارة.

فلما انتهى إلى أبنى ونظر إليها عبأ أصحابه وقال لهم: اجعلوها غارة، ولا تمعنوا في الطلب، ولا تفترقوا واجتمعوا، وأخفوا الصوت، واذكروا الله في أنفسكم، وجردوا سيوفكم واجعلوها فيمن أشرف لكم، ثم دفع عليهم الغارة ينادون بشعارهم: يا منصور أمت، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق في طوائفهم النار، وحرق حرثهم ومنازلهم ونخلهم، وأجال الخيل في عَرَصَاتِهِمْ، وفاز بمراده.

وأقاموا هناك يوماً في تعبئة ما أصابوا وكان أسامة يركب فرس أبيه التي قتل عليها يوم مؤتة، وتدعى سبحة، وقتل قاتل أبيه كما أخبره بذلك بعض من سباه منهم. ثم طوى البلاد عائداً، فوردوا وادي القرى في تسع ليالٍ ثم أرسل بشيراً إلى المدينة بسلامتهم ووصلوا بعد ذلك المدينة في ست ليالٍ ولم يصب من المسلمين أحد.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة حتى العواتق لاستقبالهم وسروراً بسلامتهم ودخل أسامة راكباً فرس أبيه سبحة، واللواء بين يديه يحمله بريدة حتى انتهى به إلى المسجد، فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته معه اللواء.

وكان غيابه خمسة وثلاثين يوماً، عشرين في بدأته، وخمسة عشر في

رجعته وكان هرقل بحمص، فدعا بطارقته فقال: هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوا مني، قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر تُغِيْرُ عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم.

قال أخوه: سأبعث رابطة ـ خيلاً وجماعة يحفظون من وراءهم ـ تكون بالبلقاء. فبعث رابطة واستعمل عليهم رجلاً من أصحابه، فلم يزل مقيماً حتى قدمت البعوث الإسلامية إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان الفتح.



٤

المعاهدات

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة: ٤].

وقال رسول الله ﷺ: **«إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان»**.

أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر



١ ـ أكيدر ودومة.

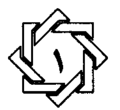
٢ ـ يحنة بن رؤبة.

٣ ـ أهل جرباء وأذرح.

توطئة

لما توجه رسول الله ﷺ إلى تبوك سنة تسع من الهجرة النبوية وأقام فيها أياماً ولم يلق كيداً صالحه أهلها على الجزية، وأتاه وهو فيها يحنة بن رؤبة صاحب (أيلة) فصالحه، وصالح أهل (أذرح) (وجرباء).

وأرسل خالد بن الوليد وأبا بكر الصديق إلى دومة الجندل، وكان ملكها أكيدر دومة فأتي به، واجتمع هو ويحنة بن رؤبة عند النبي ﷺ، وعاهد رسول الله ﷺ جميع تلك النواحي وأغلبهم نصارى، ويجاورهم بعض يهود في (مقنا وبعض القرى)، وصالحهم كذلك وكتب لهم كتباً، كما كتب لمن عاهدهم من النصارى كتباً، وسأذكر الذين صالحوه وما جاء من نصوص المعاهدات التي كتبها.



أكيدر دومة

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك وهو قافل إلى المدينة في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك السكوني، بدومة الجندل[1]، وكان أكيدر من كنده قد ملكهم، وكان نصرانياً فقال: إن قدرتم على أخذه فخذوه ولا تقتلوه، وإن لم تقدروا على أخذه فاقتلوه[2].

ويبدو أن رسالة من النبي ﷺ قد وصلت إليه مع الرسائل التي أرسلها إلى كسرى وقيصر وغيرهم.

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر وأكيدر دومة يدعوهم إلى الله ﷻ[3].

فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب؟ وإنما أنا في أناس يسير؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ستجده يصيد البقر فتأخذه»**.

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له، ومعه امرأته الرباب بنت أنيف بن عامر، وصعد على ظهر الحصن من الحر، وقينته تغنيه، ثم دعا بشراب فشرب، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فأقبلت امرأته الرباب فأشرفت على الحصن

---

(١) ودومة الجندل: بضم الدال، وتقع الآن في شمال المملكة السعودية شمال تيماء قريباً من تبوك على طريق الشام بنحو ٤٥٠ كيلومتراً من المدينة المنورة، وقديماً كان بينها وبين المدينة النبوية عشر مراحل، وبينها وبين دمشق ثمان مراحل. وانظر في تاريخها: معجم البلدان ٢/ ٤٨٧.

(٢) أخرج هذا النص النسائي في السنن الكبرى السير، عدد السرية، السنن ٥/ ٢٥٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٣٣، وسنده صحيح.

فرأت البقر فقالت: ما رأيت كالليلة في اللحم!! هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، ثم قالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد.

قال أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا ليلة بقر غير تلك الليلة، ولقد كنت أُضَمِّرُ له الخيل إذا أردت أخذها شهراً أو أكثر ثم أركب بالرجال والآلة.

فنزل فأمر بفرسه فأُسِرجَ، وأمر بخيل فأُسرجَت، وركب معه نفر من أهل بيته، منهم أخوه حسان ومملوكان، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم(١). فلما فصلوا من الحصن، وخيل خالد تنظرهم لا يصهل فيها فرس ولا يتحرك، فساعة فصل أخذته الخيل، فاستأسر أكيدر، وامتنع حسان، فقاتل حتى قتل، وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيته فدخلوا الحصن.

وكان على حسان قباء ديباج مخوص من الذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري فأخبرهم بأخذهم أكيدر.

قال أنس بن مالك وجابر بن عبد الله: رأينا قباء حسان أخي أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يتلمسونه بأيديهم ويعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا!!»**(٢).

ولما استأسر أكيدر، قال خالد بن الوليد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حين آتي بك رسول الله ﷺ على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم، ذلك لك. فلما صالح خالد أكيدر، وأكيدر في وثاقه، انطلق به خالد حتى أدناه من باب الحصن، فرأوا ذلك فأبى عليه مضاد، أخو أكيدر، فقال أكيدر لخالد: تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاق فخل عني، فلك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن، إن أنت صالحتني على أهله. قال خالد: فإني أصالحك، فقال أكيدر: إن شئت حكمتك، وإن شئت حكمني.

---

(١) المطارد جمع مطرد، بوزن منبر رمح قصير يطعن به.

(٢) أخرجه البخاري عن أنس، الهبة ٥/ ٢٣٠.

قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت.

فصالحه على: ألفي بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه.

فلما قاضاه خالد على ذلك خلى سبيله ففتح الحصن، فدخله خالد، وأوثق أخاه مضاداً أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح ثم خرج قافلاً ومعه أكيدر ومضاد.

فلما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ سجد أكيدر للنبي ﷺ فأومأ له بيده: لا لا، مرتين وصالحه على الجزية، وحقن دمه ودم أخيه، وخلى سبيلهما، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذٍ بظفره[1].

فعزل للنبي ﷺ صفياً خالصاً ثم قسم ما بقي بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمس فرائض، وشيء من السلاح وقيل أكثر من ذلك.

قال جابر: رأيت أكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهر[2].

---

(١) وفي كنز العمال ٤/١٨٩ بحاشية المسند، عن عمرو بن يحيى بن وهب بن أكيدر صاحب دومة الجندل عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ كتب إلى (ابن) أكيدر، ولم يكن معه خاتمه، فختمه بظفره، ونقل هذا النص عن ابن عساكر، ولعل كلمة (ابن) زائدة، والله أعلم.

(٢) هذا السياق للنص بطوله هو للواقدي في المغازي ٣/١٠٣٦ وفيه تفصيلات مهمة والمضمون قد جاء عند ابن إسحاق، انظر: ابن هشام ٤/١٨١ ـ ١٨٢، وابن سعد الطبقات ٢/١٦٦، والبلاذري فتوح البلدان ص٨٢، وعنه أخذه ياقوت في معجم البلدان ٢/٤٨٨، والطبري ٣/١٠٨ ـ ١٠٩، وأبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن إسحاق ٢/٦٧٦، والبيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق، ومن طريق عروة بن الزبير ٥/٢٥٠ ـ ٢٥١، والسيرة لابن حبان ص٣٧١، وابن قيم الجوزية زاد المعاد ٣/٥٣٨، وابن سيد الناس عيون الأثر ٢/٢٩٨، وابن كثير البداية ٥/١٧، والمقريزي إمتاع الأسماع ص٤٦٣، والصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/٢٢١، وغيرها من المصادر، كخليفة بن الخياط ص٩٢ وخبر أكيدر دومة، وما تعلق به متداول في =

ونص كتاب الصلح الذي كتبه له النبي ﷺ هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد، سيف الله في دومة الجندل وأكنافها.

وإن لنا الضاحية من الضحل، والبور والمعامي، وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن.

ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس. لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء.

شهد الله ومن حضر من المسلمين.

قال الواقدي: حدثني شيخ من أهل دومة أن رسول الله ﷺ كتب له هذا الكتاب... وذكره(١).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: أما هذا الكتاب فأنا قرأت نسخته، وأتاني به شيخ هناك مكتوباً في قضيم صحيفة بيضاء فنسخته حرفاً بحرف، وذكر مثله(٢).

قال أبو عبيد:

قوله: الضاحية من الضحل: الضاحية في كلام العرب كل أرض بارزة من نواحي الأرض وأطرافها، والضحل: القليل من الماء.

= مصادر السيرة النبوية الأولى، إضافة لما تقدم كابن عائذ، وموسى بن عقبة، وغيرهم، ومضمونه متفق عليه عند الجميع وهو متصل إلى عدد من التابعين.

(١) انظر: الواقدي المغازي ٣/ ١٠٣٠، وابن سعد الطبقات ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ عن الواقدي، والبلاذري ص٨٢، والمقريزي إمتاع الأسماع ١/ ٤٦٦، والصالحي عن الواقدي ٦/ ٢٢٢.

(٢) انظر: أبا عبيد الأموال ص٢٥٢، واقتبسه السهيلي في الروض الأنف ٤/ ١٩٦.

والبور: الأرض التي لم تحرث.

والمعامي: البلاد المجهولة.

والأغفال: التي لا آثار بها.

والحلقة: الدروع، وبعضهم يجعله السلاح كله.

والحافر: الخيل وغيرها من ذات الحافر.

والحصن: يعني حصنهم.

والضامنة من النخل: التي معهم في المصر.

والمعين: الماء الدائم الظاهر، مثل ماء العيون ونحوها.

والمعمور: بلادهم التي يسكنونها.

لا تعدل سارحتكم: السارحة هي الماشية التي تسرح في المراعي يقول: لا تعدل عن مرعاها لا تمنع منه ولا تحشر في الصدقة إلى المدن ولكنها تصدق عن مياهها ومراعيها.

ولا تعد فاردتكم: يعني في الصدقة: أي لا تعد مع غيرها فتضم إليها ثم تصدق وهذا نحو قوله: ولا يجمع بين متفرق.

وعن علي رضي الله عنه قال: وأهدى أكيدر إلى رسول الله ﷺ هدية كسوة وفيها ثوب حرير، فأعطاه علياً فقال: شققه بين الفواطم، أي لفاطمة عليها السلام وآل بيتها من النساء[1].

وقد جاء خبر طريف يبين التودد من أكيدر دومة لرسول الله ﷺ، وقبول رسول الله ﷺ ذلك، فعن قيس بن النعمان، قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ، فسمع بها أكيدر دومة الجندل فانطلق إلى رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه اللباس رقم ٢٠٧١، والفواطم هن: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب، وفاطمة أم أسماء بنت حمزة، وقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، وكانت قد هاجرت وأبو يوسف في الخراج ٢/ ٤٢١، وعنده رواية عن عروة أن أكيدر أهدى إلى النبي ﷺ هدية وهو مشرك فقبلها.

فقال: يا رسول الله بلغني أن خيلك انطلقت، وإني خفت على أرضي ومالي، فاكتب لي كتاباً لا يتعرض لشيء هو لي، فإني مقر بالذي علي من الحق.

فكتب له رسول الله ﷺ، ثم إن أكيدر أخرج قباء منسوجاً بالذهب، مما كان كسرى يكسوهم فقال النبي ﷺ: «**ارجع بقبائك فإنه ليس أحد يلبس هذا في الدنيا إلا حرمه في الآخرة**»، فرجع به الرجل حتى إذا أتى منزله وجد في نفسه أن ترد عليه هديته.

فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنا أهل بيت يشق علينا أن ترد هديتنا فاقبل مني هديتي، فقال له: «**فانطلق فادفعه إلى عمر**».

وكان عمر قد سمع ما قال رسول الله ﷺ فيه، فبكى ودمعت عيناه، وظن أنه قد لحقه شقاء، فانطلق إلى رسول الله ﷺ، فقال: أحدث فيّ أمر، قلت في هذا القباء ما سمعت، ثم بعثت به إلي، فضحك رسول الله ﷺ، حتى وضع يده على فيه، ثم قال: «**ما بعثت به إليك لتلبسه، ولكن تبيعه فتستعين بثمنه**»(١).

وعن أنس بن مالك قال: أهدى الأكيدر إلى رسول الله ﷺ جرة مِنْ مَنٍّ فجعل رسول الله ﷺ يعطي أصحابه قطعة قطعة، وأعطى جابراً قطعة ثم عاد فأعطاه قطعة أخرى، فقال: يا رسول الله قد أعطيتني مرة فقال: «**هذا لبنات عبد الله ـ يعني أخواته ـ**»(٢).

وقد كانت دومة الجندل ثغراً يأتي منه الخطر للمسلمين، ويساهم فيه

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، وقال البوصيري إسناده صحيح، انظر: إتحاف الخيرة المهرة ٤/ ٤٨٣، وقال ابن حجر في الفتح ٥/ ٢٣١: إسناد قوي، وانظره بهذه السياقة في إعلام السائلين لابن طولون ص١٢٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٢٢، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، قال البوصيري في إتحاف المهرة ٣/ ٣٩٩: وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان.

أكيدر ملكها استشعاراً منه بفروسيته وقوته ومنعة حصنه الذي كان يسمى مارداً، وهو مبني بالصخور، الجندل وبعد مكانه عن القادمين ووضعه الرصد والعيون على الطرقات، ولهذا قام خالد بخطة فاجأته، إذ كانت خيله مدربة، على الاختباء وعدم الصهيل، فما أقل ما لبث أمام خالد بن الوليد ومن معه، فأقبل بعد رضوخه لخالد مستسلماً طالباً العهد والصلح وكان له ذلك، دون أن يذل رسول الله ﷺ كرامته فلم يرض منه السجود، وحافظ له على زعامته وأعطاه كل ما يريد في نفسه وأهله وماله وعشيرته.

من خلال هذا الكتاب يبدو أن بعضهم قد أسلم، وقيل: إن أكيدر نفسه قد أسلم كما يظهر من نص الكتاب، ثم ارتد فقتله خالد في الردة[1].

وقيل: إنه لما توفي رسول الله ﷺ نقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناءً سماه دومة، وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما في يده فسلم ذلك له[2].

وقد جاء عن بجير بن بجرة الطائي[3] قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أكيدر دومة فقال له: إنك تجده يصيد البقر فوافقناه في ليلة مقمرة وقد خرج كما نعته رسول الله ﷺ فأخذناه، فلما أتينا رسول الله ﷺ أنشدته:

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هاد

---

(١) وقد أطال الحافظ ابن حجر في ترجمة أكيدر في الإصابة، وبين اختلاف العلماء في إسلامه؛ فلينظر ١/ ١٢٥.

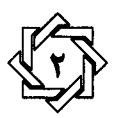
(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان ص٨٣، ٨٤.

(٣) انظر: ابن هشام ٤/ ١٨٢، والبيهقي دلائل النبوة ٥/ ٢٥١، وأبو نعيم دلائل النبوة ٢/ ٢٧٦، والصالحي سبل الهدى والرشاد ٦/ ٢٢٢.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١٣٨: قال ابن منده: هذا مرسل وقد وقع لنا مسنداً ثم أخرج من طريق أبي المعارك السماح بن معارك بن مرة بن صخر بن بجير بن بجرة الطائي حدثني أبي عن جدي عن أبيه بجير بن بجرة قال: كنت... وأخرجه ابن السكن، وأبو نعيم من هذا الوجه، وأبو المعارك، وآباؤه لا ذكر لهم في كتب الرجال، وذكر سيف بن عمر في الفتوح أن بجير بن بجرة استشهد في القادسية.

فمن يك حائداً عن ذي تبوك　　فإنا قد أمرنا بالجهاد

فقال رسول الله ﷺ: **«لا يفضض الله فاك»**، قال: فأتت علي تسعون سنة وما تحرك لي سن.



يُحَنَّة بن رؤبة

ولما كان رسول الله ﷺ بتلك البقاع كتب كتاباً إلى يحنة بن رؤبة ـ وجاء تسميته في صحيح مسلم: بابن العلماء ولعلها أمه ـ وسروات أهل أيلة(١):

وكان هذا الرجل نصرانياً، وملكاً على أيلة وما حولها، وجاء ذكر ملوكيته في عدد من المصادر ومنها الصحاح كما تراه في النصوص.

وأما نص الكتاب فهو:

سلم أنتم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم أو أعط الجزية، وأطع الله ورسوله، ورسل رسول الله، وأكرمهم، واكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاء، واكس زيداً كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي، فإني قد رضيت، وقد علم الجزية.

فإن أردتم أن يأمن البر والبحر، فأطع الله ورسوله، ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله ورسوله، وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منكم شيئاً حتى أقاتلكم، فأسبي الصغير، وأقتل الكبير، فإني رسول الله بالحق، أؤمن بالله وكتبه ورسله، وبالمسيح بن مريم أنه كلمة الله، وإني أؤمن به أنه رسول الله، وأت قبل أن يمسكم الشر، فإني قد أوصيت رسلي بكم، وأعط حرملة ثلاثة أوسق شعيراً، وإن حرملة شفع لكم، وإني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئاً حتى ترى الجيش.

---

(١) وأيلة: هي اليوم مدينة العقبة في المملكة الأردنية على ساحل البحر الأحمر. انظر في تعريفها: معجم البلدان ١/ ٢٩١. وقد خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين في القرون الهجرية الأولى.

وإنكم إن أطعتم رسلي فإن الله لكم جار ومحمد، ومن يكون منه.

وإن رسلي: شرحبيل، وأُبَي، وحرملة، وحريث بن زيد الطائي، فإنهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته، وإن لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله والسلام عليكم إن أطعتم، وجهزوا أهل (مقنا)[1] إلى أرضهم[2].

ومن خلال هذا الكتاب يبدو أن أهل أيلة كان العرب يتناوشونهم والعجم تارة أخرى، فيثقلون كاهلهم، ويلزمونهم بحقوق كثيرة.

وكان قد أرسله مع حريث بن زيد الخير المذكور ومن معه في نص الكتاب، فلما بلغ الكتاب إلى رؤبة بن يحنة خاف على نفسه لا سيما عندما سمع بما حدث لأكيدر دومة فأقبل إلى النبي ﷺ باختياره، فعن جابر قال: رأيت يحنة بن رؤبة يوم أتى النبي ﷺ وعليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية، فلما رأى النبي ﷺ كفر وأومأ برأسه، فأومأ إليه النبي ﷺ: «**ارفع رأسك**»، وصالحه يومئذٍ وكساه برداً يمانياً، وأمر له بمنزل عند بلال.

والتكفير عند أهل الكتاب أن يطأطأ رأسه لصاحبه ويضع يديه على صدره وكتب النبي ﷺ كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة رسول الله ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر.

هذا كتاب جهيم بن الصلت، وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ[3].

---

(١) ومقنا: بلدة قريب من أيلة وسكانها كانوا يومئذٍ يهوداً.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ عن الواقدي عن شيوخه.

(٣) انظر: الكتابين في: مغازي الواقدي ٣/ ١٠٣١، وطبقات ابن سعد ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠، وابن هشام ٤/ ١٨٠ ـ ١٨١، والأموال لأبي عبيد ص٢٥٨، ومن طريقه الطحاوي في

والأمنة: بالتحريك الأمن والأمان.

قال البلاذري: فصالحه - أي النبي ﷺ - على أن جعل على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار وكانوا ثلاثمائة رجل، واشترط عليهم قِرَى - أي ضيافة - من مر بهم من المسلمين.

وأعطى النبي ﷺ أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم حتى وصلت إلى أبي العباس عبد الله بن محمد فاشتراها بثلاثمائة دينار.

وأهدى صاحب أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء.

قال أبو حميد الساعدي: غزونا مع رسول الله ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب له ببحرهم[1].

وقد اجتمع في حضرة النبي ﷺ أكيدر دومة ويوحنة بن رؤبة.

= مشكل الآثار ١٣/٣٨٩، وهو عن عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير الإمام صاحب المغازي، وابن حبان السيرة ص٣٦٩، والبلاذري ص٦٠، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٥٧، وابن سيد الناس عيون الأثر ٢/٢٩٧، وابن قيم الجوزية ٣/٥٣٧، وابن كثير البداية ٥/١٦، وابن حجر فتح الباري ٣/٣٤٦، والمقريزي إمتاع الأسماع ١/٤٦٨، وخليفة بن خياط التاريخ ص٩٢.
وذكر الكتاب مجملاً دون نصه قد صح دون شك كما بينه صاحب الصحيح عن أبي حميد الساعدي في النص الآتي عندهما...
وقال أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار ١٣/٣٨٩: ووجدنا محمد بن عزيز بن عبد الله بن زياد بن عقيل الأيلي - نسبة إلى أيلة - قد ذكر لنا أن الكتاب الذي كان النبي ﷺ كتبه ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة مما أخذوه كابراً عن كابر، فأخذناه من محمد بن عزيز.. بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنة من الله ﷻ ومحمد النبي ﷺ رسول الله... وذكر الكتاب كالنص المذكور.
قال: فوقفنا بما في هاتين الروايتين على كتاب رسول الله ﷺ في ذلك.
قلت: هذا يؤكد ويثبت صحة هذا الكتاب.

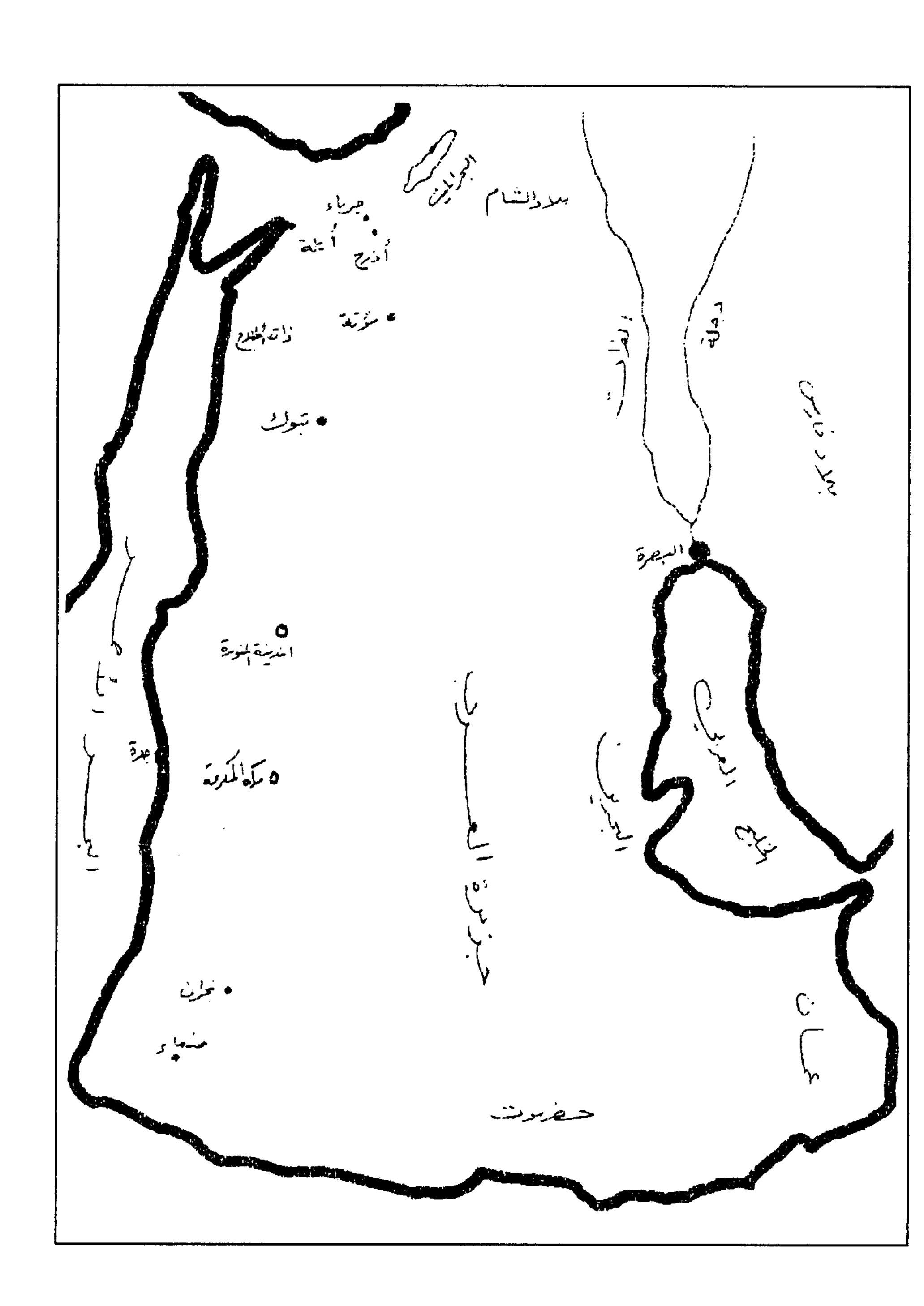
(١) انظره في: صحيح البخاري، الزكاة، باب في خرص التمر ٣/٣٤٣، وفرض الخمس باب إذا وادع الإمام ملك القرية....، ومسلم الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ رقم ١٣٩٢، وأحمد في المسند ٥/٤٢٥، وابن أبي شيبة ١٤/٥٤٠، وعزاه ابن حجر في فتح الباري ٣/٣٤٥ إلى الحربي في كتابه الهدايا من حديث علي بن أبي طالب.

قلت: وفي قبول النبي ﷺ هدية يوحنة، ثم إعطاؤه برداً، فيه تأصيل لتبادل الهدايا بين المتزاورين عامة والرؤساء خاصة، ولو كانوا مختلفي الدين، وما ذلك إلا للتأنيس، والتقريب، والتفاهم، والتعاون على المشترك على الفضائل.

وفيه كذلك: رفع شأن هذا الرجل الوارد على النبي ﷺ وعدم قبول التكفير والانحناء منه، وهو نوع من الذل والمهانة، فعامله النبي ﷺ معاملة كريمة إسلامية، وحيّاه تحية إسلامية، وأكرم نزله خير إكرام.

وكانت رسالة النبي ﷺ قد وصلت إلى يوحنة قبل وصوله لما أصبحت تلك النواحي ومنها أيلة محطات انطلاق لحرب المسلمين، واستغلال من قبل الروم المعادين، فكان لا بد أن يوطد الأمن والسلم في حدود الدولة الإسلامية الشمالية، وكأن ابن العلماء ـ وهو على طرف من العلم بالكتب ـ كان يعلم أن النبي ﷺ سيظهر على تلك البلاد والنواحي فطلب العهد والأمان.

ثم قبل النبي ﷺ منه الصلح وأقره على دينه، دون أن يؤذيه، وضمن له في هذا الصلح الأمن في البر والبحر له ولمن حوله والواردين عليه، لا يظلمون ولا يُعْتَدَىٰ عليهم في شيء، وقد اعتز هؤلاء بكتاب رسول الله ﷺ وبرده وحفظوه مدة غير قصيرة.



بلاد الشام
جرباء
أذرح
أيلة
مؤتة
ذات الطلح
تبوك
المدينة المنورة
جدة
مكة المكرمة
نجران
صنعاء
حضرموت
البصرة
الفرات
دجلة
بلاد فارس
الخليج العربي
عمان



أهل جرباء وأذرح

ويبدو أن أهل جرباء وأذرح[1] كانوا خليطاً من النصارى واليهود وغيرهما، وأن أهل مقنا كانوا كلهم يهوداً فصالحهم النبي ﷺ وكتب لهم بذلك كتباً، أما كتابه لأهل أذرح فقال الواقدي: ونسخت كتاب أهل أذرح فإذا فيه:

---

(١) وأذرح: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، ثم الحاء المهملة وجرباء، وقيل: جربا، قريتان في أطراف الشام الجنوبية من أعمال الشراة، نواحي البلقاء، وهما الآن في حدود المملكة الأردنية الهاشمية، وتقعان شمال غربي مدينة معان بنحو عشرين كيلومتراً، ويذكران مع بعضهما في النصوص لقربهما، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ١/١٢٩: حدثني الأمير شرف الدين يعقوب بن الحسن. الهذياني ـ قبيل من الأكراد ينزلون نواحي الموصل ـ قال: رأيت أذرح والجرباء غير مرة، وبينهما ميل واحد وأقل، لأن الواقف في هذه ينظر هذه، واستدعى رجلاً من أهل تلك الناحية ونحن بدمشق واستشهده على صحة ذلك فشهد به، ثم لقيت أنا غير واحد من أهل تلك الناحية وسألتهم فكل قال مثل قوله.
وقد جاء ذكرها في الحديث في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين جربا وأذرح».**
وفي روايته: إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح، فيه أباريق كنجوم السماء، ومن ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، أي كما بين المدينة النبوية وجرباء وأذرح، كما جاء مفسراً في بعض الروايات، وفي رواية: قال عبيد الله الراوي عن نافع عن ابن عمر، فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال.
انظر: صحيح البخاري، الرقاق: باب في الحوض رقم ٦٥٧٧، وانظر: فتح الباري ١١/٤٧٢.
انظر: صحيح مسلم، الفضائل حديث رقم ٢٢٩٩، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.
وانظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد محمد حسن شراب ص٢٤ و٨٨، وذهب بعضهم إلى أن أذرح هي مدينة (إزرع) وهي في جنوب سورية الآن، وهو بعيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله، وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين. ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون، حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه.

وقال الواقدي: وكتب رسول الله ﷺ لأهل جربا وأذرح: **هذا كتاب من النبي محمد لأهل جربا وأذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم**[1]، فذكره. ويبدو أن نسخة الكتاب لأهل أذرح وجرباء متطابقة وعند كل قوم كتابهم.

---

(١) المغازي ٣/ ١٠٣٢، وابن سعد عن الواقدي ١/ ٢٩٠، والبيهقي دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق ٥/ ٢٤٨، وابن كثير عن ابن إسحاق ٥/ ١٧، والمقريزي ١/ ٤٦٩، وانظر: البلاذري ص٨٠.

الخاتمة

وبعد:

فمن خلال الأبواب الأربعة التي عَبَرَ المسلمون منها إلى عالم النصرانية كما تقدم، يتبين لنا أن ملوك النصرانية وعظماءها، وأحبارها لم يجابهوا دعوة النبي ﷺ بحرب ضروس، ولا بِرَدٍّ شنيع أو قول فاحش، كما صنع ملك فارس، أو كما فعل اليهود بمكر وغدر، بل استقبلوها بترحاب وتقدير ومودة وأكرموا رسل النبي ﷺ وحمّلوهم الهدايا الفاخرة، والتحف النادرة، وأعزها وأغلاها مارية القبطية أم إبراهيم بن الحبيب المصطفى ﷺ، وتمنوا كلهم أن يكونوا من أتباعه المقربين لديه وأحبابه، وحفظ هرقل رسالة النبي ﷺ وورثها إلى ذريته كأعز ما يورث من نفائس.

وآمن منهم النجاشي فحظي عند موته بصلاة الغائب من رسول الله ﷺ، وما هذا إلا لما توارد عندهم في الكتب، وعلى لسان الأحبار من صفات النبي ﷺ، ولهذا كان القرآن يذكرهم بذلك ويستشهدهم على صدقه، وإذا سمعوا القرآن خشعوا له وخضعوا، وكثير منهم غرته الحياة الدنيا فوقف عندها، كما في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

ولما جاءت وفودهم من نجران وغيرها أفراداً وجماعات لقوا من رسول الله ﷺ وصحابته كل ترحيب وتقدير، وحاورهم النبي ﷺ وسألهم، وحاوروه وساءلوه، ونزلت فيهم آيات بينات تتلى في محاريب المسلمين إلى يوم الدين فيها الوصاة بهم والإحسان بمعاملتهم، والتلطف في دعوتهم، والبر لكل من لم يعلن سيف الحرب منهم، وعادت وفودهم إما بصلح وثيق، أو بإيمان عميق.

ولما تحركت بعض القبائل العربية التي تنصرت من قبل ضد طريق المسلمين وقوافلهم التجارية وسفرائهم، كان لا بد من إخضاعهم وتأديبهم، ورد عدوانهم وإحباط مكرهم وكيدهم، فكانت عدة سرايا وغزوات، ومن أبرزها غزوة تبوك التي كانت إثر أعظم تجمع حصل في تاريخ تلك البقاع ضد جزيرة العرب، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ولم يكن ثم قتال، وكان إثر ذلك معاهدات مرعية ومصالحات شرعية حفظت حتى نقض أصحابها هذه العهود والمواثيق، وبهذا كانت العلاقات لينة ندية بين المسلمين والنصارى.

❖ ❖ ❖

وتأكيداً على هذا فقد جاء في القرآن الكريم آيات عديدة توصي بهم وتأمر بالخير إليهم، منها قوله تعالى:

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وجاء في السنة أحاديث كثيرة وقد ائتساها الخلفاء، وعليها بنى الأحكام والتشريع الفقهاء. فمن الأحاديث قوله ﷺ فيما رواه صفوان بن سليم عن عدة ـ ثلاثين ـ من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من آبائهم دنية ـ أي الأقربين ـ قال رسول الله ﷺ: ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه، فأنا حجيجه يوم القيامة.

وزاد البيهقي: «ألا ومن قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً»(١).

وعن هشام بن حكيم بن حزام أنه وجد رجلاً وهو بحمص يثمن ناساً من القبط في أداء الجزية فقال: ما هذا؟ إني سمعت رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود، الخراج والإمارة والفيء، باب التشديد في جباية الجزية رقم ٣٠٤٧.

«إن الله ﷻ يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»(١).

ومن حديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ﷻ لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم»**(٢).

وقد كان بين الروم ومعاوية عهد، وكان معاوية يسير نحو بلادهم بالجيش ليقرب، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاءه رجل على فرس أو برذون، وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فإذا هو عمرو بن عبسة ـ الصحابي ـ فأرسل إليه معاوية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء، فرجع معاوية»**(٣).

ومعنى قوله: ينبذ إليهم على سواء: أي يعلمهم أنه يريد أن يغزوهم، وأن الصلح الذي كان بينهم قد ارتفع فيكون الفريقان في ذلك على السواء.



وأما الاعتداء على المعاهدين وأهل الذمة فقد جاء التحذير منه للإمام وللجيش وللأفراد. فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قتل معاهداً في كنهه حرم الله عليه الجنة»**، وفي رواية: **«حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها»**.

وفي أخرى: **«من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه وفيه الأنباط، وهو كذلك في سنن النسائي. وهذه الرواية من سنن أبي داود رقم ٣٠٤٠ وكيفما كان الأمر فهم من أهل الذمة المعاهدين، وقد جاء مثله عن غير واحد من الصحابة.

(٢) أبو داود، الخراج والإمارة رقم ٣٠٤٥، والبيهقي: السنن الكبرى ٩/ ٢٠٤ من طريق أبي داود.

(٣) أخرجه أبو داود: الجهاد باب الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه رقم ٢٧٥٣ ط عوامة، والترمذي وقال: حسن صحيح، السير باب ما جاء في الغدر، والنسائي.

ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً»[1].

وكنه الأمر: وقته وحقيقته، ومعناه في غير الوقت الذي يستحق فيه القتل، أي عندما لا يرتكب جرماً يستحق بسببه ذلك.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قتل معاهداً لم يُرَحْ رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»**.

وفي رواية: **«من قتل قتيلاً من أهل الذمة»**[2].

ومعنى لم يُرَحْ: أي لم يجد لها ريحاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«ألا من قتل نفساً معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسافة سبعين خريفاً»**[3].

وقال أبو يوسف: حدثني بعض المشيخة المتقدمين يرفع الحديث إلى النبي ﷺ أنه ولى عبد الله بن الأرقم على جزية أهل الذمة: فلما وَلَّىٰ مِنْ عنده ناداه، فقال: **«ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة»**[4].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ما ختر قوم بالعهد إلا سلط

---

(١) أخرج الرواية الأولى أبو داود، الجهاد، باب في الوفاء للمعاهد رقم ٢٧٥٤ ط الشيخ محمد عوامة، والنسائي ٨/ ٢٤، والروايتين الأخيرتين عند النسائي، القسامة باب تعظيم قتل المعاهد، الأولى من حديث أبي بكرة والثانية عن القاسم بن مخيمرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، الجهاد باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ٢٩٦/٦، والديات باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم، والنسائي في القسامة باب تعظيم قتل المعاهد ٥/ ٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي، الديات باب فيمن قتل نفساً معاهدة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، الديات باب من قتل معاهداً رقم ٢٦٨٧.

(٤) الخراج ٢/ ١١٨.

عليهم العدو[1].

والختر: الغدر.



وقد رعى خلفاء رسول الله ﷺ من بعده هذه الوصايا والأوامر، فعملوا بها وأوصوا بها جيوشهم التي كانوا يرسلونها، وخاصة النصارى وأهل الذمة، فعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربع من تلك الأرباع[2]، فقال يزيد لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنت بنازل، وما أنا براكب، إني احتسبت خطاي هذه في سبيل الله.

ثم قال له: إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب من فحصوا عنه بالسيف، وإني أوصيك بعشر:

لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن[3].

والذين حبسوا أنفسهم هم الرهبان في الصوامع، لا يخالطون الناس، والذين فحصوا رؤوسهم هم الشمامسة، أهل الرأي والمشورة والنكاية.

ولما أصيب عمر رضي الله عنه قال في وصيته: أوصيكم بذمة الله فإنهم ذمة نبيكم ﷺ، ورزق عيالكم.

وعن عمرو بن ميمون عن عمر أنه قال: أوصي الخليفة من بعدي

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في الأمان وفي سنده انقطاع.

(٢) كانت جيوش الشام مقسمة إلى أربعة أقسام، وكان يزيد أمير ربع منها، وكان معه أبو عبيدة الجراح وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو..

بأهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل مَنْ ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم(١).

وكان ينادي عمر رضي الله عنه في المسلمين فيقول: يا أيها الناس فوا بذمة محمد ﷺ(٢).

وفي رواية: أيها الناس اتقوا الله في ذمة محمد فلا تظلموهم(٣).

وقد أَصَّلَ عملاً جليلاً فعند قدومه لجابيه من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت(٤).

وعن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب مر في مسيره وهو راجع من الشام على قوم أقيموا في الشمس فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها، قال: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: لا نجد، قال: فدعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فأمر بهم فخلى سبيلهم(٥).

ومر عمر رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي.

قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟.

قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ بيده وذهب إلى منزله فرضخ له المنزل بشيء، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا ونظراءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

وعاش النصارى في بلاد المسلمين عبر القرون التوالي، ولم يتعرضوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ٣/٢٥٦، الجزية والموادعة، باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله ﷺ، وانظر معه فتح الباري ٦/٢٦٧، وانظر: سنن البيهقي ٩/٢٠٦.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٢٠١.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في المطالب العالية ٢/١٧١.

(٤) انظر: فتوح البلدان ص١٧٧.

(٥) الخراج لأبي يوسف ٢/١١٧.

لظلم أو حَيْفٍ بالجملة رعاية لوصية النبي ﷺ وخلفائه من بعده، وكان لهم حضور قوي في دول الإسلام المتعاقبة، وإن كان حصل عليهم حَيْفٌ فما كان إلا بجناية أنفسهم وخروجهم عن طوق العهود التي قطعوها.

وجاء في وصية أبي يوسف القاضي للخليفة: وقد ينبغي يا أمير المؤمنين ـ أيدك الله ـ أن تقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك ـ محمد ﷺ ـ والتفقد لهم حتى لا يظلموا، ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه[١].

❖ ❖ ❖

وها هي الأيام تدور وتخرق كل شرعية دولية، وتداس جميع القيم والمثل والمبادئ الإنسانية، ويعتدى على المسلمين في عقر دارهم دون ذنب جنوه أو جرم ارتكبوه، وأعظم جناية ترتكب اليوم هي محاولة اقتلاع هذه المبادئ الربانية والأسس الإنسانية التي يتعايش في ظلالها المسلمون والنصارى، وذلك باسم النصرانية والصليب، فكم هو حري بالنصارى قادة سياسيين، ورادة فكريين، وعامة سوقيين، أن يقفوا إلى جانب المسلمين في الدفاع عن وجودهم وكيانهم، ويمنعوا ظلم الظالمين منهم باسم المسيح والنصرانية، ولهم في ذلك سلف وسابقة.

قال سعيد بن عبد العزيز: بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، قالوا: قد شُغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص، إلا أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها.

---

(١) انظر: الخراج ٢/ ١١٥.

وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعه صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمون عدد.

فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين، فتحوا مدنهم، وأخرجوا المقلسين فلعبوا[1].

وللمسلمين أن يعتزوا بدينهم، وشريعتهم، ويرفعوا رؤوسهم عالية بحضارتهم التي قامت على هذه المبادئ والأسس، وأوجب واجباتهم اليوم أن يعرفوها، ويعرفوا بها غيرهم من الأمم وعلى رأسهم النصارى في أوروبا وأمريكا وسائر بلاد العالم، لتكوين جبهة كونية ضد الظلم والظالمين أينما كانوا...

اللهم اجعل في كلماتي هذه بلاغاً ينفذ إلى القلوب ونداءً ربانياً يستقر في الحنايا والعقول، وهداية تبصر من العمى وترد عن الضلالة، وتهدي إلى صراطك المستقيم، يا نور السماوات والأرض، يا من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، يا أرحم الراحمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين محمد بن عبد الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

✍ وكتبه
الأستاذ الدكتور
فاروق حمادة

---

(١) انظر: فتوح البلدان ص١٨٧. والمقلسون: واحدهم مقلس، وهم الذي يلعبون بين يدي الأمير إذا وصل البلد. والتقليس: التكفير، وهو وضع اليدين على الصدور، والانحناء خضوعاً واستكانة.

أهم المصادر والمراجع

• ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ت٦٠٦هـ.

* جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، بدار الفكر.

* النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية، د.ت.

• ابن إسحاق، محمد، ت١٥١هـ.

* السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار، ط. دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

• أحمد بن حنبل الشيباني، ت٢٤١هـ.

* نشر المكتب الإسلامي، ودار صادر ببيروت، د.ت مصورة.

• الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، ت٤٠٣هـ.

* إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف بمصر.

• البخاري، محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ.

* الجامع الصحيح، مع فتح الباري ط. السلفية.

* التاريخ الكبير، نشر دار الفكر، مصورة، د.ت.

• البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، ت نحو ٢٧٩هـ.

* أنساب الأشراف، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، الجزء الأول، ط. دار المعارف بمصر.

* فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع دار النشر للجامعيين، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

• البوصيري، أحمد بن أبي بكر شهاب الدين.

* إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ط١، دار الوطن بالرياض، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩.

● البيهقي أحمد بن الحسين، ت٤٥٨هـ.
* دلائل النبوة، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ط. دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
* السنن الكبرى، نسخة مصورة بدار الفكر، د.ت ومعه الجوهر النقي.

● الترمذي محمد بن عيسى، ت٢٧٩هـ.
* الجامع (السنن) عدة طبعات.

● الترمذي محمد بن علي الحكيم، ت٢٧٦هـ.
* نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، د.ت.

● ابن الجوزي أبو الفرج، ت٥٩٧هـ.
* وفاء الوفا في أحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

● ابن أبي حاتم عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي، ت٣٢٧هـ.
* الجرح والتعديل، نسخة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف بحيدرآباد.

● الحاكم النيسابوري، أبي عبد الله بن الربيع، ت٤٠٦هـ.
* المستدرك على الصحيحين، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، د.ت.

● ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ت٣٥٤هـ.
* السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب ط ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
* الثقات، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد والدكن.
* الصحيح: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، ت٢٤٥هـ.
* المحبر، بعناية، د. إيلزة ليختن شتين، منشورات المكتب التجاري للطباعة، دار النشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

● ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، ت٨٥٢هـ.
* الإصابة في تمييز الصحابة، نشر دار صادر ببيروت عن الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨هـ.

* تقريب التهذيب، عدة طبعات.
* تهذيب التهذيب، ط. مصورة بدار الفكر، بيروت.
* فتح الباري، نشر المكتبة السلفية، د.ت.
* المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط. مصورة عن طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت.

- **ابن حزم أبو محمد علي، ت٤٥٦هـ.**

* جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط. دار المعارف بمصر. ط٤.

- **ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، ت٣١١هـ.**

* الصحيح، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي نشر المكتب الإسلامي، د.ت.

- **الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، ت٤٦٣هـ.**

* تاريخ بغداد، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

- **خليفة بن الخياط العصفري، ت نحو ٢٤٥هـ.**

* التاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

- **أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، ت٢٧٥هـ.**

* السنن، ضبطه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية، د.ت.
وطبعة الشيخ محمد عوامة بدار القبلة للثقافة الإسلامية جدة مؤسسة الريان، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

- **أبو داود الطيالسي سليمان بن داود، ت٢٠٤هـ.**

* المسند، نسخة مصورة، نشر دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- **الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ.**

* سير أعلام النبلاء، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.
* ميزان الاعتدال، ط. دار إحياء الكتب العربية، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

- **الراغب الأصبهاني، ت نحو ٤٢٥هـ.**

* مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط. دار القلم، والدار الشامية، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

• **الرحبي، عبد العزيز محمد الحنفي، ت١١٤٨هـ.**
* فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة الخراج، تحقيق د. أحمد عبيد الكبيسي، ط. مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٩٧٣م.

• **الزيلعي جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي، ت٧٦٢هـ.**
* نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، نسخة مصورة، د.ت عن الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

• **الساعاتي أحمد عبد الرحمٰن البنا، ت١٣٧١هـ.**
* الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ط. دار الشهاب بالقاهرة.

• **ابن سعد محمد، ت٢٣٠هـ.**
* الطبقات الكبرى، ط. دار صادر ببيروت، د.ت، وجزء منه، تحقيق زياد محمد منصور، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

• **سعيد بن منصور بن منصور الخراساني، ت٢٢٧هـ.**
* السنن، مجلدان منه، تحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

• **السهيلي أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله الخثعمي، ت٥٨١هـ.**
* الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، ط. دار الفكر، د.ت علق عليه طه عبد الرؤوف سعد.

• **ابن سيد الناس أبو الفتح محمد بن محمد، ت٧٣٤هـ.**
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، من تحقيق د. محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، ط. مكتبة دار التراث، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

• **ابن أبي شيبة، الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد، ت٢٣٥هـ.**
* المصنف في الأحاديث والآثار، نشره مختار أحمد الندوي السلفي، ط. الدار السلفية بمباي بالهند والقسم الرابع، ط. دار عالم الكتب بالرياض، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

• **الصالحي، محمد بن يوسف الشامي، ت٩٤٢هـ.**
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

• الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت٣٦٠هـ.

* المعجم الكبير، تحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، ط١ بوزارة الأوقاف العراقية.

• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ.

* تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف بمصر، ط٤.

• الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد، ت٣٢١هـ.

* شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

• ابن طولون الدمشقي، محمد، ت٩٥٣هـ.

* إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط. مؤسسه الرسالة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، ت٤٦٣هـ.

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ط. مصورة بدار صادر ببيروت على حاشية الإصابة في تمييز الصحابة من الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨هـ.

• عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت٢١١هـ.

* المصنف، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

• أبو عبيد القاسم بن سلام، ت٢٢٤هـ.

* الأموال، تحقيق خليل محمد الهراس، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

• علي الأحمدي الميانجي (معاصر).

* مكاتيب الرسول ﷺ، دار الحديث، ط١، ١٩٩٨م.

• عوامة محمد (معاصر).

* التعليق المفيد على سنن أبي داود، بدار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة الريان، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

• أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفراييني، ت٣١٦هـ.

* المسند الصحيح، نشر دار المعرفة للطبع والنشر، بيروت، د.ت.

• ابن فارس أحمد بن الحسين اللغوي، ت٣٩٥هـ.

* مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

• الفسوي، يعقوب بن سفيان، ت٢٧٧هـ.

* المعرفة والتاريخ تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط. مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

• ابن قتيبة، محمد بن مسلم، ت٢٧٦هـ.

* غريب الحديث، نشر دار الكتاب العربي ببيروت، د.ت.

• ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، ت٦٢٠هـ.

* المغني، نشر دار الكتاب العربي ببيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

• القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر، ت٦٥٦هـ.

* المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم تحقيق محيي الدين مستو ومجموعة، ط. دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

• القلقشندي أحمد عبد الله، ت٨٢١هـ.

* مآثر الإنابة في معالم الخلافة تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط. عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

• ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت٧٥١هـ.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة.

* أحكام أهل الذمة تحقيق د. صبحي الصالح، ط. دار العلم للملايين ببيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

• الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير الحسني، ت١٣٨٢هـ.

* التراتيب الإدارية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

• ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت٧٧٤هـ.

* تفسير القرآن العظيم، ط. دار الفكر الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

* البداية والنهاية، ط. دار الفكر، بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م.

• كحالة عمر رضا (معاصر).

* معجم قبائل العرب، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بمؤسسة الرسالة ببيروت.

• ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٥هـ.

* السنن تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

- **الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ت٤٥٠هـ.**

* الحاوي الكبير في فقه الشافعي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

- **المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، ت بعد ٩٥٢هـ.**

* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال على حاشية مسند أحمد بن حنبل الشيباني، ط. دار صادر بيروت، والمكتب الإسلامي ببيروت، د.ت.

- **محمد بن الحسن الشيباني، ت١٨٦هـ.**

* السير، تحقيق وتعليق، د.مجيد خدوري، الدار المتحدة للنشر، ط١، ١٩٧٥م.

- **محمد حسن شراب (معاصر).**

* المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط. دار القلم بدمشق والدار الشامية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

- **المزي، أبو الحجاج يوسف، ت٧٤٢هـ.**

* تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط.م مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

- **مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت٢٦١هـ.**

* الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، د.ت، ط. دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

- **مغلطاي بن قليج، ت٧٦٢هـ.**

* الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح.

- **المقريزي.**

* إمتاع الأسماع، صححه أحمد محمد شاكر، ط. الشؤون الدينية بقطر، الجزء الأول.

- **ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ.**

* لسان العرب، ط. دار صادر.

- **الناصري أحمد بن خالد، ت١٣١٥هـ.**

* الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ط. دار الكتاب بالبيضاء، ١٩٥٤م.

- **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق.**

* الفهرست تحقيق رضا، تجدد. د.ت.

• النسائي أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ.
* السنن، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط، دار البشائر الإسلامية ببيروت.
* السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البغدادي وسيد كردي حسن، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
* عمل اليوم والليلة، تحقيق، د. فاروق حمادة، ط٤، دار الكلم الطيب بدمشق.
• أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله، ت٤٣٠هـ.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
* دلائل النبوة، تحقيق عبد البر عباس ومحمد رواس قلعجي، ط. المكتبة العربية بحلب ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
• النووي، يحيى بن زكريا، ت٦٧٦هـ.
* شرح صحيح مسلم، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
• ابن هشام عبد الملك، ت٢١٨هـ.
* سيرة النبي ﷺ، مختصر سيرة ابن إسحاق، ضبط الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، د.ت.
• الهيثمي، نور الدين علي بن سليمان، ت٨٠٧هـ.
* بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق، د. حسين أحمد صالح الباكري، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
* كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط. مؤسسة الرسالة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، منشورات دار الكتاب العربي ببيروت.
• الواقدي، محمد بن عمر، ت٢٠٧هـ.
* المغازي، تحقيق، د. مايدن جونس، ط. عالم الكتب بيروت، د.ت.
• ياقوت الحموي شهاب الدين الحموي الرومي، ت٦٢٦هـ.
* معجم البلدان، ط. دار إحياء التراث العربي بيروت.
• يحيى بن آدم القرشي، ت٢٠٣هـ.
* الخراج صححه الشيخ أحمد شاكر، ط. دار الحداثة بيروت، ١٩٩٠م.
• أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم، ت١٨٢هـ.
* الخراج مع شرحه فقه الملوك ومفتاح الرتاج للرجبي، انظره.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة